

جمع وترتيب

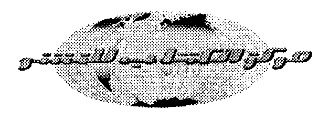
أحمد مصطفى الخولى

إعداد

محمد منتصر أحمد حامد الحلوانى

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨
http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديــم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .

وبعــد:

فإن التصوف مدرسة للتربية العالية، وشحن همم المريدين إلى العلو والترقى وحسن الطاعة لله ولرسوله وللشيخ المربى...

ومن هنا كان التصوف سلوكاً وخُلُقاً واستقامة على منهج الكتاب والسنة..

والمتصوفة شخصيات تعرفهم بسيماهم، فهم يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً..

وشاء حظى أن ألقتى بالكثير منهم ولكنى ملتُ إلى السيد الأستاذ أحمد الخولى الذى التقيت به مصادفة فوجدت فيه الصدق مع النفس وشفافية الروح فأنست إليه وتحدثت معه فكشف الحديث عن معدن شخصية مهذبة عالمة عارفة لها باعٌ واسعٌ فى الاطلاع، فسألته عمن أخذت ومن هو قائدك فى الطريق؟ فأخبرنى أن شيخه السيد إبراهيم سلامة الراضى رضي الله عنه، فقلت له: إذا كان هذا العلم تختزنه فى قلبك فلم لم تخرجه للناس؟ خاصة وأن هناك من يتطاول على المتصوف وأهل الحقيقة والشريعة وتطاولهم بجهل، ولابد لهؤلاء أن يتعلموا على أيد أمثالك وأن ينهلوا من عملك ومعارفك لعل الله يشرح صدورهم وينير بصائرهم ويهديهم إلى الطريق المستقيم خاصة وإن التصوف الحقيقى هو أحسن علاج لهذه الأمة التى فرقتها الأهواء ومزقتها الخلافات، كل ففريق بما لديه يفرح لجهلهم بما عند الآخرين، وأمتنا اليوم فى حاجة إلى علاج وأنت عندك جزء من العلاج، فلم لم تقدمه للناس؟ ثم مضى بنا الزمن كلٌ فى حال سبيله، لكن لقاء الاتصال بيننا دائم، ثم أخبرنى بأنه وضع خطوطًا لكتاب فأسرعت إليه متلهفًا فوجدت هذا الكتاب الذى بين يديك.

والرجل لحبه للخير وفعله يقدم كل ما يملك خدمة للإسلام الذى يؤمن به ويهتدى بهديه، لذلك فهو يبذل ولا يخاف لأنه يعتمد على الله ويتوكل عليه:

﴿ ومن يتوكَّلْ على الله فهو حسبُهُ ﴾ (الطلاق - ٣).

والكتاب الذى بين يديك يرد على كثير من التساؤلات النفسية التى تكون فى خاطر الإنسان، فهو يحدثك عن الشيخ ومريديه ويحدثك عن العلامة والطيبة والصحبة الكريمة التى يجب أن يتمتع بها كل سالك للطريق إلى الله .

لهذا فإن الكتاب الذى بين يديك أوصيك بقراءته وأنصحك، والدين النصيحة - أن تقدمه لإخوانك ومحبيك ليقرأوه . . . فالحكمة ضالة المؤمن فمن وجدها انتفع بها وقدمها لغيره وتلك طبيعة المؤمن الصادق مع نفسه.

وأنا لا أملك إلا أن أرفع أكف الضراعة إلى الله أن يوفق أخى وصديقى الأستاذ أحمد الخولى أن يزود المكتبة الإسلامية بكتاب آخر وآخر ليسد نقصاً كبيراً فى المكتبة ويملأ فراغاً نحن فى حاجة إلى ملئه خاصة وأن التيارات الثقافية تريد الآن أن تطمس هوية الأمة الإسلامية وأن تقطع صلة الشباب المسلم برموز الأمة وقادة الفكر فيها، وأرباب التصوف كانوا قيادات فى كل المواقع، وسل التاريخ ينبئك، لقد كانوا قيادات فى المواقع الحربية لصد الهجوم التترى والصليبيين عن المسلمين، كما كانوا قيادات فى الحق والعلم والتجارة، والعمل بكل أنواعه لرقى المجتمع وتطور الحياة . . . وأعداء الإسلام عندما أرادوا أن يشوهوا رموز التصوف دفعوا بشخصيات هذيلة تمسك بسيف خشبى وملابس وسبح معلقة فى رقابهم وهم يتسولون فى الشوارع، فى نفس الوقت وصفوهم بأنهم شخصيات «بريالة» لا قيمة لهم، وقالوا: هؤلاء هم أهل التصوف، وهذا ظلم لهؤلاء الناس وافتراء عليهم، لقد كان شعار أهل التصوف ما تعلموه من هدى ربنا.

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص - ٧٧).

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأعراف - ٣٢).

فليس التصوف بهذه الصورة مطلقاً . . التصوف نظافة فى الضمير والملبس . . نظافة فى الأخلاق والهيئة . .

لأنهم يطبقون قول الله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف - ٣١).

لذلك أعجبنى ما كتبه أخى وصديقى فأقدمه إلى كل مسلم يريد أن يعرف الحق وأن يعيش بالحق وأن يكون من دعاة الحق . . فجزاه الله خيرا وأعانه ووفقه إلى تقديم المزيد من المعرفة لطلاب الحقيقة وبالله التوفيق.

منصور الرفاعى عبيد

وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

ترددت فى وقتنا الحاضر آراء بين المثقفين وعامة النَّاس حول التصوف والصوفيَّة والمتصوِّفة، وقد اكتنف التصوف بعض الغموض والإبهام مع انتشار بعض المذاهب المناهضة للتصوف، وساعد على ذلك ما انتشر بين أرباب بعض الطرق الصوفيَّة من خرافات وعادات ومظاهر وخاصة فى الموالد والاحتفالات الدينية ..

ولقد شرفنى الله تعالى بتلقى الطريقة على يد شيخ عظيم وعارف بالله كريم هو السيد/ إبراهيم سلامة الراضى شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية، والذى انتقل إلى رحمة مولاه فى أواخر مايو عام ١٩٧٦ ..

وقد أرسى قبل وفاته مبادئ الطريقة التى أسسها والده الكريم الشيخ سلامة ابن حسن الراضى ..

وفى عام ١٩٦٢ رأى الشيخ رضي الله عنه ما شاب التصوف من عيوب علقت به لعدم وجود الفهم الكافى لدى الناس عامة، ولدى المتصوفة على وجه الخصوص.

فأخذ يفكر فى طريقة ترفع المستوى الثقافى والمعرفى لدى مريدى طريقته، ليعم النفع جميع الطرق الصوفية فى مصر، فوضع كتابًا تحت عنوان «مرشد المريد» ضمنُه بعض المبادئ الأساسية للربط بين الشريعة والحقيقة عن طريق سلوك الطريقة، وجعل دراسة هذا الكتاب شرطًا من شروط حصول الخليفة على إجازة الخلافة وبدأ ممارسة نشاطه فى الطريقة بحيث يتقدم الراغب فى الحصول على الخلافة لاجتياز امتحان فى موضوع هذا الكتاب، يتحدد بعده السماح بإعطاء الخلافة من عدمه.

وإنه ليسعدنى أن أعرض لهذا الكتاب لكى يقف القارئ والمهتم بالتصوف على مدى حرص مشايخ الطريق على رفع مستوى الخلفاء والمريدين من الناحية الدينية والاجتماعية والعلمية ..

وجاء الكتاب تحت عنوان:

"مرشد المريد فى الفقه والتصوف والتوحيد"

ويأتى هذا الكتاب تأكيداً لما ورد فى قانون الطريقة حول الحد الأدنى من المعلومات والأحكام التى لابد للمريد والخليفة أن يتزود بها للنهوض بأعباء الطريقة ..

كما حاولت جاهداً أن أجمع المعلومات المفيدة عن التصوف والصوفية لألقى الضوء على أهدافها السامية بين المريدين خاصة، وفى المجتمع الإسلامى عامة.

إن الإسلام: عقيدة، وشريعة وسلوك، وتربية.. والتربية سلوكٌ علميُ وتوجيه إيمانى رُوحى ولذلك: ١- فإنَّ الأعمال بلا إيمان جسد بلا روح.

٢- والإيمان نفسه درجات:

وهذه الدرجات تظهر جلية عند المتقين المحسنين الذين عناهم المصطفى ﷺ فى حديث جبريل الصحيح .. حينما سأله: ما الإحسان؟ قال ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فبقدر ما تكون مراقبةُ العبد لربه فى السر والعلَن والحضُور والغيبة دقيقة وتامة، بقدر ما يشعر الإنسان بإيمانه، ويشعر بدينه، ويُرهِّف الإيمانُ إحساسه، وتعظم قوته الدينية، وتتضح تقواه، ويقوى ورعه، ويزداد تمسكه بدينه.

وقد ألزمت الصوفية نفسها التربية الروحية واتخذت جانب الإحسان منهجاً لها وطريقًا موصلاً إلى قيمها وتطلعاتها السنية ومراتبها العلية.

والإسلام كل لا يتجزأ، والتربية الروحية لا يمكن أن تتحقق بمجرد الادعاءات أو الإيهامات وإنما يجب أن ترتكز على أسسٍ متينة مما شرعه الله ورسوله:

١- فلا تزكية إلا بما شرعه الله ورسوله.

٢- ولا تربية إلا بما شرعه الله ورسوله.

والإسلام والإيمان والإحسان.. هيكل تام للمسلم لا يتحقق له ما يريده الله ورسوله منه إذا فرق بينها، أو لم يلتزم بها جميعًا.

وعلى ذلك فلن يقبل الله من الإنسان تصوفا أو غيره:

١- إذا لم يلتزم بالإسلام سلوكًا.

٢- وبالإيمان عقيدة.

٣- وبالإحسان تربية وتزكية.

والأسماء لا قيمة لها فى الآخرة، وإنما الثوابُ والعقاب يترتب على العمل والاعتقاد.

فسواء سمى الإنسان نفسه صوفيًا أو سلفيًا أو أى تسمية أخرى.. فإنَ مدار الفلاح

فى الآخرة على الالتزام بما شرعه الله ورسوله من حلالٍ أو حرام، أو محظور أو مُباح..

والناسُ، وخاصة الشباب فى عصرنا ضحية المصطلحات والتسميات، فكثيراً ما نسمع من بعضهم إلصاق تهمة الكفر والإلحاد لأى منتسب للصوفية أو غيرهما.. والتهمة يجب ألا توجَّه للأسماء والمصطلحات وإنما للمناهج والسلوك:

١- فَمَنْ التزم الشرع والإيمان حكمنا عليه بالإسلام والإيمان.

٢- ومَنْ لا يلتزم لا يكونُ مسلمًا ولا مؤمنًا كائنًا ما كان اسمه أو ملبسُه أو مقولتُه أو جماعتُه.

ولذلك يجب على كل مسلم منصف التورع عن التسرع فى إلصاق تهمة الكفر أو النسق على الناس قبل التثبت والتأكد والجزم من وجود دواعى الكفر أو ظواهره فيهم.

فإن لم يثبت ظاهريًا كُفر أحد حسب ميزان الشرع، فلا يجوز اتهامه بالكفر، والتهمة تعود على مَنْ رمى بها صاحبه..

إننا فى هذه الأيام، وقد أحدق الخطر بالإسلام وبالمسلمين من كل جانب، بحاجة إلى الوفاق لا الفراق، نحن بحاجة إلى التعاضد والتعاون لا إلى التنافر والتناحر.

ولنعمل بقول الحق جل شأنه:

{ وتعاونوا على البرِ والتَقوى ولا تعاونوا على الإثم والعُدوان} (المائدة - ٢).

وقول الحبيب المصطفى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

وكل ما فعلته فى هذا الكتاب:

١- تجميع بعض التعريفات والأقوال والنصوص عن التصوف.

٢- الاستدلال ببعض كتب السادة العارفين رضى الله عنهم.

٣- سرد ما جاء فى الكتب المعارضة للتصوف كما هى دون تدخل.

٤- وبصفتى من أبناء الطريقة الحامدية الشاذلية، وهذا شئ أعتز به هو ما دفعنى لتقديم هذا العمل المتواضع.

وقد علمنى شيخى رضي الله عنه أن أكون أو أحاول أن أكون لافتة طيبة فى الأخلاق والسلوك للطريقة وللإسلام بطبيعة الحال ودائمًا يتردد فى سمعى وقلبى قول هذا العارف بالله سيدي إبراهيم سلامة الراضى:

«ليس المريدُ مَنْ يفتخر بشيخه، وإنما المريد هو الذى يفتخر به شيخه».

فأوردت بعض مؤلفات الشيخ المؤسس سيدى سلامة بن حسن الراضى رضي الله عنه، وكذلك بعض مؤلفات خليفته شيخ الطريقة سيدى إبراهيم سلامة الراضى رضي الله عنه ..

كما استعرضت قانون الطريقة الحامدية الشاذلية ليقف القارئ على أن الطرق الصوفية إنما تسير على مبادئ وقوانين مرجعها للكتاب والسنة.

٥- كان الدافع القوى لى لإخراج هذا الكتاب بناءً على توجيه وطلب من رجل يدعو إلى الله مخلصاً وله أثره وقيمته فى المجتمع الإسلامى والعربى والمصرى على حد سواء وهو فضيلة الأخ والصديق "**الشيخ منصور الرفاعى عبيد**" وكيل وزارة الأوقاف سابقًا - والذى أتشرف بتقديمه لهذا الكتاب ..

وها أنذا أستجيب لهذا الطلب العزيز..

داعياً الله العلى القدير أن يعم النفع جميع المسلمين

والله الموفق والمستعان

أحمد مصطفى الخولى

الـوِرْدُ والذِّكْرُ

الوِرْد والذكر

قال بعض العارفين:

« لا يستحقر الوِرْد إلا جهول ..

الواردُ يوجد فى الدار الآخرة ..

والوِرْدُ ينطوى بانطواء هذه الدار ..

وأَوْلى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده ..

والوِرْدُ هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه ..

وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه؟ ..

- والوِرْدُ فى اللغة هو الشُرب ..

قال تعالى:

﴿ وبئس الوِرْدُ المورود ﴾ (هود - ٩٨).

- **والورد فى الإصطلاح:** ما يرتبه العبد على نفسه أو للشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات.

والوارد في اللغة: هو الطارق والقادم.

ويُقال: وَرَدَ علينا فُلان .. أى قدم

والوارد فى الإصطلاح: ما يُتحفه الله تعالى قلوب أوليائه من النفحات الإلهية فيكسها قوة محركة وربما يدهشها أو يغيبها عن حسها، ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه ..

ثم إن الورد ينقسم على ثلاثة أقسام:

١- ورد المجتهدين:

وهو استغراق الأوقات فى أنواع العبادات، وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام، وقد ذكر فى «الإحياء» وفى «القوت» أوراد النهار وأوراد الليل، وعين لكل وقت ورداً معلوماً.

٢- ورد السائرين:

وهو الخروج من الشواغل والشواغب وترك العلائق والعوائق، وتطهر القلوب من المساوى والعيوب، وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل، وعبادتهم ذكر واحد، وهو ما يعينه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب.

٣- ورد الواصلين:

فهو إسقاط الهوى ومحبة المولى.

وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف فى الحضرة، فكل من أقامه مولاه فى وردٍ فليلتزمه ولا يتعدى طوره، ولا يستحق غيره، إذ العارف لا يستحقر شيئاً بل يصير مع كل واحدٍ فى مقامه، ويقرر كل شئ فى محله، فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند، وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود ؟

الورد يوجب ثوابه وثمرته في الدار الآخرة، والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه الدار ..

قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الزخرف - ٧٢).

وقد جاء فى الأثر:

«إن الله يقول: أدخلوا الجنة برحمتى وتقاسموها بأعمالكم»

وأيضاً المراد بالواردات ثمراتها ونتائجها وهو ما يعقبها من اليقين والطمأنينة والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن، فإذا أعطتك ثمراتها ونتائجها فلك فى الله غنى عنها، فلا يستحقر الورد، ويطالب الوارد إلا من كان عبد الوارد .. وأما من كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه، بل يلزم ما هو مكلف به من وظائف العبودية قياماً بحق عظمة الربوبية، فهو الذى يدوم وبه يتم التوصل إلى رضى الحى القيوم، وأولى ما يعتنى به الإنسان ما ينقطع وجوده بانقطاع مؤنه وهو ورده فيغتنم وجوده ما دام فى هذه الدار، فالدنيا دار عمل لا جزاء فيها، والآخرة دار جزاءٍ لا عمل فيها، فليغتنم الإنسان عمره قبل الفوات، فما من زمنٍ يخلو عنه إلا وهو فائت منه.

وقد ورد عنه ﷺ قوله:

«لا تأتى على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة».

والذكرُ متنوع، كل بحسب حاله.

قال الحسن رضي الله عنه:

«أدركت أقواماً كانوا على ما فاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم».

وفى الحديث قوله ﷺ:

« من استوى يوماً فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو محروم، ومن لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان، ومن كان فى النقصان فالموت خير له ».

وأول ما يعتنى به العبد أيضاً ما هو طالبه منه الحق سبحانه وتعالى وهو « الورد » دون ما يطلبه هو منه وهو الوارد ، فالورد من وظائف العبودية وهو الذى طلبه منا الحق سبحانه، والوارد من وظائف الحرية ولذلك تطلبه النفس وتتعشق إليه ..

فأين ما هو طالبه منا مما هو مطلبنا منه؟

بينهما فرق كبير ..

قال الشيخ زروق: « بينهما فى القدر ما بينهما فى الوصف، « قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق ».

لذلك صار الاعتناء بالورد أفضل وأكمل من الاعتناء بالوارد ، لأن الورد من وظائف العبودية وهى لا تنقطع مادام العبد فى هذه الدار، كما أن حقوق الربوبية لا تنقطع، كذلك حقوق العبودية لا تنقطع.

قال النقشبندى رضي الله عنه:

« ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام ﷺ حتى تورمت قدماه » فقيل له: كيف تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: أفلا أكون عبداً شكوراً ».

فأفاد ﷺ أن شكر النعمة تمام الخدمة، وهو موجب المزيد ..

قال جل شأنه:

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (إبراهيم - ٧).

وهكذا فعل الجنيد رضي الله عنه، ولم يترك ورده فى حال نزعه، فقيل له فى ذلك ..

فقال: « ومَنْ أولى منى بذلك وهذه صحائفى تطوى » فلم يترك الخدمة رضي الله عنه فى مثل هذه الحالة، فكيف بسواها؟

قيل له رضي الله عنه: إن جماعة يزعمون أنهم يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف..

قال: وصلوا، ولكن إلى حقر.

قال أيضاً: هذا كلام من يقول بالإباحة ..

والسرقة والزنى عندنا أهون حالاً ممن يقول بهذه الحالة أو المقالة ..

وقد صدق رضي الله عنه في قوله هذا:

فإن الزاني والسارق عصاة بزناهم وسرقتهم ولا يصلان إلى حد الكفر ..وأما القائل بسقوط الفرائض المعتقد لذلك، فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين ..

قال ﷺ:

« لا يؤمن أحكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به ».

وقال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران - ٣١).

فعلينا بمتابعته ﷺ، ومتابعة السلف الصالح في الأقوال والأفعال والأحوال نحوز مقامهم ونكن معهم فالمرء مع من أحب.

وأما من كان من أهل الأذواق فسره مكتوم وأمره محزوم، وعبادته أدب وشكر، وهو أحق بدوام الشكر، وكيف ينكر الواسطة، ولولا الواسطة لذهب الموسوط.

قال أبو الحسن الدراج رضي الله عنه

« ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادت بعد ما أتحفهم الله به من الكرامات ..

فقال الجنيد: « العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك ».

وقد رأى رجل الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة، فقال له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟ فقال: نعم .. سبب وصلنا إلى ما وصلنا إليه فلا نتركه أبداً ».

فالشريعة باب، والحقيقة بابُ الحضرة ..

قال تعالى:

﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (البقرة - ١٨٩).

« فلا دخول للحقيقة إلا من باب الشريعة ».

قال أحدهم في منظومته:

وثالث الفصول في الشريعة ... لأنها إلى الهدى ذريعة

فكل باب دونها مسدود ... ومَنْ أتى من غيرها مردود

قـــد اصطـــفاه ربـــنا عز وجل بفضلـــه وجـــوده عـــلى الملل

طريقـــه العدنـــان للرحمـــن محفـوفـــة بالنـــور والرضـــوان

طـــوبي لمـــن أتى بـــها للغـــرض والويـــل لـلذى بـــها لـــم يقـــض

يـــا أيـــــها المـــريد إن أردت وصـــال مـــن يحبـــه شغـــلت

فشـــدّ منـــك الكـــف يـــا ولى عـــلى شريعـــة النـــبى الأمـــى

حصـل جميـع مالـه الشرع ارتضى وكـــن لكـــل ما ســـواه رافـضا

تـــرى الفـــؤاد صافـــيا وشارقـــا وعـن سـوى المـولى إلى المولى ارتـقى

وقد رؤى كثير من الفقراء قصروا من الشريعة فخرجوا من الطريقة، وسُلبوا نور الحقيقة، وآخرون طال أمرهم فى صحبة القوم، ولم تظهر عليهم بهجة المحبين، ولاسيما العارفين، وما ذلك إلا لعدم التحفظ على مراسم الشريعة.

وقد ذكروا ثمرة الورد ونتيجته وهو المدد الإلهى، إذ بقدر الاستعداد تحصل الأمداد، ولا استعداد لها إلا بدوام الأمداد، وتفرغ الفؤاد.

« ورود الأمداد بحسب الاستعداد »

والمراد بالأمداد، تطهير القلوب من الأغيار وتقديس الأسرار من غبش الحس والأكدار، والوقوف مع الأنوار، فلا تزالُ أمطار المدد تنزل على أرض النفوس الطيبة، والقلوب المطهرة، والأرواح المنثورة والأسرار المقدسة حتى تمتلئ بأنوار المعانى، فحينئذ تنشق لها أسرار الذات، وتتعلق لها أنوار الصفات، فتغيب بشهود الذات عن أثر الصفات، ثم ترد إلى شهود الصفات بالذات، والذات بالصفات، لا يحجبها جمعها عن فرقها ولا فرقها عن جمعها، تعطي كل ذى حق حقه، وتوفى كل ذي قسط قسطه.

يقول إمام المحبين محى الدين بن عرب ﷺ فى بعض رسائله:

« فإن قلتم فى أى وقت نكون كالجبال » ؟

﴿ تحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السَّحاب ﴾ (النمل - ٨٨).

قلنا: إذْ زهدتم فى الدنيا بالكلية، وقطعتم الإياس من الرجوع إليها بالكلية، ثم اعتقدتم فى كمال شيوخكم، وأنهم على قدم الأنبياء عليهم السلام، ومن ورثة النبى ﷺ فلا شك فى أنه سينزل عليكم المدد ليلاً ونهاراً بالشهور والأعوام، وفى كل وقت وساعة

ولحظة، حتى تمتلئ قلوبكم بمعرفة الله، وتطمئن قلوبكم بذكر الله، وتكونوا كالجبال الراسية..

فالزاهد فى الدنيا تفرغ قلبه وتخلى عن الأكدار وتهيأ للأنوار، فإذا نزل المدد، وجد القلب متسعاً مطهراً منظفاً، فملأه من أنواره وحلاه بحلية أسراره بخلاف ما إذا كان القلب معموراً بأغيار الدنيا لم يجد المدد موضعاً ينزل فيه، فيرجع من حيث جاء..

واعتقاد كمال الشيوخ هو عين الصدق، وبقدر الصدق ينبع المدد، ولا يمكن أن ينقطع الوهم أو يذهب الحس، إلا بالصدق مع الزهد، فبالزهد يتهيأ للمدد، وبالصدق يفيض عليه المدد، فكلما فاض ماء المدد، غسل أوساخ الوهم، فإذا لم يبق للوهم أثر حصل الفرق فى البحر «**وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار**»، فشروق أنوار المعارف فى أفق سماء القلوب تكون على قدر صحوها من سحب الآثار، وغيم الأغيار، وغين الأنوار.

فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام إشراق نورها، فإذا انجلت عن سماء القلوب سحب الآثار وغيم الأغيار أشرق فيها نور الفناء، فيغيب القلب والروح عن الرسوم ولم يبق إلا الحي القيوم، وإذا انجلت عن الأسرار عين الأنوار، أشرق فيها نور البقاء، فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل.

فعلامة شروق هذه الأنوار ترك التدبير والاختيار والاكتفاء بنظر الواحد القهار.

«الغافلُ إذا أصبح ينشر ماذا يفعل – والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به».

١ – فالغافل هو الجاهل بالله، ولو كثر ذكره باللسان والعاقل هو العارف بالله، ولو قل منه ذكر اللسان، إذ المعتبر هو ذكر الجنان..

٢ – والغافل نفسه موجودة، وآماله ممدودة، إذا أصبح نظر ماذا يفعلُ بنفسه، فيدبر شئونه ومآربه بفعله وحدثه، فهو ناظر لفعله، معتمد على حوله وقوته، فإذا فسخ القضاء ما أبرمه وهدم له ما أحله، غضب وسخط وحزن وقنط، فنازع ربه، وأساء أدبه، فلا جرم أنه يستحق من الله البُعد ويستوجب فى قلبه الوحشة والطرد، إلا إن حصل له إياب، وأدام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب، فحينئذٍ يلتحقُ بالأحباب.

وأما العاقل، وهو العارف، فقد تحققت فى قلبه عظمة ربه، وانجمع إليه بكلية قلبه، فأشرقت فى قلبه شموس العرفان، وطوى من نفسه ونظره وجود الأكوان، فليس له عن نفسه أخبار، ولا مع غير الله قرار، تصرفه بالله، ومن الله، وإلى الله فقد فنى عن نفسه، وبقى بربه، فلم ير لها تركاً ولا فعلاً، ولا قوة ولا حولاً. فإذا أصبح نظر ماذا يفعل الله به،

فتلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة والحبور لما هجم عليه من حق اليقين والغنى برب العالمين.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

« أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القدر »

وقال أبو عثمان رضي الله عنه:

« ما أقامنى الله فى حالٍ فكرهته، ولا نقلنى إلى غيره فسخطته ».

فإذا أراد الفقير أن يكون تصرفه بالله فلينعزل عن حظوظه وهواه، فإذا أراد أن يفعل أمراً فليتأن ويصبر ويستمع إلى الهاتف، فإن الله سبحانه وتعالى يُسمعه ما يريد أن يتوجه إليه فعلاً أو تركاً.

فعليك أيها المريد بالاعتناء بهذا الأمر، وافهم عن الله فى أمرك كلها، واستعن على هذا الأمر بأدعيته ﷺ فى هذا المقام .. كقوله:

-اللهم إنى أصبحت لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى، ولا أن أتقى إلا ما وقيتنى، فوفقنى اللهم لما ترضاه منى فى القول والفعل وفى عافية وستر، إنك على ما تشاء قدير.

وقوله ﷺ أيضاً:

-اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره. ولا أملك نفع ما أرجو. وأصبح الأمر بيد غيرى، وأصبحت مرتهناً بعملى، فلا فقير أفقر منى ..

اللهم لا تشمت بيعدوى، ولا تسئ بى صديقى، ولا تجعل مصيبتى فى دينى. ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى، ولا تسلط على من لا يرحمنى.

إلى غير ذلك من الأدعية التى تكسب الرضى والتسليم والمقصود من دعائه ﷺ فهم معانيها، لا مجرد ألفاظها فالمراد المعانى لا الأوانى.

ويجمع هذه المعانى وصية الشيخ عبد السلام بن حشيش رضي الله عنه للرجل الذى قال له:

« وظف على وظائف وأوراداً »

فغضب وقال: أرسول أنا ؟ فأوجب الواجبات:

١- الفرائض معلومة.

٢- والمعاصى مشهورة.

١- فكن للفرائض حافظاً، وكن للمعاصى رافضاً.
٢- واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء.
٣- واحفظه أيضاً من الجاه وإيثار الشهوات.
٤- واقنع فى ذلك كله بما قسم الله لك.
٥- إذا خرج لك مخرج للرضى فكن لله فيه شاكراً.
٦- وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عليه صابراً.
٧- حُبُ الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لجميع الكرامات.

وحصن ذلك كله أربعة:

١- صدق الورع.
٢- وحسن النية.
٣- وإخلاص العمل.
٤- ومحبة العلم.

ولا يتم ذلك إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه:

«احرص أن تصبح وتمسى متوضأ مستسلماً، لعله ينظر إليك فيرحمك».

وقال بعضهم:

«مَن اهتدى إلى الحق لم يهتد إلى نفسه، ومن اهتدى إلى نفسه لم يهتد إلى الله».

أى من رأى الحق غاب عن نفسه، ومن رأى نفسه حجب عن الله.

ثم إن العاقل الذى ينظر ما يفعل الله به هو العارف لأنه هو الذى يتحقق فيه ذلك، ومن علامته أنه لا يستوحش من شئ، لمعرفته فى كل شئ، وفهمه عن الله فى كل شئ، بخلاف غيره من العباد والزهاد «**إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله فى كل شئ، فلو شهدوه فى كل شئ لم يستوحشوا من شئ**».

العبادُ هم الذين غلب عليهم الفعل، فهم مستغرقون فى العبادة الحسية، يقومون الليل، ويصومون النهار، شغلتهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود، فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم، والزهاد هم الذين غلب عليهم الترك فهم يفرون من الدنيا وأهلها، ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه وحُجُبوا عن الله، فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله

فيها ، ولو عرفوا الله فى كل شئٍ ما استوحشوا من شئ، ولأنسوا بكل شئ وتأدبوا مع كل شئ .. والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظهراً من مظاهر الحق، فحُجبوا أولاً بالحق عن الخلق، وبالمعنى عن الحس وبالقدرة عن الحكمة ثم رُدُّوا إلى شهود الحق فى الخلق، والقدرة فى الحكمة فحين عرفوه فى كل شئ أنسوا بكل شئ، وتأدبوا مع كل شئ، وعظموا كل شئ.

وفى سياق الحديث عن الورد:

يقول العارفون رضوان الله عليهم:

« مَنْ كان ذا وردٍ فهذا قد ورد ، تاركه يُحرمُ إيصال المدد ».

والأوراد والأحزاب يجتمع فيها الكثير من المتع العقلية والأذواق الصوفية والصياغة الأدبية والخيال الخصب، فإذا اجتمع ذلك فى حزبٍ كان أدعى وأدنى للكمال.

وأحزاب العارفين كثيراً ما تقع لدى السامعين موقع الروعة فيصدعون لقولها .. فقد روى عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه استمع لكلام بعض العارفين فلما سئل عنه أجاب:

« والله ما أدرى ما يقول، ولكنى سمعتُ منه كلاماً له صولة، وما هو (دجولة مُبطل).

وأحزاب العارفين تكشف عن ذخائر نفوسهم وعن فطرهم وتصور مدى فهم صاحبها لحقائق الإيمان العميق، ولآيات التوحيد ودقائقه، ولطائف الأسرار واتصاله بالملأ الأعلى والملكوت الأسمى، وتكشف كذلك عن درجة اتصالهم بعالمى الغيب والشهادة، ولمقاماتهم وأحوالهم كما ترسم صورةواضحة من مناهج تصوفهم وسلوكهم وسُبل طرائقهم فى الوصول إلى الحق.

والمستمعون يسترعى قلوبهم من الأحزاب الإشارات فيعطفون فيها لبدائع العرفان وحقائق الإيمان، وقد لا يعتمدون على ظواهر العبارات، فقد تستغلق عليهم العبارات إذا لم يكونوا من أهل العلم والأدب الصوفى.

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين لهم دعوات وعبادات، ولا تخرج أحزاب الصوفية عن متابعتها ، فهى أحزاب وأوراد ، فمنهم من كان يجعل ورده الصلاة فى جوف الليل بعدد ركعاتٍ معينة، ومنهم من كان يجعل ورده من دعوات من صياغة ونتاج أفكاره فى أوقات معينةٍ وفى أمكنة معينة من باب الاجتهاد فى الدعاء، والمأثور من دعواتهم كثير.

ومن علماء الشريعة والفقه والحديث والتفسير وأهل الظاهر مَنْ رتب لنفسه أدعيته من المأثور الوارد عن السلف الصالح والصدر الأول من المأثور، ولا تخرج دعواتهم عن كونها أوراداً وأحزاباً.

ولقد جرى الصوفية على هذا النحو:

١ - فمنهم من جعل ورده من المأثور.

٢ - ومنهم من اختص نفسه بأدعية خاصة من صياغته وعبارته، وفى مناسبات وأوقات اضطرته أن يلجأ إلى الله فيها طالباً منه العون والمدد والنصر.

ومن أمثلة ذلك:

ركب الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه البحر «النيل» قاصداً الحج - على طريقة زمانه - وفى وقت متأخر، فحدث أن توقفت الريح، وخشى فوات الوقت عن وصوله إلى عرفة فى موعده، وطال انتظار الريح لإقلاع المركب فاتجه إلى الله تعالى داعياً أن يُدركه بالمدد والريح والعون من عنده، فرأى النبي ﷺ فى منامه يطمئنه ويلقنه دعوات معينة هى المعروفة (بحزب البحر) وأمره بتلاوتها، فلما استيقظ من نومه وتلاها جاءت الريح واندفعت السفينة بسرعة مدهشة وحالة عجيبة، فبلغ مقصوده وأدرك موعد الحج - وهذا نص حزب البحر:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا الله، يا على، يا عظيم، يا حليم، يا عليم ..

أنت ربى، وعلمك حسبى ..

فنعم الرب ربي، ونعم الحْسبُ حسبى ..

تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم ..

نسألك العصمة فى الحركات والسكنات والكلمات والإرادات، من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب.

فقد ابتُلى المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً.

وإذ يقولُ المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا.

فثبتنا وانصرنا، وسخر لنا هذا البحر، كما سخرت البحر لموسى عليه السلام، وسخرت النار لإبراهيم عليه السلام، وسخرت الجبال لداود عليه السلام، وسخرت الريح

والشياطين والجن لسليمان عليه السلام، وسخر لنا كل بحر هو لك فى الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة وسخر لنا كل شئ، يا من بيده ملكوت كل شئ.

كهيعص .. انصرنا فأنت خير الناصرين.

وافتح لنا فأنت خير الفاتحين.

واغفر لنا فأنت خير الغافرين.

وارحمنا فأنت خير الراحمين.

وارزقنا فأنت خير الرازقين.

واهدنا ونجنا من القوم الظالمين.

وهَبْ لنا ريحاً طيبة كما هى فى علمك، وانشرها عينا من خزائن رحمتك ..

واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ..

إنك على كل شئ قدير ..

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية فى ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحباً فى سفرنا، وخليفة فى أهلنا، واطمس على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا الوصول إلينا ..

﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٦٦) ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ﴾ (يس - ٦٦).

﴿ يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣) على صراط مستقيم (٤) تنزيل العزيز الرحيم (٥) لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (٦) لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون (٧) إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون (٨) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (سورة يس ١ - ٨).

(شاهت الوجوه) (ثلاثا)

﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ (طه - ١١١).

طس .. حم .. عسق ..

﴿ مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) ﴾ (الرحمن - ١٩).

حم (سبع مرات)

حُم الأمر، وجاء النصر، فعلينا لا ينصرون ..

حَمَ .. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب .. (إلى .. إليه المصير).

بسم الله بابنا .. تبارك حيطاننا .. يَسَ سقفنا .. كهيعص كفايتنا .. حمعسق حمايتنا ..

﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة - ١٣٧). (ثلاث مرات)

سترُ العرش مسبول علينا، وعين الله ناظرة إلينا، بعون الله لا يقدر علينا، والله من ورائهم محيط، {بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ}

﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ (يوسف - ٦٤).

﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ (الأعراف - ١٩٦).

﴿ حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ (التوبة - ١٢٩). «ثلاث مرات»

{بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم} «ثلاث مرات»

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه يرتب تلاوة «حزب البحر» بعد صلاة العصر وعند كل أمر جلل.

أما عن الذكر .. فيقول ابن عطاء الله السكندرى رضي الله عنه:

«الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل: ترديد اسم مذكور بالقلب واللسان وسواء فى ذلك:

١- ذكرُ الله.

٢- أو ذكرُ صفة من صفاته.

٣- أو ذكر حُكم من أحكامه أو فعل من أفعاله.

٤- أو استدلال على شئ من ذلك.

٥- أو دُعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه.

٦- أو ذكر من انتسب إليه أو تقرب إليه بوجهٍ من الوجوه.

٧- أو سبب من الأسباب أو **فعل من الأفعال**:

- بنحو قراءة أو ذكر.
- أو شعرٍ أو غناء.
- أو محاضرة أو حكاية.
- فالمتكلم والمتفقه، والمدرس، والمفتى والواعظ، والمتفكر فى عظمة الله وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسمواته، والمتمثل ما أمر الله به والمنتهى عما نهى عنه .. كل هؤلاء ذاكرون ..

والذكر تنوع أدواته:

١- فقد يكون باللسان.

٢- وقد يكون بالجنان.

٣- وقد يكون بأعضاء الإنسان.

٤- وقد يكون بالإعلان والإجهار.

والجامع لذلك كله ذاكر كامل.

١- **فذكر اللسان** - هو ذكر الحروف بلا حضور، وهو الذكر الظاهر، وله فضل عظيم شهدت به الآيات والأخبار والآثار:

أ- فمنه المُقيد بالزمان أو بالمكان.

ب- ومنه المطلق.

- **فالمقيد** - كالذكر فى الصلاة وعقبها، وفى الحج وقبل النوم وبعد اليقظة، وقبل الأكل، وعند ركوب الدابة، وطرفى النهار، وغير ذلك.

- **أما المطلق** - فهو ما لا يتقيد بزمان ولا مكان، ولا وقت، ولا حال:

فمنه ما هو ثناء على الله كما فى قولنا:

سبحان الله - والحمد لله - ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ومنه ما هو ذكر فيه دعاء مثل:

{ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ....} الآية.

- أو مناجاة.

- وكذلك اللهم صل على سيدنا محمد ..

وهو أشد تأثيراً فى قلب المبتدئ من الذكر الذى لا يتضمن المناجاة.

- ومنه ما هو ذكر فيه رعاية أو طلب دنيوى أو أخروى فالرعاية مثل قولك: الله معى، الله ناظر إلى، الله يرانى .. فإنه فيه رعاية لمصلحة القلب، فإنه ذكر، يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى، وحفظ الأدب معه والتحرر من الغفلة، والاعتصام من الشيطان الرجيم، وحضور القلب مع العبادات.

١- ومبدأ الذكر ذكر اللسان.

٢- ثم ذكر القلب تكلفاً.

٣- ثم ذكر القلب طبعاً.

٤- ثم استيلاء المذكور وانمعاء الذكر.

وذلك سر قوله ﷺ:

«من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله.

وسر قوله ﷺ أيضاً:

«يُفضل الذكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً».

وعلامة وقوع الذكر إلى السر غيبة الذاكر عن الذكر والمذكور . **ومن علاماته:**

١- أنك إذا تركت الذكر لم يتركك، وذلك طيران الذكر فيك لينبهك عن الغيبة إلى الحضور.

٢- شدُّ الذكر رأسك وأعضاءك جميعها فتكون كأنك مشدود بالسلاسل والقيود.

٣- لا تخمد نيرانه ولا تذهب أنواره، بل ترى أبداً أنواراً صاعدة وأخرى نازلة والنيران حولك صافية تتأجج وتتقد، وإذا وقع الذكر إلى السر، يكون الذكر عند سكوت الذاكر كأنه غرز الإبر فى لسانه، أو أن وجهه كله لسان يذكر بنور فائض عنه.

ومما ورد فى فضل الذكر والاجتماع إليه:

* عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال:

خرج معاوية على حلقةٍ فى المسجد .. فقال: ما أجلسكم؟

قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى.

قال: آلله .. ما أجلسكم إلا ذلك؟

قالوا: آلله .. ما أجلسنا غيره.

قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم .. وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ، ولا أقل حديثاً منى، وأن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟

قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنْ علينا.

قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟

قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك.

قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة. «أخرجه مسلم والترمذى، وأخرج النسائى المسند منه فقط..

وزاد رُزين قال:

ثم حدثنا فقال:

«ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، ويذكرون الله، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وعن أبى مسلم الأغر قال:

أشهدُ على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

«لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». «أخرجه مسلم والترمذى».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما اجتُنبت الكبائر» – أخرجه الترمذى.

وقال مالك رضي الله عنه:

بلغنى أن رسول الله ﷺ كان يقول:

«ذاكرُ الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين، وذاكرُ الله فى الغافلين كغصنٍ أخضر فى شجر يابس».

وعن عبد الله بن بشر قال:

«إن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بشئ أتشبثُ به ولا تكثر على فأنسى ..

قال: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله». - أخرجه الترمذى.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت:

«كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» - أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى.

والمداومة على الذكر من أوجب الأمور ..

يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندرى رضي الله عنه:

«لا تترك الذكر لغفلتك فيه، فربما انتقلت من ذكر بغفلة، إلى ذكر بحضور، ومن ذكر بحضور إلى غيبة عما سوى المذكور».

القبض والبسط والمنع والعطاء

إن مطلب العـارفين إنما هو التـحـقق بالعبـودية لمولاهم ولا يتـسنى لهم ذلك إلا عن بعض طرق:

١- بالتحرر من رق هواهم ..

ولا يتـحقق لهم ذلك إلا ببـيع النفـوس بيعـاً كاملاً لأنهم يوقـنون بأن «حضـرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس.

٢- القيـام بوظائف الربوبيـة بالأدب والتعظيم والاجلال لمولاهم .. فالنفس لا تموت إلا بترك حظوظها وإذا ماتت على هذا الشكل حييت الروح، وإذا حييت الروح عرفت، لأن المعرفة لا تصح لمعدوم أو ميت، وإذا عرفت أذعنت وخضعت لهيـبة الجلال ..

وهذا هو القيام بحقوق الربوبية، وهو مُراد العارفين ومقصود السائرين، ومحط طلب ونظر القاصدين والطالبين.

وقد قيل لأحد العارفين:

ما مُراد المعارف؟

قال: مُراد معروفه ..

أي إنه لا يريد إلا ما أراده سيده، ولا يتمنى إلا ما يقضيه عليه مولاه ..

وقيل لبعض العارفين أيضاً:

- ما تشتهى؟

قال: ما يقضى به الله.

وهذا التسليم يحقق للعارف بقاءه عن طريق فنائه لأنه إذا تحقق فناؤه، تحقق بالتالى بقاؤه، وهو بقاؤه مع مولاه.

فإذا طلب العبد من مولاه ما هو طالبه منه:

١- من استقامة ظاهره: أ- بالنهوض إلى كمال الطاعات.

ب- والحزن على ما سلف من الغفلات.

٢- واستقامة باطنه: أ- بمعرفة معبوده.

ب- والفناء فى شهوده.

فيكون ظاهره قائماً بوظائف العبودية، وباطنه متحققاً بحقوق الربوبية.

ثم إذا أحس بإجابة المطلب، وحصول المنى والمرغب فرح قلبه وانبسطت روحه، حيث شمت نسيم الإقبال وروح الوصال ..

فربما يقبضها البسط عن شهود مولاها، فيخرجها منه إلى القبض، ثم يرحلها عنهما إليه ..

فيقول العارفون:

« بسطك كي لا يبقيك مع القبض ..

وقبضك كي لا يتركك مع البسط ..

وأخرجك عنها كي لا تكون لشئ دونه ..

وعلى ضوء ذلك يمكننا تعريف البسط والقبض ..

فنقول: إن البسط فرح يعترى القلوب أو الأرواح

١ - إما بسبب قرب شهود الحبيب، أو شهود جماله.

٢ - أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله وتجلى ذاته لهم.

٣ - أو بغير سبب.

والقبض، حزن وضيق يعترى القلب:

١ - إما بسبب فوات مرغوب.

٢ - أو عدم حصول مطلوب.

٣ - أو بغير سبب.

وهما - البسط والقبض - يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار ..

١ - **فالعوام** - إذا غلب عليهم الخوف انقبضوا ..

وإذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا.

٢ - **والخواص** - إذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا

وإذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا.

٣ - **وخواص الخواص** - استوى عندهم الجمال والجلال ..

فلا تغيرهم واردات الأحوال، لأنهم لله وبالله، لا لشئ سواه.

فالأولون - من عوام وخواص - ملكتهم الأحوال.

أما خواص الخواص. فهم مالكون للأحوال.

ومن لطف الله تعالى بالسالك: أخرجه من الأغيار ودفعه إلى حضرة الأسرار ..

فإذا أخذه القبض، وتمكن منه الخوف، وسكن تحت قهره، وأنس أمره، أخرجه إلى البسط، لئلا يحترق قلبه، ويذوب جسمه ..

فإذا حبسه البسط وفرح به وأنس بجماله، قبضه لئلا يتركه مع البسط: فيُسئ الأدب، ويجر إلى العطب، إذ لا يقف مع الأدب فى البسط إلا القليل وهكذا يسيره بين شهود جماله وجلاله، فإذا شهد أثر وصف الجلال انقبض، وإذا شهد أثر وصف الجمال انبسط ثم يفتح له الباب، ويرفع بينه وبينه الحجاب فيتنزه فى كمال الذات، وشهود الصفات، فيغيب عن أثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال .. فلا جلاله يحجبه عن جماله، ولا جماله يحجبه عن جلاله، ولا ذاته تحبسه عن صفاته، ولا صفاته تحبسه عن ذاته يشهد جماله فى جلاله، وجلاله فى جماله، ويشهد ذاته فى صفاته، وصفاته فى ذاته، أخرجه عن شهود أثر الجلال والجمال، ليكون عبداً لله فى كل حال، أخرجه عن كل شئ ليكون حُراً من كل شئ وعبداً له فى كل شئ ..

وقد قال قائلهم:

"القبض أولاً، ثم البسط ثانياً، ثم لا قبض ولا بسط، لأن القبض والبسط لمعان فى الوجود، وأما مع الفناء والبقاء فلا ..

وللقبض والبسط آداب، فمن أساء فيهما الأدب طرد إلى الباب، أو إلى سياسة الدواب.

فمن آداب القبض: الذى لا نعرف له سبباً:

١ - الطمأنينة والوقار.

٢ - السكون تحت مجارى الأقدار.

٣ - الرجوع إلى الواحد القهار.

فإن القبض شبيه بالليل والبسط شبيه بالنهار ومن شأن الليل الرقاد والهدوء والسكون.

وعلى السالك أن يسكن تحت ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليه شموس نهار البسط، إذ لابد لليل من تعاقب النهار، ولابد للنهار من تعاقب الليل.

أما آداب القبض الذى تعرف أسبابه:

١ - أن ترجع فيه إلى مسبب الأسباب.

٢ - وأن تلوذ بجانب الكريم الوهاب.

وسبب القبض هو النظر السوى، والغفلة عن المولى ..

وأما أهل الصفا فلا يشهدون إلا الصفا ..

لذلك كان المصطفى ﷺ يقول:

« مَنْ أصابه هم أو غم فليقل: الله .. الله لا أشرك به شيئا .. فإن الله يذهب همه وغمه ».

وهكذا دل ﷺ المقبوض إلى الدواء وهو:

١ - شهودُ التوحيد.

٢ - والغيبة عن الشرك.

فكأنه ﷺ قال: اعرفوا الله ووحدوه ينقلب قبضكم بسطاً، ونقمتكم نعمة ..

وقال ﷺ أيضاً:

« ما قال أحد: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن آمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فى حكمك عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبى، ونور بصرى، وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدل مكان همه فرحاً وسروراً ».

فدلنا فى الحديث الأول على شهود الربوبية، وفى الحديث الثانى على القيام بوظائف العبودية، وهو الصبر والرضى، إذ من شأن العبد أن يصير على أحكام سيده، ويسلم ويرضى لما يجريه عليه من أوصاف قهره.

ومن آداب البسط:

- كف الجوارح عن الطغيان، وخصوصاً جارحة اللسان، فإن النفس إذا فرحت بطرت وخفت ونشطت ..

فربما تنطق بكلمة لا تلقى لها بالاً، فتسقط فى مهاوى القطيعة بسبب سُوء أدبها، ولذلك كان البسط مزلة أقدام، فإذا أحس المريد بالبسط، فليلجم نفسه بلجام الصمت،

وليتحلى بحلية السكينة والوقار وليدخل خلوته وليلزم بيته . .

والسالك فى حالة القوة والبسط يكون نوره قوياً وقلبه مجموعاً ، فإذا تحرك وبطش وتتبع قوته ، برد ورجع لضعفه ، وما ذلك إلا لسوء أدبه.

ولأجل هذا كان العارفون يخافون من البسط أكثر من القبض ، كما قيل:

« العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ».

وكل من فتح عليه فى شهود المعانى فهو عارف ، فإن تمكن من شهود المعنى على الدوام فهو واصل متمكن ، وإلا فهو سائر ، وإنما كان العارف إذا انبسط أخوف منه إذا انقبض ، لأن القبض من شأنه أن يقبض النفس عن حظوظها ، ومن شأنه أيضاً السكون ، والسكون كله أدب . . ومن شأن البسط أن يبسط النفس وينشطها ، فربما تبطش لما فيه حظها ، فتزل قدم بعد ثبوتها بسبب قلة آدابها ولذلك قالوا:

« ولا يقف على حدود الأدب فى البسط إلا قليل »

وهم - العارفون - أهل الطمأنينة والتمكين لأنهم كالجبال الرواسى ، لا يحركهم قبض ولا بسط ، فهم مالكون الأحوال لا يخرجهم القبض ولا البسط عن حالة الاعتدال بخلاف السائرين وإن كانوا عارفين ، فإنهم ربما تؤثر فيهم الواردات فيرد عليهم وارد البسط فيخرجهم عن حد الأدب ، وقد قيل:

« قف على البساط وإياك والانبساط »

وقد قالوا أيضاً:

(البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرع والقبض لا حظ للنفس فيه ».

وقد قيل:

« القبض من الحق منك ، والبسط حقك منه ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك ».

وهذا كله فى حق السائرين ، وأما الواصلون المتمكنون فلا يؤثر فيهم جلال ولا جمال ، ولا يحركهم قبض ولا بسط ، لأنهم بالله تصرفهم ، ولله عبوديتهم ، ومن الله ورودهم ، وإلى الله صدورهم.

قال الجنيد رضي الله عنه :

« الخوف يقبضنى ، والرجاء يبسطنى ، والحقيقة تجمعنى ، والحق يغرقنى ، إذا قبضنى

بالخوف أفنانى عنى، وإذا بسطنى بالرجاء، ردنى علىَّ، وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى. وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه، فهو فى كل ذلك محركى غير مسكنى، وموحشى غير مؤنس، بحضورى لذوق طعم وجودى، فليته أفنانى عنى، فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى».

فقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الخوف يقبضني: لأن العبد فى حالة الخوف يشهد ما منه من الإساءة إلى الله فينفتح له باب الحزن..

وفى حالة الرجاء يشهد ما من الله إليه من الإحسان فينفتح له باب الرجاء والبسط.

وقوله: والحقيقة تجمعني: أي تغنينى عن نفسى وتجمعنى به، فلا تشهد إلا ما من الله إلى الله، فلا قبض ولا بسط.

وقوله: والحق يفرقني: المراد بالحق، الحقوق اللازمة للعبودية فلا ينهض إليها إلا بشهود نوع من الفرق، وإن كان نهوضه بالله.

وقوله: إذا قبضني الحزن أفناني عني: أى إذا تجلى لى باسمه «الجليل» ذاب جسمى من هيبة المتجلى، وإذا بسطنى بالرجاء بأن تجلى لى باسمه «الجميل أو الرحيم» رد نفسى ووجودى على، وإذا جمعنى إليه بشهود الحقيقة أحضرنى معه بزوال وهمى، وإذا فرقنى بالحق الذى أوجبه على للقيام بوظائف حكمته، أشهدنى غيرى، حتى يظهر الأدب منى معه وقد يقوى الشهود فلا يشهد الأدب إلا منه إليه.

وقوله: فغطاني عنه: لأن العبد فى حالة النزول إلى سماء الحقوق، أو أرض الحظوظ قد يرجع لمقام المراقبة، فإن نزوله يكون بالله ومن الله وإلى الله، فعلى هذا لا تغطية للعبد فى حالة النزول للحق أصلاً.

وقوله: وهو فى كل ذلك محركي غير مسكني: يعنى أن الحق تعالى حين يقبضه بالخوف أو يبسطه بالرجاء أو يجمعه بالحقيقة، أو يفرقه بالحق هو محرك له ليسيره إليه، غير مسكن له مقام واحد، وموحشه عن عوالم نفسه غير مؤنس له بها بسبب حضوره مع عوالمه البشرية، فيذوق طعم وجودها، فإذا غيبه عنه عرف قدر ما منَّ به عليه، ولذلك قال:

فليته أفنانى عني:

أى عن رؤية وجودى فمتعنى بشهوده، أو غيبنى عن حسى، فروحنى من الحقوق التى تفرقنى عنه بإسقاطها عنى فى حالة الغيبة، وكأنه مال لطلب السلامة خوفاً من الوقوع فيما يوجب الملامة وإن كان الجمع بين العبودية وشهود الربوبية هو الكمال.

والغالبُ على النفس الأمارة واللوامة أن تنبسط بالعطاء وتنقبض بالمنع، لأن فى العطاء متعتها ،شهوتها فلا جرم أنها تنبسط بذلك، وفى المنع قطع مرادها، وترك حظوظها، ولا شك أنها تنقبض بذلك، وذلك لجهلها بربها، وعدم فهمها ولو فهمت لعلمت أن:

«المنع عين العطاء، والعطاء عين المنع»

فافهم أيها المريد عن مولاك ولا تتهمه فيما به أولاك ..

١- فربما أعطاك ما تشتهيه النفوس ..

فمنعك بذلك حضرة القدوس ..

وربما منعك ما تشتهيه نفسك ..

فيتم بذلك حضورك وأنسك.

٢- وربما أعطاك متعة الدنيا وزهرتها ..

فمنعك جمال الحضرة ومنعتها ..

وربما منعك متعة الدنيا وزهرتها ..

فأعطاك شهود الحضرة ونظرتها.

٣- و ربما أعطاك قوت الأشباح ..

فمتعك قوت الأرواح.

وربما منعك من قوت الأشباح.

فمتعك بقوت الأرواح

٤- وربما أعطاك إقبال الخَلْقْ ..

فمنعك من إقبال الحق.

وربما منعك من إقبال الخلق.

فأعطاك الأنس بالملك الحق.

٥- وربما أعطاك العلوم وفتح عليك مخازن الفهوم.

فحجبك بذلك عن شهود المعلوم ومعرفة الحى القيوم.

وربما منعك من كثرة العلوم ..

وأعطاك الأنس بالحى القيوم، فأحطت بكل مجهول ومعلوم.

٦- وربما أعطاك عز الدنيا ..
ومنعك عن الآخرة.
وربما منعك من عز الدنيا ..
وأعطاك عز الآخرة.
٧- وربما أعطاك التعزز بالخَلْق ..
ومنعك من التعزز بالحق.
وربما منعك من التعزز بالخلق ..
وأعطاك التعزز بالملك الحق.
٨- وربما أعطاك خدمة الكون ..
فمنعك من شهود المكوِّن.
وربما منعك من خدمة الكون ..
وأعطاك شهود المكوِّن.
٩- وربما أعطاك التصرف فى المُلك ..
ومنعك دُخول الملكوت.
وربما منعك من التصرف فى المُلك ..
ومنحك شهود الملكوت.
١٠- وربما أعطاك أنوار الملكوت ..
ومنعك الترقى إلى بحر الجبروت.
وربما منعك من أنوار الملكوت ..
فأعطاك الدخول إلى حضرة الجبروت.
١١- وربما أعطاك القطبانية ..
ومنعك التمتع بشهود الفردانية ..
وربما منعك القطبانية ..
ومتعك بشهود سر الوحدانية.
إلى غير ذلك من أنواع العطاء والمنع مما لا يحصيه إلا علام الغيوب ..

فإذا فهمت أيها العبد عن الله، بعد تحققك برحمته، ورأفته، وكرمه، وجوده، ونفوذ قدرته، وإحاطة علمه، علمت أنك إذا سألته شيئاً أو هممت بشئ أو احتجت إلى شئ، فمنعك منه، فإنما منعك ذلك رحمة بك وإحساناً إليك، إذ لم يمنعك عن بخلٍ أو عجزٍ أو جهلٍ أو غفلةٍ منه، وإنما ذلك حُسن نظر إليك وإتمام لنعمته عليك، لكونه أتم نظراً وأحمد عاقبة..

﴿ وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكمْ وعسىٰ أن تُحبُّوا شيئًا وهو شرٌ لكمْ واللهُ يعلمُ وأنتمْ لا تعلمُونَ ﴾ (البقرة - ٢١٦).

فربما دبرنا أمراً ظننا أنه لنا، فكان علينا، وربما أتت الفوائد من وجود الشدائد، والشدائد من وجود الفوائد، وربما كمنت المنن فى المحن، والمحن فى المنن، وربما انتفعنا على أيدى الأعداء وأوذينا على أيدى الأحباء، وربما تأتى المسرات من حيث المضار، وقد تأتى المضار من حيث المسار.

يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه فى حزبه:

«اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضرر عن أنفسنا من حيث نعلم، بما نعلم، وكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم، بما لا نعلم!؟..».

فمتى فتح الله على العبد باب الفهم عنه فى المنع وعلم ما فيه من الخير والشر، وحسن النظر له، عاد المنع فى حقه هو عين العطاء.

ومثال ذلك:

كصبى رأى طعاماً حسناً، أو حلوى، أو عسلاً، وفيه سم، وأبوه عالم بما فيه، فكلما أقبل الصبى على هذا الطعام الذى يشتهيه منعه أبوه.. فالصبى يبكى عليه لعدم علمه، وأبوه يرده بالقهر لوجود علمه.

فلو عقل الصبى ما فيه لما أقبل عليه، والعلم نصح أبيه، وشدة رأفته به.

ومثال آخر:

رجل صنع طعاماً جيداً وجعل فيه البُصاق والمخاط والأقذار، وأتى به لمن لا يعرفه، فكل من رآه ولم يعرف ما فيه أقبلت نفسه عليه، فلو علم ما فيه ما أقبلت نفسه، فإذا نهاه عنه مَنْ علم ما فيه اتهمه، لعدم فهمه..

كذلك العبد يقبل على الدنيا أو الرياسة أو غير ذلك مما فيه ضرره، فمنعه الحق تعالى منه رحمة به وشفقة عليه واعتناءً به، فإذا فهم عن الله سلم الأمر إلى مولاه، ولم

يتهمه فيما أبرمه وقضاه، وإذا لم يفهم عن الله تحسر وربما سقط، فإذا انكشف له سر ذلك بعد: علم ما كان فى ذلك من الخير ولكن فاتته درجة الصبر.

لقول المصطفى ﷺ:

«إنما الصبرُ عند الصدمة الأولى».

ولننظر لقضية الرجل الذى كان يسكن فى البادية وكان من العارفين، فمات حماره ذات يوم وكذلك مات كلبه وديكه .. فأتى إليه أهله، فقالوا له حين مات الحمار: مات حمارُنا، فقال: خير، ثم قالوا: مات الكلب، فقال: خير، ثم قالوا: مات الديك، فقال: خير..

فغضب أهل الدار، وقالوا: أى خير فى هذا؟ متاعنا ذهب ونحن ننظر، وفى نفس الليلة أغار بعض العرب على الحى فاجتاحوا كل ما فيه، وكانوا يستدلون على الخيام بنهيق الحمير، ونباح الكلاب، وصياح الديكة، فأصبحت خيمته سالمة، إذ لم يكن بقى فيها من يفضحها ..

فانظر كيف كان حسن نظر الحق لأوليائه، وحسن تدبيره لهم، وكيف فهم الرجل العارف ما فى ذلك من السر فى أول مرة ..

فهذا هو الفهم عن الله، رزقنا الله جميعاً من ذلك الحظ الأوفر ..

قال الشبلي رضي الله عنه:

«الصوفية أطفال فى حجر الحق تعالى».

يعنى أنه سبحانه وتعالى يتولى حفظهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم، ولا يكلهم لأنفسهم ..

وسبب عدم الفهم عن الله: هو الوقوف مع ظواهر الأشياء دون النظر إلى بواطنها ..

ويبين لنا ذلك مما قاله العارفون:

«الأكوان ظاهرها غِرة، وباطنها عبرة»

والغرة بكسر الغين، وقوع الغرور ..

وإنما كانت الأكوان ظاهرها غرة لوجهين:

(١)- ما جعل الله سبحانه وتعالى على ظاهر حسها من البهجة وحسن النظر وما تشتهيه النفوس من أنواع المأكل والمشارب والملابس والمراكب وشهوة المناكح والمساكن

والبساتين وكثرة الأموال والبنين وكثرة الأصحاب والعشائر والأجناد والعساكر، وغير ذلك من بهجتها وزهرتها وزخرفها، فانكب جل الناس على الاشتغال بجمعها وتحصيلها، حتى هجم عليهم هادم اللذات، ومفرق الجماعات، فأعقبهم الندم والحسرات، ولم ينفع الندم وقد جف القلم.

فقد سافروا بلا زادٍ، وقدموا على الملك بلا تأهب ولا استعداد، فاستوجبوا من الله الطرد والبعاد.

ولأجل هذا حذر الله سبحانه وتعالى من غرورها وزخرفها، والوقوع مع ظاهرها .. قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ (آل عمران - ١٤).

ثم قال جل شأنه:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران - ١٥).

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف - ٧).

وقال تعالى لنبيه المصطفى ﷺ:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾ (الحجر - ٨٨).

وسئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال:

«الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فلا عارضهم من نائلها عارض إلا ورفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه، خُلقت الدنيا فى قلوبهم فلم يجدوها وخربت بنيانهم فلم يعمروها، وماتت فى صدورهم فما يحبونها بل يهدمونها، فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها ليشتروا بها ما يبقى لهم، ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت منهم المثلات، فما يرون أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يجدون».

وقال الإمام على كرم الله وجهه فيما كتبه لسلمان الفارسي رضي الله عنه:

«إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عنها وعما يعجبك

منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها، وكن أسر ما تكون فيها، إحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها، أشخص منها إلى مكروه».

فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأكوان وهي الدنيا وما اشتملت عليه، ظاهرها فتنة وباطنها عبرة، فمن وقف مع ظاهرها كان مغروراً، ومن نفذ إلى باطنها كان عند الله مبروراً، فأهل الغفلة والبطالة وقفوا مع متعة عاجلها وبهجة ظاهرها، فغرتهم بزخرفها، وخدعتهم بغرورها، حتى أخذتهم بفتة وأهل اليقظة والحزم نفذوا إلى باطنها فعرفوا سرعة ذهابها وقلة بقائها، فاشتغلوا بجمع الزاد، وتأهبوا ليوم المعاد..

أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون..

وكان السلف الصالح إذا أقبلت الدنيا قالوا:

«ذنْبُ عُجلتْ عقوبته»

وإذا أدبرت وأقبل الفقر قالوا:

«مرحباً بشعار الصالحين».

(٢) والوجه الثاني – فقد جعل الله سبحانه وتعالى الأكوان ظاهرها غرة، تغطية لسره وإظهاراً لحكمته. وذلك أن الحق سبحانه لما تجلى فى مظاهر خلقه غطى سره بظهور حكمته.

– أو نقول: الأكوان ظاهرها ظلمة وباطنها نور، فمن وقف مع الظلمة كان محجوباً، ومن نفذ إلى شهود النور كان عارفاً محبوباً.

– أو نقول: الأكوان ظاهرها حِس وباطنها معنى فمن وقف مع الحس كان جاهلاً، ومن نفذ إلى المعنى كان عارفاً.

– أو نقول: الأكوان ظاهرها مُلْك، وباطنها ملكوت، فمن وقف مع الملك، كان من عوام أهل اليمين، ومن نفذ إلى شهود الملكوت كان من خواص المقربين.

وانظر إلى قولهم:

«فالنفس تنظر إلى ظاهر غيرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها»

وإنما كانت النفس تنظر إلى ظاهر غيرتها لما فيها من متعة شهوتها وحظوظها، فلا يخرجها عن ذلك إلا شوق مغلق أو خوف مزعج، أو عناية ربانية إما بواسطة شيخٍ كامل له إكسير يقلب به الأعيان أو بغير واسطة.

﴿ واللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم ﴾ (آل عمران - ٧٤).

وإنما كان القلب ينظر إلى باطن عبرتها لما فيه من نور العرفان، الذى يُفرق بين الحق والباطل، ويميز بين النافع والضار، وهو ثمرة التقوى والتصفية أو نقول: لما فيه من عين البصيرة التى لا ترى إلا المعانى بخلاف عين البصر التى لا ترى إلا الحس، فقد وقف أهلُ النفوس مع ظواهر الأشياء، واغتروا بعاجلها ولم يهتموا بآجلها، فحجبوا عن العمل، وغرهم الأمانى وطول الأمل ..

وفى مثل هؤلاء، ورد الخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام، كان يقول:

«ويلكم يا علماء السوء، مثلكم كمثل قناة حش ظاهرها بض وباطنها نتن».

والحش: هو بيت الخلاء.

وأهل القلوب لم يقفوا مع ظواهر الأشياء بل نفذوا إلى بواطنها واهتموا بآجلها، ولم يغتروا بعاجلها، فاشتغلوا بالجد والإجتهاد، وأخذوا فى الأهبة والاستعداد، وهم العباد الزهاد، وأهل الأرواح والأسرار لم يقفوا مع الأكوان، لاظاهرها العاجل، ولا باطنها الآجل، بل نفذوا إلى نور الملكوت، فاشتغلوا بتطهير القلوب والتأهب لحضرة علام الغيوب، حتى صلحوا للحضرة وتنوهوا فى رياض الفكر والنظرة.

﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّه أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّه هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة - ٢٢).

﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم ﴾ (الواقعة - ١١).

وهؤلاء، ومن تعلق بهم هم الأعزاء عند الله .. تعززوا بطاعة العزيز، فأعزهم العزيز..

كما أشاروا لذلك بقولهم:

«إن أردت أن يكون لك عز لا يفني فلا تستعزن بعزٍ يفني».

فالعزُ الذى لا يفنى هو العز بالله والغنى بطاعة الله، أو بالقرب ممن تحقق عزه بالله..

فالعز بالله يكون بتعظيمه وإجلاله، وهيبته ومحبته ومعرفته، وحُسن الأدب معه فى كل شئ وعلى كل حال ويكون بالرضى بأحكامه، والخضوع تحت قهر جلاله وكبريائه وبالحياء والخوف منه، ويكون بالذُل والإنكسار ..

وذلك تحقيقاً لقول القائل:

تذلل لمن تهوى لتكسب عزه

فكم عزة قد نالها المرء بالذل

إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن

ذليلاً له فاقر السلام على الوصل

ويقول القطب سيدى أبو الحسن الشاذلي:

«والله ما رأيت العز إلا فى الذل».

ويقول الإمام العربى:

«والله ما رأيت الذل إلا فى الفقر».

إذ لا يتحقق ذل الإنسان إلا بالفقر، فهو ذل الذل لأن النفس تموت بالفقر، ولا يبقى لها عرق أصلاً.

وأما العز بطاعة الله فهو بالمبادرة لامتثال أمره واجتناب نهيه والإكثار من ذكره، وبذل المجهود فى تحصيل بره.

وأما العز بالقرب ممن تحقق عزه بالله، فيكون بصحبتهم وتعظيمهم وخدمتهم وحُسن الأدب معهم، وهذا فى التحقيق يرجع إلى التعزز بالله لكونه وسيلة إليه فإذا تحقق عزه بالله استغنى بعز الله عن عز غيره فمن حصل هذا العز وتحقق به، فقد تعزز بعز لا يفنى أبداً، ينسحب عليه وعلى أولاده، وأولاد أولاده إلى يوم القيامة..

قال تعالى:

﴿ من كانَ يُريدُ العِزَّةَ فللهِ العِزَّةُ جميعًا ﴾ (فاطر - ١٠).

وقال تعالى:

﴿ ومن يتولَّ اللهَ ورسُولَهُ والَّذين آمنُوا فإنَّ حزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُون ﴾ (المائدة - ٥٦).

والمراد بالذين آمنوا هم الأولياء أهل الإيمان الكامل.

وقال تعالى:

﴿ وللهِ العِزَّةُ ولرسُولهِ وللمُؤْمنينَ ولكنَّ المُنافقينَ لا يعْلمُون ﴾ (المنافقون - ٨).

وقد قال الإمام على كرم الله وجهه:

« مَنْ أراد الغنى بغير مال، والكثرة بغير عشيرة، فلينتقل من ذل المعصية إلى عز الطاعة ».

ولنتأمل قضية الرجل الذى أمر هارون الرشيد بالمعروف فحنق عليه، فقال: أربطوه مع بغلة سيئة الخُلُق لتقتله، فلم تقض عليه .. ثم قال: اسجنوه، وطينوا عليه البيت، ففعلوا، فرؤى فى بستان .. فأتى به .. فقال: مَنْ أخرجك من السجن؟

قال الذى أدخلنى البستان.

فقال: فمن أدخلك البستان؟

فقال: الذى أخرجنى من السجن ..

فعلم هارون الرشيد أنه لم يقدر على ذله، فأمر هارون أن يركب على دابة وينادى عليه:

« ألا إن هارون أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر »

ولابد أن نعلم:

أن سبب العز الذى يعطيه الله لأوليائه هو حبه لهم، فالعز نتيجة الحب ..

وفى حديث الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس ».

منطـق الصوفيـة

إن المشـتـغلين بأى حـرفـة أو عـمل يسـتـعـملون عند فـك رمـوزهم بعض الألفـاظ والعبارات ..

يعرفون معناها فقط ..

وقد اخترت هذه العبارات لأمرين أساسيين:

١- **أولهما** - أ- لتسهيل الفهم.

ب- ولتذليل المصاعب.

جـ- والتقريب لفهم الطالب.

٢- **وثانيهما** - حجب أسرار هذا العلم عن غير أهله.

والصوفيـة لهم أيضاً اصطلاحات فى بيان مُذاكرتهم، ولكنهم يكشفـون ويوضحـون معانيهم كما يحبون أو يريدون.

فلأهل اللغة مصطلحات خاصة:

مـثل: الفعـل الماضى، والمسـتـقبل، والصـحيح، والمُعتل، والأجـوف، واللفـيف والناقص ومثل ذلك ..

وأهل النحو يختصون بمصطلحات ..

مثل: الرفع والنصب والفتح والخفض والجر والكسر والمنصرف وغير المنصرف .. وما يشبه ذلك ..

وأهل العروض: مختصون بعبارات موضوعاتهم ..

مثل: البحور والدوائر والوتد والفاصلة والفرد والزوج، وما يشبه ذلك.

وأصحاب الحساب: مختصون بعبارات:

مثل الضرب والجذر والإضافة والتضعيف والتصنيف والجمع والتفريق ..

وما يشبه ذلك.

والفقهاء - مختصون بعباراتهم:

مثل: العلة والمعلول والقياس والاجتهاد والدفع والإلزام ..

وما يشبه ذلك ..

وأهل الحديث كذلك ومن عباراتهم:

المسند والمرسل والآحاد والتواتر والجرح والتعديل ..

وما يشبه ذلك.

وللمتكلمين عباراتهم:

مثل: العَرَض والجوهر، والكل، والجزء والجسم والجنس والتميز والتولي ..

وما يشبه ذلك.

إذن فلهذه الطائفة «الصوفية» أيضاً ألفاظ موضوعة في ظاهر كلامهم وفي باطنه..

١- يتصرفون بها في الطريقة.

٢- ويهفون ويبدون ما يشاءون.

ومن مصطلحاتهم:

«الحال .. والوقت»

الوقت: هو اصطلاح متبادل بين الصوفية ..

وقد تكلم المشايخ عنه كثيراً ..

فالوقت هو الفراغ مما مضى ومما هو آتٍ ..

مثال ذلك: إذا ورد على النفس واردُ حقيقي وصار به القلب مجتمعاً:

١- فإنه لا يشتغل بذكر ما مضى.

٢- ولا الفكر فيما هو آت.

وكل الناس واقعون في هذا ولا يعرفون ماهية الماضي ولا ما سيحدث في المستقبل.

وأرباب الأوقات الذين يقولون:

«لا شأن لعلمنا بإدراك ما فات وما هو آت .. نحن سعداء مع الله في الوقت الذي نكون فيه، لأننا إذا شغلنا بالغد أو أذهبنا القلب حسرات على الأمس لحجبنا عن الوقت، والحجاب اضطراب .. إذن فكل ما لا تبلغه اليد، من العبث التفكير فيه .. كما يقول أبو سعيد الجزار:

«لا تشغل وقتك العزيز، إلا بأعز ما هو موجود»

وأعز ما هو عند العبد شغله الذى يشغله لقوله ﷺ:

«لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل».

أى أن العوالم الثمانية عشر ألفاً لا تخطر لى على بال، ولا تساوى مثقال ذرة فى نظرى، ولذلك فإنه فى ليلة المعراج عُرض عليه ﷺ ملكوت السموات والأرض بكل أنواع الجمال فلم يلتفت إليها.

وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ ما زاغ الْبصرُ وما طغىٰ ﴾ «النجم - ١٧».

لأن المصطفى ﷺ عزيز، والعزيز لا يهتم إلا بالعزيز.

- **والأوقات لا تخرج عن وقتين:**

١ - أحدهما فى حالة الفَقدْ.

٢ - والآخر فى حالة الوجدْ.

- الأولى فى مقام الوصال..

- والثانية فى مقام الفرقْ..

وفى كلى الوقتين هو مقهور:

١ - لأن وصله فى الوصل بالله تعالى.

٢ - وفرقه فرقْاً عن الله تعالى.

ولا ثبات لاكتسابه بينهما حتى يستطيع أن يصفهما.. وحيما تغلُ يد العبد عن أوقاته فكل ما يفعله أو يراه فبالحق..

يروى عن الجنيد أنه قال:

«رأيت درويشاً فى البادية قد جلس فى ظل بعض أشواك الحسك فى مكانٍ قفرٍ شديد الوعورة.. فقلت له:

يا أخى.. ما أجلسك هنا؟

قال: أعلم أنه كان لى وقت ضاع منى هنا، فجلست فى هذا المكان أعض بنان الندم عليه..

قلت: منذ متى؟

قال: مضت اثنتا عشر سنة، وهمتى فى العمل لعلى أصل إلى مرادى وأسترد وقتى..

قال الجنيد = فذهبت وعجبت ودعوت له ..

ووجد بغيته ..

وعند عودتى من الحج، وجدته جالساً فى نفس المكان فسألته: لماذا لم تذهب من هذا المكان بعد أن نلتْ بغيتك؟

فقال: أيها الشيخ إنى أقمت فى هذا المكان القفر الذى أضعت فيه رأس مالى، فهل من العدل أن أتركه بعد أن وجدته فيه ثانية .. والذى أنستُ فيه بمشاهدة ربى !! ..

إمضِ يا سيدى بسلامٍ ..

إنى سأمزج ترابى بتراب هذا المكان، حتى أقوم يوم القيامة من تراب هذا المقام الذى صار به أنسى وسرورى» ..

وليس لإنسانٍ أن يبلغ حقيقة الوقت بحوله وقته، لأن الوقت هو ذلك الشئ الذى ليس فى ملك الإنسان حتى يمكن نيله بالمجاهدة، ولا يباع فى الأسواق حتى يشتريه الإنسان بنفسه وليس للإنسان حول على نيله ومنعه.

قال المشايخ:

«الوقتُ سيف قاطع»

لأن من أوصاف السيف القطع، والوقت يقطع جذور المستقبل والماضى، ويفنى الاشتغال بالأمس والغد من القلب .. والسيفُ صاحب خطر:

١- لأنه إما ملك. ٢- وإما أهلك.

ولو أن الإنسان يكرم سيفه ألف سنة ويحمله تحت عاتقه لا يفرق حين القطع بين رأس صاحبه ورأس الغير .. فالقهر من أوصافه ولا ينتزع منه برغبة صاحبه أو غيره ..

أما الحـــال:

فهو ما يتنزل على الوقت فيجمله كما يجمل الروح الجسد ..

فالوقت يحتاج إلى الحال لأنه يتجمل ويدون به، فإذا مُنح صاحب الوقت الحال، فإنه لا يكون عرضة للتحويل، وبذلك يصير مستقيماً فى مجاهداته، لأن مَنْ كان عنده الوقت بغير حال، ربما فقده، أما إذا اتصل الحال صارت كل أيامه وفقاً لما يجرى عليه الزوال، فلا

يفقد شيئاً لأن مجئ الوقت وذهابه هو فى الحقيقة نتيجة الكمون والظهور، وحيث إن الوقت نزل على صاحبه من قبل فمن أنس بالكمون ربما غفل، حتى إذا ورد عليه الحال جعله متمكناً حاضراً، لأن صاحب الوقت لا يغفل أبداً وقد قالوا؟:

«لسانُ الحال سكوت اللسان فى فنون البيان»

وقال أبو على الدقاق:

«إذا كان ثبور أو سرور فى هذه الدنيا أو فى الأخرى، فنصيب الوقت منها هو الشعور بما يصدر من أحدهما، لكن الحال ليس كذلك لأنه إذا ورد الحال على الإنسان فى الله سبحانه وتعالى أفنى جميع هذه المشاغل من القلب..

ولذلك فإن سيدنا يعقوب ﷺ كان صاحب وقت لأنه فقد بصره بالفرق حتى رُد إليه بالوصل فهو: ١- حيناً من الغم كالشعرة.

٢- وحيناً من النواح كالقُصة.

٣- وحيناً من الروح كالروح.

٤- وحيناً من السرور كالسرور.

أما سيدنا إبراهيم ﷺ فإنه كان صاحب حال

١- حتى أنه لم يشعر بالفرق حتى يحزن..

٢- ولم يشعر بالجمع حتى يفرح..

ومشاهده فى الشمس والقمر والنجوم والليل على حاله، لأنه فى حال نظره إليها كان محفوظاً عن الاشتغال بها وحيثما توجه رأى ربه.

فيقول:

﴿ لا أُحبُ الآفلينَ ﴾ «الأنعام - ٧٦».

لذلك: فالدنيا فى بعض الأحوال تكون كالنار لصاحب الوقت لأنه يشعر بالغيبة ويتألم قلبه بفقد محبوبه.

وفى بعض الأحوال تكون كالجنة بنعمة المشاهدة.

بيد أن صاحب الحال لا يميز بين:

١- حجابه بالبلوى. ٢- أو كشفه بالنعمى.

لأنه دائماً مقام «العيان» فالحال صفة المراد والوقت مقام المريد.

١ - فالآخر مع نفسه فى صفاء وقته ..

٢ - والأول مع ربه فى صفاء حاله ..

وشتان بين المنزلتين.

المقام والتمكين - والفرق بينهما

المقــام - هو إقامة الطالب على أراء حقوق المطلوب.

١ - بشدة اجتهاد. ٢ - وصحة نية.

فكل من طلب الحق سبحانه وتعالى .. له مقام .. وهو السبب لأهل البداية الذى به طلب ربه، ومع أن الطالب يستفيد به بعض الفائدة فإنه يسكن إلى مقام مخصوص فى النهاية .. لأن المقام والبحث عنه يُشكل الترتيب والرسم لا الأخلاق والمعاملة ..

وقد قال تعالى:

﴿ وما منَا إلاَّ لهُ مقامٌ معْلُومٌ ﴾ (الصافات - ١٦٤).

١ - فمقام سيدنا آدم عليه السلام	**التوبة.**
٢ - ومقام سيدنا نوح عليه السلام	**الزهد.**
٣ - ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام	**التسليم.**
٤ - ومقام سيدنا موسي عليه السلام	**الإنابة.**
٥ - ومقام سيدنا يحيى عليه السلام	**الخوف.**
٦ - ومقام المصطفى ﷺ ..	**الذكر.**

وقد أخذ كل منهم بعض الشئ من المقامات الأخرى.

لكن كل واحد منهم رجع فى النهاية إلى أصل مقامه.

اعلم أن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى على ثلاثة أنواع: مقام، وحال، وتمكين ..

فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رُسلاً لبيان السبيل، وتميز أصول المقامات المختلفة ..

وقد أتى الرسل بـ ١٢٤ مقاماً، أو فوق ذلك العدد .. ولما أتى رسول الله ﷺ تجمل بالحال.

لكل صاحب مقام حتى بلغ به درجة يعجز الإنسان عن نيلها بحوله، فكمل الدين بذلك فى أهله ..

حيث قال الله تعالى:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾
«المائدة - ٣»

فظهر تمكين المتمكن ..

والتمكين - يدل على مقام السالك الروحانى فى أفق الكمال وأعلى الدرجات، فمن كانوا فى مقاماتهم أمكنهم الانتقال من مقام إلى آخر ..

لكن صاحب التمكين يستحيل عليه أن ينتقل منه إلى درجة أخرى أعلى، لأن المقام هو رتبة أهل البداية، أما التمكين فهو مكمن أهل النهاية ..

والمقامات علامات فى الطريق، أما التمكين فهو السكون فى الحضرة، فأحباب الله تعالى غائبون عن أنفسهم على الطريق، وغائبون عن أنفسهم فى المقامات .. فقلوبهم حاضرة مع الله تعالى ..

ولما بلغ سيدنا درجة التمكين وسقطت عنه ألوان التلوين أمره الله تعالى أن يخلع نعليه، وأن يُلقى عصاه .. وذلك بقوله:

﴿ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ «طه - ١٢».

وهذا لكونهما عدة السفر، وهو فى حضرة ربه ..

فأول المحبة طلب، وآخرها سكون ..

قال بعض المشايخ:

«التمكين رفع التلوين».

والتلوين عند الصوفية هو التحول بعد التمكين ..

أما سيدنا محمد ﷺ فمتمكن .. حيث إنه لم تتغير حاله مع مكاشفة الحق له بجماله وجلاله من مكة إلى قاب قوسين ..

والتمكين على نوعين:

١- أحدهما يشيرُ إلى شاهد الحق.

٢- والآخر يشير إلى شاهد النفس.

وكان الشبلى يقول:

«يا دليل المتحيرين زدنى تحيراً»

وقال عمر بن الفارض:

زدني بفرط الحب فيك تحيـــرا

وارحم حشا بلظى هواك تسعـــرا

وإذا سألتـــك أن أراك حقيقــة

فاسمح ولا تجعل جوابي لن تــري

المحاضرات والمكاشفات والفرق بينهما

المحاضرات - تدل على حضور القلب عند البيان.

أما المكاشفات - فتدل على حضور السر فى أفق البيان.

١- فالمحاضرات تدل على أو تشير إلى آيات الله تعالى.

٢- أما المكاشفات فهو دليل المشاهدات.

- فعلامة المحاضرات هى دوام التفكر فى آيات الله ..
- وعلامة المكاشفات هى دوام التفكير والحيرة فى جلال الله تعالى.

ويوجد فرق بين: مَنْ يتأمل فى أحكام الله تعالى.

وبين مَنْ هو فى حيرة منه تعالى.

- فالأول على قدم الخُلة.
- والثانى صاحب محبة.

ولما نظر خليل الله إبراهيم عليه السلام ملكوت السماء وتأمل فى حقيقة وجودها حضر قلبه بذلك وانتقل إلى طلب الفاعل، وكان حضوره هذا علامة على وجوده سبحانه وتعالى..

فقال بعد كمال المعرفة:

﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ «الأنعام - ٧٩»

وأما سيدنا محمد ﷺ حبيب الرحمن .. فإنه لما أُسرى به إلى السماء غض بصره عن كل شئ فلم ير حكماً ولا خلقاً، ولا نفسه، بل لم ير إلا الخالق تعالى، كاشفه بنفسه،

وازدادت رغبته في هذا الكشف ولكن عبثاً كان ﷺ يحاول الإدراك والوصل بالنسبة لأن تنزيه محبوبه عن كل الأغيار إزداد وضوحاً كلما زادت رغبته فلم يمكنه الالتفات ولا التقدم فوقع في حيرة . .

وحيثما كانت **الخلة** كانت الحيرة

وحيثما كانت **المحبة** صار الوصل.

والذي تحير منه في مقام الخلة هو الوجود والحيرة.

القبض والبسط والفرق بينهما

القبض والبسط حالتان إضطراريتان لا حول للإنسان على دفعهما . .

قال تعالى:

﴿ الله يقبض ويبصط ﴾ «البقرة - ٢٤٥».

فالقبض - هو انقباض القلب في حالة الحجاب.

والبسط - هو انبساط القلب في حالة الكشف.

- وقبض العارفين هو كخوف السالكين . .

- وبسط العارفين هو كرجاء السالكين.

والبعض يقولون إن القبض أرقى من البسط . .

بينما يقول البعض الآخر عكس ذلك . .

والعارفون يشعرون بالفرح فقط في مقام الجمع بمعلومهم والحزن في مقام الفرْق عن مطلوبهم . .

ويقول أحد العارفين:

«إن القبض والبسط كلاهما واحد، هما نتيجة وارد إلهي يرد من الله تعالى على الإنسان، وكلاهما:

١- إما أن يملأ القلب قبضاً ويملأ النفس سروراً.

٢- أو العكس.

فحينما يكون القبض للنفس، والبسط للقلب أو يكون القبض للنفس والبسط للقلب . .

وقد قال فى ذك أبو يزيد:

« قبض القلوب فى بسط النفوس، وبسط القلوب فى قبض النفوس ».

ومن المشهور فى كتب أهل الكتاب ..

أن يحيى عليه السلام كان يبكى منذ ولادته ..

وأن عيسى عليه السلام كان مبتسماً منذ ولادته ..

لأن يحيى كان فى قبضٍ وعيسى كان فى بسط ..

وكان يحيى يقول لعيسى: أليس لديك خوف القطيعة من الله تعالى؟

ويرد عيسى عليه: يا يحيى أليس لديك رجاء رحمة الله تعالى؟

الأنس والهيبة - والفرق بينهما

الأنس والهيبة هما حالتان لصعاليك طريق الله تعالى.

١- إذا ظهرت هيبة الله تعالى وعظمته فى قلب إنسان فسكن جلاله شعر بالهيبة..

٢- أما إذا سبق جماله سكر بالأنس ..

- فمن شعروا بالهيبة، فهم المبتلون.
- ومن شعروا بالأنس، فهم المبتهجون.

وهناك فرق بين من يحترقون بجلاله فى نار المحبة.

وبين المستنيرين بجماله فى ضوء المشاهدة.

قال بعض المشايخ:

« إنَّ الهيبة هى مرتبة العارفين، والأنس هو مرتبة المريدين.

لأنه كلما تعدم الإنسان فى حضرة الله تعالى ونزهه من الصفات، إزدادت هيبته وخشيته وازداد بعده عن الأنس لأن الإنسان لا يأنس إلا لمن هو على شاكلته ..

وأحباب الله تعالى يلزم أن يكونوا محفوظين من دواعى الهيبة ومتصلين بالأنس لأن الأنس يشمل المحبة ..

وإنه من المستحيل أن نتكلم عن الهيبة، فسُلطان الهيبة متسلط على النفس، وميولها، و تئول إلى فناءِ البشرية ..

أما قوة الأنس فهى متسلطة على القلب وتئول إلى تأييد المعرفة فيه ..

وعلى ذلك:

فالله سبحانه وتعالى يُفنى نفوس أحبابه وذلك بانكشاف جلاله لهم ..

ويُنعم قلوبهم فى الحياة الأبدية بمشاهدة جماله.

- فأهل الفناء يعتبرون الهيبة أرقى.
- أما أهل البقاء فيفضلون الأنس.

القهر واللطف - والفرق بينهما

يستعمل الصوفية إصطلاحى القهر واللطف عندما يشيرون إلى أحوالهم ..

فالقهر - هو ما يمدُهم الله به فى فناء إرادتهم وحفظ النفس من الوقوع فى أهوائها.

واللطف - يعنون به معونة الله تعالى فى بقاء قلوبهم، ودوام مشاهدتهم وتأييد وجدهم فى مقام الاستقامة.

- فأهل اللطف يقولون: إن الكرامة هى نيل المراد.
- وأهل القهر يقولون: إن الكرامة هى أن يحفظ الله تعالى الإنسان بإرادته من إرادة نفسه ويقهره بمراده.

يروى الشبلى رضي الله عنه:

«قُلت فى مُناجاتى مع ربى:

اللهم إنى لا ألتفت عنك، ولو جعلت السماء حلقة لرقبتى، والأرض قيداً لرجلى، والعالم كله ظمآن لدمى ..

وقال أحد العارفين:

اجتمعت جماعة من أولياء الله تعالى سنة من السنين فى الصحراء، فتبعت مُرشدى وهو الحصرى إلى ذلك المكان، فرأيت بعضهم ممتطياً نجيباً، والبعض محمولاً على كراسى، والبعض طائراً فى الهواء، فلم يلتفت الحصر إليهم، ثم رأيت شاباً نعلاه ممزقتان، وعصاه مكسورة، ورجلاه لا تكادان تحملانه، ورأسه عارية وعليه آثار التعب، فلما ظهر قام إليه الحصرى ورحب به ثم أجلسه فى مكانٍ مرتفع فاستغربت من ذلك وسألت شيخى عن هذا

الشاب، فقال: إنه أحد أولياء الله الذين لا يتبعون الولاية ولكنها تتبعهم، ولا يلتفت إلى الكرامة.

وباختصار .. فكل ما أردناه لأنفسنا هو مهلكة لنا فإذا أقامنى الله تعالى فى القهر فإنى لا أحب اللطف وإذا أقامنى فى اللطف فلا أريد القهر حيث إنى لا أختار على خيرته سبحانه وتعالى.

النفى والإثبات - والفرق بينهما

وضع أهل التصوف هذين الاصطلاحين .. النفى والإثبات .. لمحو الصفات الآدمية بإثبات التأييد الإلهى ..

فهم يشيرون بالنفى – إلى محو الصفة الآدمية.

ويعنون بالإثبات – تأييد سلطان الحق.

قال أحد الصالحين:

«اختيار الحق لعبده مع علمه بعبده خير من اختيار عبده لنفسه مع جهله بربه».

لأن المحبة فى عرف الجميع هى نفى مراد الحب، بإثبات مراد المحبوب.

ويروى فى بعض الآثار:

أن درويشاً كان يغرق فى البحر، فناداه بعضهم أيها الأخ .. تُحبُ أن تنجو؟

فقال له الدرويش: ما الذي أريده بنجاتى؟

«إن مرادى فيما أراده».

- **وأهل المعرفة يقولون:**

«إن نفى اختيارك هو أقل درجة فى المحبة وأما اختيار الله تعالى فأربى ويستحيل أن يُنفى .. بينما أن اختيار الإنسان عرضى وقابل للنفى ويلزم أن يوطأ بالأقدام حتى يبقى اختيار الله سبحانه وتعالى أبد الأبدين.

فموسى عليه السلام حين كان فى حال البسط على الجبل تمنى رؤية الله تعالى وقال بإثبات اختياره فقال الله تعالى:

﴿ لن تراني ﴾ (الأعراف - ١٤٣).

فرد موسى: الرؤيا حق فلماذا تمنعنى؟

فرد جل شأنه: (هو حق .. ولكن الاختيار فى المحبة باطل) ..

المسامرة والمحادثة - والفرق بينهما

هذان التعبيران يدلان على حالة الصوفى الكامل ..

فالمحادثة - هى فى الحقيقة كلام روحانى مقترن بصمت اللسان.

والمسامرة - هى دوام الانبساط مع كتمان السر.

– فظاهر معنى المسامرة أنها حال وقتى بين العبد وربه ليلاً.

– والمحادثة هى حالة مشابهة لها نهاراً.

فالمناجاة فى الليل .. تُسمى مسامرة.

والدعاء فى النهار .. يُسمى محادثة.

والمسامرة فى عرف المحبة أكمل من المحادثة ..

لأن لها صلة بحال النبى ﷺ فى موقف الإسراء والمعراج كان يُناجى ربه سراً فلما وصل إلى مقصوده سكت لسانه أمام مكاشفته بجلال الله تعالى.

بينما موسى عليه السلام سمع كلام الحق ولم يفُز بالرؤيا فعجز بذلك عن المطلب، وهناك فرق بين قال فيه ربه:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ «الإسراء - ١».

وبين من قال فيه: ﴿ ولـمَّا جاء موسىٰ لميقاتنا ﴾ «الأعراف - ١٤٣».

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والفرق بينهما

كل هذه الاصطلاحات الثلاثة فى عُرف المتصوف تدل على «العلم».

فالعلم بدون يقين بالعلوم ليس بعلم.

لكن إذا تمت المعرفة كان الأخفى جلياً ..

والمؤمنون الذين سيرون ربهم فى يوم القيامة سيرونه بالحالة التى يعرفونه هنا بها، إذ لو رأوه بغير ذلك لكانت رؤيتهم هناك ناقصة، وأن معرفتهم هنا كانت خاطئة، وكلا هذين الضدين مغاير للتوحيد الذى يلزم فيه أن تكون معرفة الناس بربهم هنا على أساس صحيح وبذا تكون رؤيتهم هناك صحيحة..

ولذلك فعلم اليقين هو كعين اليقين / وحق اليقين هو كعلم اليقين.

وقد قال بعضهم:

أنّ عين اليقين، هو كمال استغراق العلم فى الرؤية وهذا مستحيل ..

لأن الرؤية باب من أبواب العلم كالسمع وغيره فكما أن العلم لا يمكن استغراقه فى السمع، فاستغراقه فى الرؤية مستحيل أيضاً ..

والصوفية يعنون بعلم اليقين معرفة الفرائض الدينية فى هذه الدنيا طبقاً لأوامر الله سبحانه وتعالى.

ويعنون بعين اليقين - معرفة حالة النزع ووقت المفارقة لهذه الدنيا ..

كما يعنون بحق اليقين - معرفة رؤية الله سبحانه وتعالى التى تنكشف لهم فى الجنة وماهيتها.

١ - لذلك فعلم اليقين هو رتبة العلماء عند كمال اتباعهم للشرع الشريف.

٢ - وعين اليقين مقام العارفين وذلك لاستعدادهم للموت.

٣ - وحق اليقين هو نقطة فناء العاشق وذلك لإعراضهم عن الخلق ..

فعلم اليقين يُنال بالمجاهدة.

وعين اليقين يُنال بالمؤانسة.

وحق اليقين يُنال بالمشاهدة.

العلم والمعرفة - والفرق بينهما

لم يُحدد العلماء تمييزاً بين العلم والمعرفة إلا فى قولهم: إن الله سبحانه وتعالى يُسمى «عالماً» ولا يسمى «عارفاً»، كما أن اللقب الأخير مفتقر إلى التوفيق الإلهى ..

لكن شيوخ الصوفية يطلقون اسم «المعرفة» على كل علم متصل بعمل تعبدى، وحالٍ ربانى .. فيدل بحاله على علمه، وهم يطلقون اسم «العلم» على كل فنٍ يخلو من معنى روحانى وعمل تعبدى، ومثل صاحب هذه المعرفة يُسمى عالماً، فمن عرف معنى الشئ وحقيقته فيسمونه «عارفاً».

ولذلك فإن الصوفية إذا أرادوا أن يميزوا أحد رفاقهم سموه «عالماً»، ولا يقصد الصوفية إلقاء اللوم على مثل هذا الإنسان لعدم المعرفة، ولكن يلومونه على إهمال العمل بها.

«لأن العالم قائم بنفسه، والعارف قائم بربه»

الشريعة والحقيقة - والفرق بينهما

هذان الاصطلاحان يستعملهما الصوفية:

١ - للاستدلال على كمال الحالة الظاهرية.

٢ - ولإثبات الحالة الباطنية.

والحقيقة - تدل على حكم لا يقبل النسخ وهو موجود من عصر آدم عليه السلام إلى يوم القيامة .. مثل:

١ - معرفة الله. ٢ - والعبادات الدينية.

والشريعة - تشمل الحقيقة القابلة للتبديل والتغيير مثل:

١ - أوامر الله تعالى. ٢ - وأحكامه

وعلى ذلك:

فالشريعة - هى عمل إنسانى.

والحقيقة - هى حفظ الله تعالى وعصمته.

ولا يمكن للشريعة أن تثبت بدون الحقيقة، كما أن الحقيقة لا تثبت بدون ملاحظة الشريعة، والاتصال بينهما كالصلة بين الجسد والروح ..

لأن الروح إذا فارقت الجسد صار جثة هامدة.

- والشريعة بدون الحقيقة رياء.

- والحقيقة بدون الشريعة نفاق.

إرتداء المرقعات شعارُ الصوفية ..

إذ إن ارتداء مثل هذه الملابس سُنة ..

فقد قال المصطفى ﷺ :

« عليكم بلبس الصوف تجدون حلاوة الإيمان فى قلوبكم ».

« أخرجه الحاكم والبيهقى عن أبى أمامة »

وقال أحد الصحابة:

« كان النبى ﷺ يلبسُ الصوف ويركب الحمار.

- روى ابن عساكر عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه :

« أن رسول الله ﷺ كان يركب الحمار ويخصف النعل، ويرقع القميص، ويلبس الصوف ويقول: « من رغب عن سنتى فليس منى »

وقال النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها :

« لا تضعى الثوب حتى تُرقعيه »

- رواه عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها .

أنَ النبى ﷺ قال:

« يا عائشة .. إن أردت اللحاق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقى ثوباً حتى ترقعيه ».

ويُقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يلبس ثوباً مُرقعاً به ثلاثون رقعة.

وروى عنه رضي الله عنه أنه قال:

« خير الأثواب ما قلتْ مئونته »

وروى عن على كرم الله وجهه:

أنه كان لديه ثوب أكمامه حتى أصابعه وأنه إذا لبس ثوباً أو رداء أطول كان يقص أطراف أكمامه.

وقد أمر النبى ﷺ أن تقصر ثيابه فقد قال الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ «المدثر - ٤».

ومعناه هنا: قصرها ..

ويقول الحسن البصرى رضي الله عنه:

« لقد رأيت سبعين صحابياً من أهل بدر، وكانوا جميعاً يرتدون الصوف، وكان الصديق يرتدى الصوف فى تجريده.

ويقول الحسن البصرى أيضاً:

« رأيت سلمان الفارسى يلبس رداءً مرقعاً من الصوف ».

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وهرم بن جنان أنهم رأوا « أويسا القرنى يلبس لباساً من الصوف مرقعاً ».

كما أن الحسن البصرى ومالك بن دنيار وسفيان الثورى كانوا يلبسون المرقعات.

وروى عن الإمام أبى حنيفة النعمانى رضي الله عنه - كما جاء فى تاريخ طبقات المشايخ لمحمد بن على الحكيم الترمذى - أنه كان يرتدى أول الأمر ملابس من الصوف،، وأوشك أن يعتزل العالم.

فرأى النبى ﷺ فى منامه يقول له:

« يجدر بك أن تحيا وسط الناس، فبك ستحيا سُنتى ».

وعندئذ رجع عن العزلة، ولكنه لم يلبس قط لباساً ذا قيمة.

وكان داود الطائى رضى من المتصوفين الحقيقيين، وكان يدعو إلى لبس الصوف ..

وذهب ابراهيم بن أدهم إلى الإمام الجليل أبى حنيفة لابساً رداءً من الصوف، فنظر إليه تلاميذ الإمام نظرة المحتقر المستكبر، إلى أن قال أبو حنيفة:

« لقد جاءنا سيدنا ابراهيم بن أدهم ..

فقال أتباع الإمام: إن الإمام لا يقول هزلاً فكيف نال هذا الرجل هذه السيادة؟

فأجاب أبو حنيفة قائلاً:

« بمواصلة العبادة فقد اشتغل بالله واشتغلنا بأنفسنا، فصار سيدنا ».

وقد يحدث فى عصرنا هذا أن يرتدى بعض الناس ثياباً مرقعة من أجل الشهرة والصيت ..

وعلى الرغم من أن قلوبهم تكذب مظهرهم فليس هناك للجيش إلا قائد واحد ..

والصادقون فى كل فئة قليلون ..

ومع ذلك فإن الناس يعتبرون الصوفى كل مَنْ تشبه بالصوفية، حتى وإن كان ذلك فى صفة واحدة من صفاتهم، ويقولون: إن النبى ﷺ قد قال:

«مَنْ تشبه بقوم فهو منهم».

وإذا كان بعض الناس لا يهتمون إلا بظاهر أعمالهم فإن الآخرين يوجهون كل اهتمامهم إلى الصفاء المطلق،

ولا يخرج مَنْ يريدون الارتباط بالمتصوفين عن أربعة أصناف:

١- مَنْ أعانه صفاؤه واستنارته، ودقة إدراكه، واتزان طبعه، وحُسن أخلاقه على أن يتبصر بما فى قلوب المتصوفين بحيث يدرك مدى اقتراب رجالهم من الله ومدى ارتقاء الطاهرين منهم، فيتصل بهم بغية الارتقاء إلى نفس المكانة.

وأول مظهر من مظاهر سلوكهم:

١- كشفُ الأحوال.

٢- وتطهير أنفسهم من الرغبة.

٣- وترك الذات.

٢- مَنْ أعانته صحة بدنه، وطهارة قلبه، وصفاء ذهنه على رؤية أعمالهم الظاهرية فيركز اهتمامه على ما يقومون به:

أ- من اتباع الشريعة المقدسة.

ب- وحفظ آداب الإسلام ومختلف المعاملات.

جـ- وحُسن سلوكهم.

ولهذا يحاول الاتصال بهم وينهمك قلباً وقالباً فى مزاولة أعمالهم ..

وأول مظاهر سلوكه:

١- المجاهدة. ٢- الخُلُق الحسن.

٣- مَنْ تمكنه إنسانيته وعاداته وحُسن طبعه:

أ- أن يفكر فى أعمالهم.

ب- ويرى فضائل حياتهم.

جـ- وكيف يعاملون كبارهم فى احترام.

ء- وكيف يعاملون صغارهم بكرم.

هـ- وكيف يعاملون رفاقهم بمحبة.

و- وكيف لا يهمهم التكسب الدنيوى.

ز- وكيف يعتنون بما أعطاهم الله.

فينشد صحبتهم، ويسهل على نفسه الطريق الدنيوى الوعر، ويصبح فى فراغه من الأخيار.

٤- مَنْ يقوده غباؤه وضعف نفسه وحبه للسلطة على غير حق، وللجاه على غير علم .. أن يظن أن الأعمال الظاهرية للصوفية هى كل شئ، وعندما يدخل فى صحبتهم يعاملونه بعطفٍ وتسامح رغم اقتناعهم بأنه جاهل كل الجهل بالله وأنه لم يحاول قط أن يسير فى طريق المجاهدة، ولذلك يحترمه الناس احترامهم للصوفى الحقيق ولأحد أولياء الله .. ولكن مقصده هو أن يلبس لباسهم، ويخفى نقايصه تحت رداءٍ من التقوى ..

فهو مثل من قال الله فيهم:

﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾

«الجمعة - ٧٥»

وأغلبهم فى وقتنا هذا من المدعين ..

فالحُرقة هى التى تصنع الصوفى وليس الخرقة ..

وحينما يأتلف المرء الطريق لا يفرق بين العباءة يلبسها الدرويش، والجبة يرتديها الشخص العادى وحينما يكون الشخص غريباً عن الطريقة تكون مرقعته رقعة الإدبار ومنشور شقائه يوم النشور.

وقد سئل أحد كبار المشايخ:

لماذا لا ترتدى المرقعة؟

فقال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ولا تدخل فى حمل أثقال الفتوة»

فإذا كنت بارتدائك لهذا الرداء، تريد أن تُرى الله أنك أحد المصطفين، فإن الله يعلم حقيقتك دون لباس، فإن كنت تريد أن ترى الناس أنك من أهل الله:

١- فإن كنت صادقاً أصبحت مُرائياً.

٢ - وإن كنت كاذباً أصبحت منافقاً.

إن الصوفية من العظمة بحيث لا يحتاجون إلى رداءٍ من هذا النوع ..

فإن الصفاء من الله إنعام وإكرام.

والصُوف لباسُ الأنعام ..

إذن فالمُحاكاة حيلة ..

وفريق يتقربون بالحيلة، وكل ما يجعلونه لأنفسهم إنما يزيدون به الظاهر أملاً فى أن يجعلوا أنفسهم مثلهم.

لقد أمر الشيوخ المريدين أن يلبسوا الملابس المرقعة، ولبسوها بأنفسهم، كى يعرفهم الناس ويراقبوهم فإذا أخطأ أحدهم لامه كل لسان، وإذا أرادوا العصية وهم يرتدون هذا الرداء منعهم عنها الخجل ..

وفى الجملة .. المرقعة زينة أولياء اله عز وجل، وهى عز للعامة، وذلك للخاصة:

١ - فهى عز لأن العامى حين يرتديها يحترمه الخَلقُ بها.

٢ - وهى ذل الخاص لأنه حين يلبسها يساوى الناس بينه وبين العام ويلومونه عليها ..

إذن .. فهى لباس النعم للعوام، وجوشن البلاء للخواص، ويلجأ إليها كثير من العوام حينما لا يصلون بأمرٍ آخر، ولا يكون لهم فى طلب الجاه وسيلة أخرى يطلبون بها الرياسة فيجعلون منها سبباً لجمع النعمة.

وأيضاً فالخواص قالوا بترك الرياسة واختاروا الذل على العز، حتى صارت لهؤلاء القوم بلاء، ولأولئك نعمى..

فالمرقعة قميص الوفاء لأهل الصفاء ..

وسربال السرور لأهل الغرور ..

- فأهل الصفاء بلبسها يتجردون من الكونين، وينقطعون عن المألوفات ..

- أما أهل الغرور فيحجبون بها عن الحق، ويعجزون بها عن الصلاح.

وفى الجملة .. هى جميع سمت الصلاح وسبب الفلاح والجميع يحصلون على رغبتهم فيها ..

١ - فهى لواحدٍ صفاء ..

٢- وهى للآخر عطاء ..

٣- وهى للثالث غطاء ..

٤- وهى للرابع وطاء ..

قال ﷺ:

«مَنْ أحب قوماً فهو معهم».

فيوم القيامة يبعث الأخلاء معاً، ويكون كل فى زمرته ولكن يجب أن يطلب باطنك التحقيق، وأن يعرض عن الرسوم، فكل من يقنع بظاهر الأمور لا يصل أبداً إلى لبها ..

واعلم أن وجود البشرية حجاب الربوبية، ولا يفنى الحجاب إلا فى الأحوال وفى داخل المقامات.

والصفاء اسمه الفناء ..

ومُحال أن يكون لفانى الصفة، مجال لاختيار الثياب أو أن يتخذ زينة ما تكلفنا، فحينما يبدو فناء الصفة وتلتقى آفة الطبيعة يتساوى أن يسمى أو لا يسمى بالصوفى.

ويجب أن تراعى البساطة والخفة فى صنع المرقعات وعندما يبلى الثوب الأصلى يجب أن توضع عليه رقعة وللمشايخ رأيان فى هذا الموضوع:

١- فيقول البعض: إنه ليس بالضرورة وضع الرقعة بعناية ودقة، وأنه من الواجب خياطتها حيثما اتفق دون كبير عناءٍ واهتمام.

٢- ويقول الآخرون - إنه من الواجب أن تكون الخياطة مستقيمة منتظمة، وأن على الدرويش أن يتعلم كيف يحيكها بانتظام، وأن يهتم بتدريب نفسه على ذلك، فهذه هى عبادة الفقر، وصحة العبادة دليل على صحة الأصل.

ومن قصص رجال الله فى العراق:

كان هناك درويشان أحدهما صاحب مشاهدة والثانى صاحب مجاهدة ..

وكان أولهما لا يرتدى إلا الملابس التى يصنعها من الخرق، والتى يقطعها الدراويش من ملابسهم فى حال السماع ..

أما ثانيهما فكان يستخدم للغرض نفسه القطع التى يمذقها الدراويش أثناء توبتهم..

وهكذا كان رداء كل منهما متفقاً مع اتجاهه الباطنى منسجما مع حاله ..

وكان الشيخ محمد بن عبد الله بن خفيف يرتدى ملبساً خشناً من الصوف مدة عشرين سنة، وفى كل سنة كان يصوم أربع فترات، كل فترة منها أربعين يوماً .. وبعد كل أربعين يوماً كان يكتب مؤلفاً عن أسرار علوم الحقائق الإلهية .. وكان يعيش فى زمنه أحد المتفقهين المنتمين إلى الطريقة والحقيقة يعيش بالقرب من فارس، وكان يُدعى: محمد بن زكريا، ولم يلبس قط مرقعة.

وسُئل الشيخ محمد بن خفيف:

« ماذا يُلزم بلبس المرقعة؟ ..

ومن الذى يسمح له بذلك؟ ..

فأجاب: يقتضى ذلك ما يقوم بها ابن زكريا فى ردائه الأبيض ويسمح له بلبس مثل هذا الرداء.

ليس من عادة الصوفية أن يغيروا عاداتهم ..

وهناك سببان يجعلان ارتداء رجال التصوف الملابس المصنوعة من الصوف فى الوقت الحاضر شيئاً نادراً:

١ - أن الأصواف قد شحت.

٢ - أن طائفة من المبتدعة تلبس الصوف كشعار لها.

ومن المسموح به للصوفية الاهتمام والتكلف فى صنع المرقعات، وذلك لأنهم قد احتلوا مكانة مرموقة بين الناس..

وبما أن الكثيرين يقلدونهم فى لبس المرقعات، رغم ارتكاب هؤلاء المعاصى .. وبما أن الصوفى لا يأنس إلا لصحبة الصوفى، لهذا فقد ابتكروا لباساً لا يمكن أن يصنعه غيرهم، وجعلوا منه وسيلة يعرف به أحدهم الآخر، واتخذوه شعاراً لهم.

وحجتهم أن الصفاء قائم على رقة الطبع ودقته وليس من شك أن الانحراف فى الطبع غير حميد، إذ أنه من الطبيعى ألا نوافق على الأعمال غير الصحيحة، وكما أنه من الطبيعى ألا نشعر بالنشوة والسرور عند سماعنا للشعر الردئ، فإن الأفعال السيئة أيضاً لا يستحسنها الطبع ..

وهناك آخرون لا يهتمون بالملبس على الإطلاق يرتدون عباءة أو جبة عادية كما منحهم الله، ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم عرايا لخلوا كما أراد ..

ويُحكى أن أحمد بن خضرويه كان يلبس جبة حين زار أبا يزيد، وأن شاه بن شجاع

الكرماني لبس جبة عند زيارته أبا حفص، ولم يكن ذلك رداءهما المعتاد إذ كانا يلبسان المرقع في بعض الأحيان، ولباساً من الصوف أو قميصاً أبيض في أحيان أخرى حيثما اتفق لهم .. والنفس الإنسانية تحب العادة وتخضع لها، وعندما تعتاد شيئاً يصبح طبيعياً بالنسبة لها، وعندما يصبح طبيعياً يصير حجاباً.

قال النبي ﷺ:

« خيرُ صيام صيام أخي داود »

فسألوه: يا رسول الله، أي صيام ذلك؟

قال ﷺ: كان داود يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك حتى لا تصبح نفسه معتادة على الصيام أو على الإفطار ..

أما بالنسبة للون الأزرق الذي يغلب على ملابسهم فمن أسباب ذلك أن لهم سياحات، فالسياحة من أسس طريقتهم، ولا يصلح الرداء الأبيض للسياحة ويضاف إلى ذلك أن العباس الأزرق شعار الحزاني والمكلومين ..

إن من يسلك الطريق الصحيح، ويرفض النفاق ويبتعد عن العجب والغرور، لا تهمه ملامة العوام بل يسير في طريقه غير آبه بما يعلق عليه الناس من أسماء ..

ومن قصص أولياء الله أن الشيخ أبا طاهر الحرمي كان في السوق يوماً، راكباً حماره، وخلفه أحد مريديه، فصاح أحد العامة قائلاً:

« ها قد جاء المُلحد »

فاندفع مريد الشيخ يحاول أن يرجم ذلك الرجل، وعج السوق بالضجيج، فقال الشيخ لمريده:

« إذا هدأت أريتك ما يريحك من هذا الأمر »

وعندما رجعا إلى الزاوية طلب من المريد أن يحضر صندوقاً، فلما أحضره أخرج منه لفائف من الرسائل وألقى بها أمامه، وأمره أن يتفحصها قائلاً:

انظر كيف يخاطبني كاتبو هذه الخطابات:

- هذا شخص يلقبني بشيخ الإسلام.
- وهذا يلقبني بالشيخ الطاهر.
- وذاك بالشيخ الزاهد.

- وآخر يلقبنى بشيخ الحرمين ..

وما إلى ذلك، إنها جميعاً ألقاب ..

ولم يذكر اسمى أحد، ولست أياً من هذه الأوصاف، ولكن كلاً منهم يصفنى بما يتفق وعقيدته فى ..

فإذا قام ذلك المسكين بهذا العمل .. فلماذا تتشاجر معه؟

أما من يؤثر الملامة عن قَصْد، وينأى بنفسه عن التكريم، ويبتعد عن السلطة والنفوذ فهو أشبه بالخليفة عثمان الذى جاء ذات يوم من مزرعته حاملاً حطباً على رأسه رغم أن عبيده كانوا يزيدون على الأربعمائة وعندما سُئل: لماذا يفعل ذلك؟ أجاب:

أريد أن أجرب نفسى ..

وهناك قصة مشابهة عن الإمام أبي حنيفة:

ومما يروى عن أبى يزيد أنه كان قادماً من الحجاز، ونودى فى المدن: جاء أبو يزيد .. وهرع أهل مدينته للقائه وتكريمه، فشغله اهتمامهم به وجذبه عن الله، فما أن وصل السوق حتى أخرج قرصاً من كُمه وبدأ يأكل فانفضوا جميعاً عنه، إذ كانوا فى رمضان ..

وقال الشيخ لمريده الذى كان يسافر معه:

انظر كيف انفضوا جميعاً بعد أن قمت بعمل من أعمال الشريعة ..

إن مبدأ الملامة انتشر بين أهل هذه الطائفة على يد شيخ عصره حمدون القصار وله حكم كثيرة فى هذا المجال ..

ويروى عنه أنه قال:

«السلامة ترك الملامة»

«والملامة ترك السلامة».

فإذا ترك المرء سلامته عن قصد، وأعد نفسه لتحمل المكاره وترك الملذات وما اعتاده من صلات، عسى أن تتكشف له عظمة الله فإنه محقق لاتحاده بالله، ما ابتعد عن الناس، ولهذا فإن دعاة الملامة يديرون ظهورهم للسلامة، وهى التى يتوجه إليها أهل هذه الحياة الدنيا .. فهمهم خلاف همومهم وهمتهم تزيد عن هممهم، إذ إن وجهة أهل الملامة وحدانية ..

ويقول إبراهيم بن فاتك:

« إنْ المنصور بن الحسين الحلاج أجاب من سأله:

« مَنْ الصوفى ؟ »

قائلاً: أنه وحدانى الذات ».

وقال حمدون كذلك عن الملامة:

إنها طريق صعب على العامة أن يسلكوه، ولكنى سأخبرك بجزء منه: إنْ الملامتى يتصف برجاء المرحبة وخوف القدرية.

سئل إبراهيم بن أدهم:

« هل حققت يوماً رغبتك؟

فأجاب: نعم .. حدث ذلك مرتين:

١ - أولاهما - كنتُ فى سفينة لا يعرفنى فيها أحد، وكنت مرتدياً ملابس عادية وشعرى طويل، فكانت هيئتى مثار سخرية الجميع واستهزائهم، وكان بينهم أحد المهرجين الذى دأب على شد شعرى وانتزاعه من منابته، ومعاملتى أسوأ ما تكون المعاملة بالأسلوب الذى اعتاد عليه، وفى ذلك الوقت شعرتُ بغاية البهجة، وبلغ سرورى منتهاه بذل نفسى، حينما قام ذلك المهرج وتبول على.

٢ - وفى المرة الثانية - وصلت إلى إحدى القرى والمطرُ ينهمر مدراراً، حتى ابتلت مرقعتى وهدنى البرد القارس، فاتجهت إلى أحد المساجد ألتمس المأوى، فلم يسمحوا لى بالدخول، وحدث نفس الشئ فى ثلاثة مساجد التجأت إليها، ولما أخذ منى اليأس كل مأخذ ونال منى البرد القارس، دخلت حماماً عاماً واقتربت اقتراباً شديداً من الموقد، فأحاط بى دخانه وسود ملابسى ووجهى ..

وعندئذٍ شعرت بغاية السرور والرضا.

وللصوفية آدابهم فى حال الكلام وفى حال الصمت:

فالكلام نعمة كبرى أفاضها الله تعالى على الإنسان وبها امتاز على سائر المخلوقات .. ولكن الكلام فى نفس الوقت فيه أكبر الشرور حيث قال رسول الله ﷺ:

« أخوف ما أخاف على أمتى اللسان »

وباختصار:

فالكلام كالخمر يسكر العقول، وحينما يقع الإنسان فى شراكه لا يستطيع الخروج منها أبداً، وقد علم الصوفية أن الكلام مُضر فسكتوا عنه إلا عند اللزوم، يعنى أنهم نظروا إلى أول وآخر كلامهم، فإذا كان كله لله تكلموا وإلا سكتوا لأنهم يعتقدون حقاً أن الله سبحانه وتعالى مُطلع على خفيات السراء:

قال تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

«الزخرف - ٨٠»

وقال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَمَتَ نجا»

والسكوت فيه خيرات عظيمة وفتوح كبيرة ..

والكلام فيه كثير من الشرور ..

وبعضهم فضل السكوت على الكلام، والبعض خالفهم ومن بعض الأول الجنيد لأنه قال:

«الكلام كله ادعاء، وحيثما وجدت الحقيقة بطُل الا دُعاء».

وفى بعض الأحيان يكون من الجائز عدم الكلام ولو أن الإنسان يحب ذلك لأن الحذف يكون عذراً لسكوته مع قدرته على االكلام ..

وترك التكلم فى الحق لا يُنافى وجود المعرفة ولكن لا يسمح للإنسان فى أى وقتٍ بإلقاء دعوى خلو من الحقيقة لأن ذلك هو النفاق بعينه والادعاءات بدون حقيقة هى نفاق ..

والحقيقة بغير دعوى هى الإخلاص ..

لأن من أسس بنيانه على بيانٍ استغنى فيما بينه وبين ربه عن اللسان ..

إذن العبارة، إنما تستعمل فى تعريف ما سوى الله، لأن الله سبحانه وتعالى ليس فى حاجة إلى عبارة تبين أحوالنا.

وما سوى الله لا يُساوونَ شيئاً حتى نشغل أنفسنا بهم وذلك معنى قول الجنيد:

«مَنْ عرف الله كَلَّ لسانُه»

لأنه ليس بعد العيان بيانٍ، والبيان هنا حجاب.

ويروى أن الشبلى وقف مرة فى مجلس الجنيد ونادى بأعلى صوته: «يا مُرادى» مشيراً بذلك إلى الله سبحانه وتعالى ..

فقال له الجنيد: يا أبا بكر .. إذا كان الله سبحانه وتعالى مُرادك فلماذا تشير إليه باللفظ وهو مُنزه عن ذلك ..

وإذا كان مُرادك غير الله سبحانه وتعالى فالله أعلمُ به، فلماذا تقول باطلاً؟

فطلب الشبلى المغفرة من الله تعالى على ما تلفظه بتلك الكلمات ..

أما من جعلوا الكلام فوق السكوت، فبرهانهم على ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمرنا ببيان أحوالنا لأن الدعوى تقوم بالمعنى ..

لأنه إذا كان الإنسان يكتفى بمعرفة ربه بقلبه ألف سنة، ولم يبرهن على معرفته سبحانه وتعالى، فحُكمه حُكم الكافر ما لم يكن سكوته صادراً عن أمرٍ اضطرارى ..

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بحمده والثناء عليه والشكر على نعمائه .. لقوله تعالى:

﴿ وأمَا بنعْمة ربِّك فحدِّثْ ﴾ «الضحى - ١١».

وقد وعد سبحانه وتعالى أنه يجيب من دعاه ..

لقوله تعالى:

﴿ ادْعُوني أسْتَجبْ لَكُمْ ﴾ «غافر - ٦٠».

فهو أحل الربوبية .. وقال أيضاً:

﴿ أُجيبُ دعْوةَ الدَّاع إذا دعانِ ﴾ «البقرة - ١٨٦».

وقال أحد المشايخ:

«إنه كل من لم يبين حاله فلا حال له فناطق الوقت هو الوقت»

ويحكى عن الشبلى أنه كان يسير يوماً فى أحد شوارع بغداد فسمع منافقاً يقول:

«السُّكوت خير من الكلام»

فأجابه الشبلى قائلاً:

«سكوتك أفضل من كلامك،لكن كلامى أفضل من سكوتى، لأن كلامك لغو وسكوتك هزل بينما سكوتى حلم وكلامى علم».

ويوجد نوعان من الكلام، ونوعان من السكوت:

١- فالكلام: أ- إما حق. ب- وإما باطل.

٢- والسكوت: أ- إما لبلوغ هدف. ب- وإما عن غفلة.

- فمن تكلم الحق، كان كلامه أفضل من سكوته.
- ومن تكلم الباطل كان سكوته أفضل من كلامه.

وإذا كان السكوت لبلوغ المقصود فهو سكوت مشاهدة، وأفضل من الكلام، وإذا كان من الحجاب والغفلة فالكلام أفضل منه.

يقولون: «مَنْ نطق أصاب أو غَلَط، ومن لم ينطق اعتصم من الشطط».

فإبليس اللعين قال:

﴿ قالَ أَنا خَيْرٌ ﴾ «الأعراف - ١٢».

ولكن آدم عليه السلام وفقه الله لأن قال:

﴿ ربَنا ظلَمْنا أنفُسنَا ﴾ «الأعراف - ٢٣».

وآداب الكلام:

١- ألا تتكلم حتى تُسأل.

٢- وألا تتكلم إلا بما أمرت به.

٣- وألا تكتفي بالجهل ولا ترضى به أو بالنسيان.

والمريد لا يلزمه أن يقطع كلام أستاذه أو يدخل حكمه فيه، أو يبرهن على أسئلته بعبارات بعيدة.

ويلزم المريد أيضاً:

١- ألا ينطق بكذب.

٢- ألا يغتاب أخاً له.

٣- ولا يسبه بلسانه الذي خلق ليقر بشهادة الإيمان وبوحدانية الله سبحانه وتعالى.

٤- ولا يلزمه أن يدعو الدراويش بأسمائهم مجردة عن الألقاب المحبوبة.

٥- أن يتكلم معهم قبل سؤاله.

٦- ويلزم الدرويش في سكوته: ألا يسكت على بدعة.

٧- وإذا تكلم أن يتكلم بالحق.

أئمة الصوفية

كان أئمة الصوفية من الصحابة هداة لهم، وكانوا فى العبادة قدوة، وكانوا فى الأحوال قادة ومثالاً، وهم بعد الأنبياء، وهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم.

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

يضع مشايخ الصوفية أبا بكر الصديق رضي الله عنه على رأس أهل المشاهدة، بسبب قلة ما روى عنه من أقوال وأعمال.

بينما يضعون عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رأس أهل المجاهدة بسبب تشدده فى العبادة، ومثابرته عليها ..وقد جاء فى الأثر، ومن المشهور أيضاً بين أهل العلم، أنه عندما كان أبو بكر يصلى فى الليل كان يتلو القرآن بصوت منخفض، بينما كان عمر يتلوه بصوت عال ..

فسأل النبى ﷺ أبا بكر: لم يُفضل أن يفعل ذلك؟

فأجاب أبو بكر:

«أسمع من أناجى إذ أنى أعلم أنه ليس بغائب عنى، ويستوى عنده الخفوت والجهر».

أما عمر أجاب بقوله:

«إنى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان».فبينما نجد أن أحدهما أظهر علامة المشاهدة .. مجد أن الآخر أظهر علامة المجاهدة ..

والمجاهدة إذا قورنت بالمشاهدة، أشبه بنقطة ماء فى بحر، ولذلك فقد كان النبى ﷺ يعتبر عمر – وهو فخر الإسلام – مجرد حسنة من حسنات أبى بكر حين قال له:

«هل أنت إلا حسنة من حسنات أبى بكر؟»

«دارُنا فانية، وأحوالنا عارية، وأنفاسنا معدودة، وكسلنا موجودة، فعمارة الدار الفانية من الجهل، والاعتماد على العارية من البلة، وشغل القلب بالأنفاس المعدودة من الغفلة، والدين سمى الكسل كفراً، فالعارية ترد، والعابر لا يبقى، وما يدخل فى الحصر ينفد، وليس للكسل دواء» وهو يعنى بهذا أن الدنيا من التفاهة بحيث يجب ألا تشغلنا، إذ عندما تشغل نفسك بما هو فان تغفل عما هو باق.

ويُولى أحباب الله ظهورهم للدنيا وملاذها التى تحجبهم عنه تعالى، فهم لا يريدون أن يتصرفوا كما لو كانوا يملكون شيئاً هو فى الحقيقة ملك غيرهم.

وقد قال أبو بكر فى مناجاته:

«اللهم ابسط لى الدنيا وزهدنى فيها».

ولهذا القول معنى خفى، وهو: امنحنى أولا متاع الدنيا حتى أشكرك عليه، ثم ساعدنى على الزهد فيه من أجلك، حتى أنال هذه المزايا الثلاث: الشكر، والكرم، والزهد.. حتى يصبح فقرى إختياراً لا إجباراً..

إن هذه الكلمات تدخض حجة من قال:

«أنَّ من جاء فقرهُ عن قسرٍ أكثر كمالاً ممن جاء فقره عن اختيار.

فمن جاء فقره عن قسرٍ فهو صنيعة الفقر..

ومن جاء فقره عن اختيار أصبح الفقر صنيعة له.

وخير للشخص أن تكون أفعاله حرة من أى محاولة يريد بها أن يحصل على الفقر.. إذ أن ذلك أفضل من أن يحاول الوصول إلى الفقر بمحض إرادته.

وإن صنيعة الفقر..

هو بدون شكٍ هو ذلك الشخص الذى تتملكه الرغبة فى الفقر، رغم تمتعه بالاستقلال عنه، ولذلك فهو يحاول جاهداً أن يصل إليه.. وليس هو ذلك الشخص الذى يكون فى مقام الفقر ثم تتملكه رغبة فى الاستقلال تجعله يذهب إلى منازل العصاة وقصور الحكام بغية جمع المال.

إن صنيعة الفقر..

١- هو ذلك الشخص الذى ينزل من الاستغناء إلى الفقر.

٢- وليس هو ذلك الفقير الذى يحاول أن يحظى بالقوة وهو فقير..

لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أفضل البشر بعد الأنبياء، وليس بمسموح أن يسبق أحد ذلك: لأنه وضع الفقر الاختيارى فوق الفقر الإجبارى..

ويؤمن كافة شيوخ التصوف بهذا المبدأ..

روى الزهرى أنه عندما تلقى أبو بكر البيعة بالخلافة، صعد المنبر وألقى خطبه جاء فيها:

« والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ..

ولا كنت فيها راغباً ..

ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية

ومالي في الإمارة من راحة

١ - إنّ الله إذ يجعل الفرد من أكمل المخلصين.

٢ - ويرفعه إلى مقام التمكين.

٣ - يجعله يأتمر بأمر الله ويلتمس منه التوجيه.

٤ - ولهذا يرضى بما يأمره الله وما قسمه له.

أ - سواء جعل منه سائلاً أو أميراً.

ب - دون أن يجعل لإرادته مكاناً أمام إرادة الله خالقه ..

وهكذا أسلم أبو بكر الصديق نفسه لإرادة الله بدءاً وخاتمة ..

فلا عجب أن تجعله طائفة الصوفية نموذجاً تحتذ به في التجرد من أمور الدنيا ..

وفي تمكينه، وفي رغبته القوية في الفقر، وفي عزوفه عن السلطة ..

إنه إمام المسلمين عامة ..

وإمام الصوفية خاصة ..

٢ - الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

وهو بحق: ١ - قائد أهل الإيمان.

٢ - وخير أهل الإحسان.

٣ - وإمام أهل التحقيق.

٤ - ومَنْ هو في بحر المحبة غريق.

أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

صاحبُ الكرامات المشهورة، والفراسات المذكورة، وهو المشهور والمخصوص بالفراسة والصلابة، وله لطائف في هذه الطريقة، وحقائق في هذا المعنى ..

فقد قال فيه المصطفى ﷺ:

« إن الحق ينطق على لسان عمر »

وقال أيضاً:

«كان هناك فى الأمم محدثون فإن يك فى أمتى فعمر»

ومن أقواله رضي الله عنه:

«العزلة راحة من خلطاء السوء».

والعزله نوعان:

١- الابتعاد عن الخلق.

٢- قطع كل صلة بهم.

والابتعاد عن الخلق عزلة اختيارية وهى عبارة عن:

١- ترك صحبتهم فى الظاهر.

٢- والتدبر الهادئ فى أعمالك.

٣- ومحاولة الابتعاد عن الخلق وجعلهم فى مأمنٍ من شرك.

٤- أو قطع كل صلة بالخلق، فهو مقام روحى لا صلة له بالظاهر..

وعندما ينقطع الإنسان عن الخلق روحياً لا يعرف عن المخلوقات شيئاً، ولا يمتلك من تفكيره شئ.

إن مثل هذا الشخص يصبح فى عزلة عن الناس رغم بقائه بينهم.. إذ أن روحه فى مكانٍ بعيدٍ عنهم، وهذه مرتبه عالية..

وقد سلك الفاروق رضي الله عنه الطريق الصحيح فى هذا المجال..

فقد كان يعيش فى الظاهر بين الناس:

كقائدهم.. وخليفتهم..

وهذا دليل واضح على أن أهل الحقيقة، وإن كانوا قد اندمجوا فى ظاهرهم مع الخلق إلا أن قلوبهم دوماً متعلقة بالله، وترجع إليه فى كل آن.. وهم ينظرون إلى كل اتصالٍ لهم بالناس نظرة المحنة التى يمتحن الله بها عبده.. ولكن هذا الاتصال لا يحول وجوههم عن الله تعالى إذ أن الدنيا لا تصفو فى نظر من يُحُبهم الله..

قال عمر:

«دارُ أُسستْ على البلوى، بلا بلوى محال»

ويتخذ الصوفية عمر رضي الله عنه رمزاً لهم:

١ - فى لبس المرقع.

٢ - وفى أداء فروض الله فى قوة وحزم.

وعمر رضي الله عنه من خواص أهل الرسول ﷺ وأصحابه، وكان مقبولاً لدى الحق فى كل أفعاله إلى حد أن جبريل عليه السلام نزل فى بداية عهد الإسلام وقال للرسول ﷺ:

«قد استبشر أهلُ السماءِ اليوم بإسلام عمر»

٣- الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وهو جوهرة كنز الحياء، وعبدُ أهل الصفاء والمتعلق بحظيرة الرضا، والمتولى والمتمكن على طريق المصطفى ﷺ «عثمان بن عفان» ذو الفضائل الظاهرة والمناقب البينة فى كل المعانى.

قال عبد الله بن رباح وأبو قتادة:

«كُنا مع أمير المؤمنين عثمان يوم هوجم بيته، وعندما رأى عبيدة جموع المهاجمين، امتشقوا السلاح، فقال لهم عثمان:

«مَنْ لم يمتشق سلاحه فهو حُر»

فتركنا البيت خوفاً على حياتنا، فقابلنا الحسن بن على فى الطريق، ورجعنا معه إلى عثمان،حتى نعرف لماذا يذهب الحسن إلى عثمان . .

وبعد أن حيا الحسن عثمان وواساه قال له:

«يا أمير المؤمنين لا أجرؤ أن أحمل السلاح على مسلم إلا بأمر منك، فأنت الإمام حقاً أعطنى الأمر أدافع عنك».

فأجابه عثمان:

يا ابن أخى . . ارجع واجلس فى بيتك حتى يأتى الله بأمره، فلا حاجة لنا فى إهراق الدماء».

إن هذه الكلمات تعبر عن التسليم فى وقت الشدة وتظهر أن المتحدث بها قد وصل إلى مقام الخُلة، وهو أشبه بالخليل ابراهيم عندما أشعل النمرود ناراً ووضع إبراهيم فى كفة ليُلقى به فى النار، فجاء جبريل إلى إبراهيم وسأله:

« هل لك من حاجة ؟ »

فأجاب إبراهيم: أما إليك فلا . .

فقال جبريل: إذن فسل الله . .

فأجاب: «حسبى من سؤالى علمه بحالى»

أى أنه يعلم بحالى أفضل مما أعلمه أنا ، ويعلم الصلاح لى . .

إن عثمان كان فى تلك اللحظة أشبه بالخليل إبراهيم قبل أن يُلقى فى النار . .

وكان المتآمرون أمام بيت عثمان أشبه بالنار وكان الحسن فى مقام جبريل . .

ولكن إبراهيم نجا ، أما عثمان فقد قتل . .

إن النجاة مرتبطة بالبقاء ، والموت بالفناء.

ويتشبه الصوفية بعثمان في:

١ - تضحيته بالحياة والمال.

٢ - والتسليم فى شئونهم لله.

٣ - وفى المحبة الخالصة.

لقد كان عثمان على الحقيقة إمام الحق . .

وشريعته وطريقته ظاهرتان فى المحبة . .

٤ - الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ومنهم ابن عم المصطفى ﷺ ، وغريق بحر البلاء ، وحريق نار الولاء ، ومقتدى الأولياء والأصفياء أبو الحسن على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

إن شهرته فى مقامه فى طريق الصوفية فى غاية العلو ، فقد شرح أصول الحقيقة الإلهية بدقة بالغة . .

حتى أن الجنيد قال عنه:

« على شيخنا فى الأصول والبلاء ».

أى أنه شيخنا فى الصوفية نظرياً وعملياً . . إذ أن الصوفية يطلقون على المبادئ النظرية لهذا الطريق « أصولاً ويكون تطبيقها فى احتمال الآلام.

ويحكى أن شخصاً طلب من على أن يوصيه .. فقال له على كرم الله وجهه:

« لا تجعلن أكبر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك من أوليا ء الله فإن الله لا يضيع أوليا ءه وإن كانوا أعداء الله، فما همك وشغلك بأعداء الله؟!

كما سُئل رضي الله عنه عن خير ما يقتنيه الرجل؟ فقال:

« غناء القلب بالله »

ويكفى علياً شرفاً أن مبدأ التآخى فى الله الذى بدأه المصطفى ﷺ فى المدينة المنورة بعد الهجرة كان على يمثل المثل الأعلى لتطبيقه ..

وذلك حين وقف النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وناداهم قائلاً:

« تحابوا جميعاً إخواناً فى الله اثنين اثنين »

ثم أمسك بيد على رضي الله عنه وقال:

هذا أخى ..

ولننظر إلى تعريف على كرم الله وجهه للأخوة الصادقة الحقة التى ترضى الله ورسوله والتى يتمثل فيها قمة الإيثار والتضحية والتفانى فى المحبة والأخوة ..

حيث قال رضي الله عنه:

« أخاك الحقَ مَنْ كان معك .. وضر نفسه لينفعك .. ومَنْ إذا ريب الزمان صدعك شتت نفسه فيك ليجمعك ».

ويعتبر رضي الله عنه نموذجاً يحتذ به الصوفية:

١ - فى تعبيره الظاهر.

٢ - ودقة معانيه الباطنة.

٣ - والتجرد عن كل متاعٍ لهذه الدنيا للأخرى.

٤ - وخشية اله ..

٥ - ولطائف كلامه.

وهو فى تعريفه للتقوى يقول:

الرضا بالقليل، والخوف من الجليل، والإيمان بالتنزيل، والإعداد ليوم الرحيل.

أما أئمة الصوفية من أهل بيت رسول الله ﷺ

فيكفى أن نقول عن أهل البيت أنهم هم المختصون بالطهارة الحقة، ولكل منهم فى هذا الأمر قدم ثابتة وهم بجملتهم قدوة أهل هذه الطائفة، خاصتهم وعامتهم.

١ - أبو محمد الحسن بن على..

وهو قطعة كبد المصطفى ﷺ، وريحانة قلب المرتضى، وقرة عين الزهراء..

١ - وله فى هذه الطريقة تأمل كامل.

٢ - ومن دقائق العبارة حظ وافر.

فقد قال فى حال الوصية:

«عليكم بحفظ السرائر فإن الله مطلع على الضمائر».

وحفظ القلب هو عدم الاتجاه إلى غير الله وحفظ الفكر عن معصية الله تعالى.

وعندما ارتفع شأن القدريين وكانت لهم الغلبة وانتشر مبدأ أهل الاعتزال فى الدنيا..

كتب الحسن البصرى إلى الحسن بن على: وقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليك يا ابن رسول الله وقُرة عينه ورحمة الله وبركاته.. أما بعد.. فإنكم معاشر بنى هاشم كالفُلك الجارية فى اللجج ومصابيح الدُجى، وأحلام الهُدى والأئمة القادة الذين مَنْ تبعهم نجا، كسفينة نوح المشحونة التى يأوى إليها المؤمنون، وينجو بها المتمسكون، فما قولُك يا ابن رسول الله ﷺ عند حيرتنا فى القدر، واختلافنا فى الاستطاعة، لتُعلمنا بما تأكد عليه رأيك، فإنكم ذرية بعضها من بعض، يعلم الله علمكم، وهو الشاهد عليكم وأنتم شهداء على الناس.. والسلام».

وحينما وصله الخطاب أجابه قائلاً:

«أما بعد.. فقد انتهى إلى خطابك، عند حيرتك وحيرة مَنْ زعمت من آمتنا، والذى عليه رأيى أن مَنْ لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، ومَنْ عمل المعاصى على الله فقد فجر، إن الله لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل العباد من المملكة، لكنه المالك لما ملكهم، والقادر على ما غلب عليه قدرتهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن لهم صاداً، ولا

لهم عنها مثبطاً فإن أتوا المعصية وشاء أن يُمن عليهم، ويحول بينهم وبينها فعل، وإنْ لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجباراً، ولا ألزمهم إياها إكراهاً باحتجاجه عليهم، أن عرضهم ومكنهم وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما دعاهم إليه، وترك ما ينهاهم عنه، ولله الحجة البالغة، والسلام » . .

ويقصد الحسن أن العبد مختار فى كسبه بقدر استطاعته من الله عز وجل، والدين بين الجبر والقدر، ولقد بلغ رضى الله درجة عالية من الفصاحة والبلاغة فى علم الحقائق والأصول . .

وقد رُوى أنه بينما كان ﷺ جالساً عند باب داره بالكوفة إذ جاء أعرابى فسبه، وسب أباه وأمه، فنهض الحسن بن على قائلاً :

« أيها الأعرابى . . أجوعان أنت حتى أُطعمك؟

أم ظمآن حتى أرويك؟

أم ماذا بك؟

فلم يلتفت الأعرابى إليه، بل استمر فى سبابه فأمر الحسن عبده أن يأتى بكيسٍ من الفضة، ثم أعطاة للرجل قائلاً:

« عفواً أيها الأعرابى، فليس لدى غيره، ولو كان لدى المزيد لأعطيتك »

وعندما سمع الأعرابى منه هذا القول صاح:

« أشهد أنك ابن بنت النبى، فقد جئتك أختبر حلمك » .

هكذا يكون أولياء الله الحقيقيون . .

الذين لا يهمهم: ١ - أمدحهم الناس أم لاموهم.

٢ - والذين يسمعون اللوم هادئين، فيستوى عندهم مدح الخلق لهم أو قدحهم فيهم.

٣- ومنهم نور آل محمد ﷺ الذى هو من كل العلائق مُجرد ، سيد زمانه

أبو عبد الله الحسين بن علي:

كان من مُحققى الأولياء، وقبلة أهل البلاء وشهيدُ كربلاء . .

ويتفق جميع الصوفية على أنه كان على حق لقد كان يتبع الحق، مادام قائماً، فلما

ضاع استل سيفه، ولم يسترح حتى ضحى بحياته في سبيل الله، وقد خصه النبي ﷺ بالعديد من إشارات العطف والمحبة.

يُروى عن عمر بن الخطاب أنه رأى النبي ﷺ يوماً يزحف على ركبتيه، وقد اعتلى الحسن ظهره الشريف، وهو يمسك حبلاً طرفه في فم الرسول ﷺ فقال عمر:

« نعمْ الجملُ جملك يا أبا عبد الله »

فأجاب الرسول ﷺ: « ونعْم الراكبُ هو يا عمر »

وله كلام لطيف في الطريقة الحقة، ورموز كثيرة - ومعاملات طيبة ..

ويروى عنه رضي الله عنه أنه قال:

« أشفقُ الإخوان عليك دينك »

وذلك لأن خلاص الفرد يرجع إلى اتباعه لدينه وأن هلاكه راجع إلى عصيانه ..

إذن فالعاقل هو من يتبع المشفقين وعلم شفقتهم عليه ولم يُر إلا مُتابعاً إياهم، والصديق الحق هو الذي يبدي النصيحة ولا يُغلقُ باب الشفقة.

ومما يُحكى عنه:

أن رجلاً جاء إليه وقال:

« يا ابن رسول الله .. أنا رجل مُعسر ذو عيال وقصدتك في قوت الليلة ..

فقال له الحسين رضي الله عنه:

ثمة رزق في الطريق، فامكث حتى يأتوا به، ولم يمض وقت طويل حتى وصلت خمس صررٍ من عند معاوية في كل صرةٍ ألف دينار، وقال حاملوها:

إن معاوية يعتذر إليك، ويُعلمك أن أنفق هذا القدر على فقراء القوم، حتى تتحسن أحوالهم بهذه العناية، فأمرهم الحسين أن يُعطوا الصرر الخمس إلى هذا المعسر، فأعطوها له ..

واعتذر له قائلاً: لقد مكثت طويلاً، وأخذت عطاءً قليلاً، ولو كنت أعلم هذا المقدار، ما جشْمتُك مئونة الانتظار، فاعذرنا لأننا أهل البيت بلاء، قد صرفنا النظر عن متاع الدنيا، وأفقدنا أنفسنا حاجياتها، ووجبتْ علينا الحياة على مراد الآخرين ..

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة لا تحصى ..

٣- ومنهم وارث النبوة ومصباح الأمة السيد المظلوم، والإمام المحروم، زين العابدين، ونور الأوتاد.

أبو الحسن على بن الحسين بن على «زين العابدين»:

وهو مشهور بكشف الحقائق، ونطق الدقائق.

سئل رضي الله عنه: مَنْ أسعدُ الناس فى الدنيا والآخرة؟

فقال: إن خير الناس فى الدنيا والآخرة: مَنْ إذا رضى لم يحمله رضاه على الباطل، وإذا سخط لم يُخرجه سخطُه عن الحق».

وهذا وصف من نالوا كمال الاستقامة، وذلك أن الرضا بالباطل باطل، والإغضاء عن الحق فى حال الغضب باطل، ولا يكون المؤمن مبطلاً..

وكان الحسين رضي الله عنه يناديه:

«بعلى الأصغر».

وعندما قُتل الحسين وأولاده بكربلاء، لم يبق إلا على وكان مريضاً، وجئ بالنسوة عند يزيد بن معاوية فى دمشق، يركبن الجمال، وقد نُزع عنهن الحجاب فسئل: كيف أصبحتم يا على، ويا أهل بيت الرحمة؟

فأجاب على: أصبحنا من قومنا بمنزلة قوم موسى من آل فرعون، يذبحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا فلا ندرى صباحنا من مسائنا، وهذا من حقيقة بلائنا»..

ويُروى أن هشام بن عبد الملك بن مروان، حج ذات سنة، وأخذ يطوف بالبيت، حتى يُقبل الحجر الأسود ولم يجد لذلك سبيلاً لشدة الزحام، فصعد إلى المنبر، وألقى خطبة، وحينذاك دخل زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنه إلى المسجد الحرام بوجه أقمر، وخد منور، وثوب مُعطر..

وبدأ الطواف، وحينما اقترب من الحجر أخلى له الناس الطريق تعظيماً له، حتى قبله..

وعندما رأى رجل من أهل الشام ما حدث قال لهشام:

يا أمير المؤمنين، إنهم لم يفسحوا لك الطريق وأنت أمير، فمنْ هذا الشاب حَسَن الوجه الذى أتى فتخلى كل الناس عن الحجر وأخلوا له المكان؟

فقال هشام: لا أدرى..

وكان الفرزدق الشاعر واقفاً فقال:

أنا أعرفه ..

فقالوا: فمن هو يا أبا فراس؟ أخبرنا ..

فقد رأينا شاباً ذا مهابة ..

فقال لهم: أنصتوا حتى أصفه لكم ارتجالاً:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه، والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة الزهراء ويحكمو
وابن الرضى على خيركم قدم

إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العز التي قصرت
عن نيلها عرب الإسلام والعجم

من جده أفضل الأنبياء ومن
فضل أمته دانت له الأمم

ينشق نور الدجى عن نور طلعته
كالشمس ينجاب من إشراقها الظلم

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا جاء يستلم

يغضى حياء ويغضى من مهابته
فلا يكلم إلا حين يبتسم

فى كفه خيرزان ريحها عبق
من كف أروع في عرينه شمم

مشتقة من رسول الله بنعته
طابت عناصره والخيم والشيم
كلتا يديه غياث عم نفعهما
يستو كفان ولا يعروهما القدم
عم البرية بالإحسان فانشقت
عنها الغيابة والإملاق والظلم
لا يستطيع جواد درك غايتهم
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
والأسد أسد الشرى والبأس يحتدم
من معشر حبهم دين وبغضهم كفر
وقربهم منجا ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل نعم

وعلى هذا النسق مدحه وأهل بيت رسول الله ﷺ، فغضب عليه هشام، وأمر أن يُلقى بالفرزدق فى سجن عسفان، وهو مكان بين مكة والمدينة، ونُقل الخبر كما هو إلى على زين العابدين، فأمر أن يحملوا إليه اثنى عشر ألف درهم، وقال:

قولوا له يا أبا فراس نستميحك العذر، فنحن قوم مبتلون، وليس فى حوزتنا أكثر من هذا نرسله إليك فرد الفرزدق هذه العطية وقال:

لقد كذبت فى كثير من الأشعار، شعرى فيك كفارة لبعضها، لوجه الله وحب الرسول ﷺ وأبنائه».

وحينما حُملت هذه الرسالة إلى زين العابدين قال: ارجعوا وردُّوا إليه هذه العطية وقولوا: «يا أبا فراس إذا كنت تحبنا فلا ترضى أن ترجع فيما أعطينا وما خرج من ذمتنا ..

وحينذاك أخذ الفرزدق العطية ..

ومناقب هذا السيد على زين العابدين أكثر من أن يحدها حصرُ.

٤ - أبو جعفر محمد بن على بن الحسين الملقب بأبي عبد الله وكنيته الباقر:

وهو حجة على أهل التقوى وبرهان على أرباب المشاهدة، إمام أولاد النبى ﷺ، ومختار نسل على، وقد اشتهر بمعرفة غوامض العلم وتفسيراته الدقيقة. لمعانى القرآن الكريم.

ويحكى أن أحد الملوك أراد أن يقتله فاستدعاه، وعندما جاءه الباقر التمس الملك منه العفو، ومنحه الكثير من الهدايا وأرجعه مكرماً فلما سُئل الملك عن تصرفه هذا أجاب:

حينما دخل على رأيت أسدين، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره يهددانى بالقضاء على إن أنا ألحقتُ به أى سوء..

وفى شرحة للآية الكريمة:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ «البقرة - ٢٥٦».

يقول الباقر: «كل ما شغلك عن مطالعة الحق فهو طاغوت»

فانظر بأى شئ أنت محجوب، واعلم أن هذا الحجاب مانعك، فهو حجابك، وقل من يترك هذا الحجاب إلا ويبلغ الكشف، فالمحجوب ممنوع، ولا ينبغى للممنوع أن يدعى القرب.

قال أحد أتباعه المخلصين:

لما انقضى جزء من الليل انتهى الباقرُ من دعائه إلى الله، وكان يبتهل إليه تعالى قائلاً:

إلهى وسيدى.. جاء الليلُ، وتوقفت قوة الملوك وهجع الناسُ، وظهرت النجوم فى السماء، ونام بنو أمية، وأقفلوا أبوابهم ووضعوا أمامها الحُراس، ونسى طلابهم حاجتهم، وأنت الحى الباقى، البصير العليم، لا تأخذك سنة ولا نوم، ومَنْ لا يُدرك منك ذلك غير خليق بكرمك يا من لا يمنعك شئ عن شئ ولا ينالُ منك نهار أو ليل، وقد فتحت أبواب رحمتك لكل من ناداك، وانهالت كنوزك على كل من دعاك، أنت لا تُرد السائل، وليس فى وسع مخلوق - فى الأرض أو فى السماء - أن يمنع المؤمن بك الداعى لك عن أن يصل إلى جنابك إلهى.. كيف أشعر بالسرور فى هذه الدنيا، وأنا اذكر الموت والقبر والحساب..

أسألك - وأنت الواحد الأحد - أن تمنحنى السلامة ساعة الموت دون عذاب..

والسرور - ساعة الحساب - دُون عقاب..

كان رضى ﷺ يقول هذا ويبكى..

حتى قلتُ له ذات ليلة:

« أيْ سيدى وسيد آبائى، حتام البكاء وإلام النواح ؟!

قال: أيها الصديق: لقد فقد يعقوب ابناً واحداً فبكى حتى عمى وابيضت عيناه، وأنا فقدتُ ثمانية عشر شخصاً مع أبيهم - اى الحسين فى كربلاء - وليس على أقل من فقدهم من أن تبيض عيناى.

٥- أبو محمد جعفر الصادق رضي الله عنه:

وهو سيف السُّنة وجمال الطريقة، ومعبر المعرفة، ومزين الصفوة ..

وهو عالى الحال، حسن السيرة، جميل الظاهر ثرى السريرة، وله إشارات جميلة فى كل العلوم ويشتهر بين الصوفية بدقة حديثه، وإدراكه للحقائق الروحية، وقد كتب عدداً من الكتب الشهيرة فى شرح التصوف.

يُروى عنه أنه قال:

« مَنْ عرف الله أعرضَ عن سواه »

فالعارف يدير ظهره لغير الله وينقطع عن متاع الدنيا، ذلك أن معرفته جهل، فالجهل جزء من معرفته، لذلك فإن العارف ينقطع عن البشر وعن التفكير فيهم ويتصل بالله، وليس للغير مكان فى قلبه يجعله يهتم بهم، وليس لوجودهم قيمة لديه، بحيث يهتم بهم عقله.

ويُروى عنه كذلك أنه قال:

« لا تصح العبادة إلا بالتوبة »

فقد قدم الله التوبة على العبادة، فى قوله تعالى:

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾ « التوبة - ١١٢ ».

فالتوبة أول مقام فى هذا الطريق، والعبادة آخر مقاماته ..

وعندما ذكر الله العاصين طالبهم بالتوبة حيث قال:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ « النور - ٣١ ».

ولكن عندما ذكر الرسول أشار إلى عبوديته حيث قال:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ «النجم - ١٠».

وجاء في الأثر:

أن داود الطائي جاء إلى جعفر الصادق وقال: «يا ابن رسول الله ..

إنصحني .. فقد أظلم قلبي ..

فأجابه جعفر:

«يا أبا سليمان .. أنت شيخُ عصرك، فما لك بنصيحتي حاجة».

فأجابه: يا ابن الرسول، أنت من بيتٍ يعلو على سائر البشر، وعليك أن تُسدي النصح للجميع ..

فصاح جعفر: يا أبا سليمان .. إني أخشى أن يجئ جدي يوم الحساب ويُمسك بي ويقول: لماذا لم تف بالعهد؟ وتترسم خطاي؟ ليس هذا أمر يقوم على القربى لمحمد ﷺ بل على السُلوك الطيبَ في حضرة الحق».

فأجهش داود الطائي بالبكاء ..

وقال: يا إلهي .. إذا خامر الشك شخصاً عُجنت طينته بماء النبوة، وجده رسول الله ﷺ وأمه فاطمة البتُول، فمن أنا حتى تسرُني أعمالي؟

وقال جعفر ذات يوم لأتباعه:

«تعالوا نتعاهد على أن يقوم مَنْ ينالُ منا الخلاص يوم القيامة بالشفاعة للآخرين ..

فقالوا له: يا ابن رسول الله .. كيف تحتاج الشفاعة وجدُك الشفيع لكل الخلق؟

فأجاب: إن أعمالي تجعلني أخجل من أن أنظر إلى جدي يوم القيامة ..

وإن رؤية الشخص لأخطائه من صفات الكمال وهي صفة يتميز بها مَنْ يصلون إلى الجنات العُلى سواء كانوا أنبياء أو أولياء أو رسل ..

لقد قال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبدٍ خيراً بصره بعيوب نفسه وعيوب الدنيا، ومن تواضع خضوعاً لله رفعه الله في الدارين ..

أما أئمة التصوف من أهل الصُّفة:

لقد لجأ عدد من الصحابة فى عهد رسول الله ﷺ إلى مسجد الرسول ﷺ واشتغلوا بالعبادة .. تاركين الدنيا، زاهدين فى البحث عن وسائل العيش ..

وقد عاتب الله رسوله ﷺ من أجلهم:

حين قال جل شأنه:

﴿ ولا تطرُد الَّذين يدعُون ربَّهُم بالغداة والعشي يُريدُون وجههُ ﴾ «الأنعام - ٥٢».

وقد أشاد بهم كتاب الله وأشادت بهم أحاديث كثيرة وردت عن النبى ﷺ:

يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ وقف على أهل الصفة، فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم، فقال:

«أبشروا يا أصحاب الصفة، فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه، راضياً بما هو فيه فإنه من رفقائى فى الجنة»

وكان من أهل الصفة:

١ - الداعى إلى حضرة الجبار ومختار الرسول المختار:

بلال بن رباح

٢ - وحبيب حبيب الله، وموضع سر رسول الله:

سلمان الفارسى

٣ - وقائد المهاجرين والأنصار، والمتوجه لله الغفار:

أبو عبيدة بن الجراح

٤ - ومختار الصحاب وزينة عابدى رب الأرباب أبو اليقظان:

عمار بن ياسر

٥ - وخزينة العلم وكنز الحلم:

عبد الله بن مسعود

٦ - وأخوه المتمسك ببلاط الخلافة والطاهر من العيب والآفة:

عتبة بن مسعود

٧- وسالك طريق العزلة والمُعرض عن عصائب الذلة:

المقداد بن الأسود

٨- وراعى مقام التقوى والراضى بالبلوى:

خباب بن الأرت

٩- وقاصد حظيرة الرضا وطالب اللقاء فى البقا:

صهيب بن سنان

١٠- ومدرج السعادة، وبحر القيادة:

عُتيبة بن غزوان

١١- وشقيق الفاروق والمعُرض عن المخلوق:

زيد بن الخطاب

١٢- وسيد المجاهدة، فى طلب المشاهدة:

أبو كبشة مولى النبى ﷺ

١٣- والعزيز التائب والآيب من كل الخلق إلى الحق

أبو مرشد كنعان بن الحسين العدوى

١٤- وعامر طريق التواضع وخازن محجة التقاطع:

سالم مولى حذيفة بن اليمان

١٥- والخائف من العقوبة والهارب من الطريق المحوقة:

عكاشة بن محصن

١٦- وزين المهاجرين والأنصار وسيد بنى قار:

مسعُود بن الربيع القارى

١٧- والذى هو فى الزُهد كعيسى وفى الشوق كموسى:

أبو ذر جندب بن جنادة الغفارى

١٨- وحافظ أنفاس الرسول ﷺ:

عبد الله بن عمر

١٩ - ورباب الخيرات المقيم في الاستقامة:

صفوان بن بيضاء

٢٠ - وصاحب الهمة في أوقات الغُمة:

أبو الدرداء عويمر بن عامر

٢١ - ومتعلق حظيرة الرضا مختار الرسول ﷺ:

أبو لُبابة بن عبد المنذر

٢٢ - وشرف كيمياء الدين وصدف دُر التوكل:

عبد الله بن بدء الجهني

٢٣ - أبو هريرة

٢٤ - ثوبان

٢٥ - معاذُ بن الحارث

٢٦ - سائب بن خلاد

٢٧ - ثابت بن الوديعة

٢٨ - أبو عيسى عويم بن ساعد

٢٩ - سالم بن عمير بن ثابت

٣٠ - أبو اليُسْر كعب بن عمر.

٣١ - وهب بن معقل.

٣٢ - عبد الله بن أنيس.

٣٣ - حجاج بن عمر الأسلمي.

أئمة الصوفية من التابعين رضوان الله عليهم

١ - شمس الأمة، نور الدين والملة

أويس القرني

عاش في زمن النبي ﷺ، ولكنه حُرم من رؤيته لسببين:

١ - ما كان يسيطر عليه من وحد. ٢ - وبسبب واجبه نحو أمه.

وقد قال النبي ﷺ لأصحابه:

« هناك رجل في قرن، يدعى أويس، سيشفعه الله يوم القيامة في عدد من أمتى يساوى ما لربيعة ومضر من أغنام - ثم اتجه إلى عمر وعلى وقال لهما سوف تريانه، إنه مسكين، متوسط الطول، كث الشعر على جانبه الأيسر بقعة بيضاء كالدرهم، وبه بقعة مشابهة على راحة يده كالبرص، إذا رأيتماه فأقرئاه السلام واطلبا منه الدعاء لأمتى ».

وبعد أن انتقل النبى ﷺ، ذهب عمر إلى مكة وكان على معه، وصاح أثناء خطبته فى المسجد: يا آل نجد قوموا، فنهضوا، ثم قال: يا آل نجد هل بينكم أحد من قرن؟ فأجابوا: نعم، فأرسل عمر إليهم وسألهم عن أويس، فقالوا: هو شخص مجنون لا يدخل العمران ولا يتحدث مع أحد، وهو لا يأكل مما يأكل الناس ولا يحس بما يحسون به من فرح وحزن ويبكى حينما يضحك الناس، ويضحك حينما يبكون فقال لهم عمر: وددت لو رأيت! فأجابوا قائلين إنه يعيش فى الصحراء بالقرب من مرعى جمالنا ..

فذهب عمر وعلى يطلبانه فوجداه يصلى، فانتظروا حتى انتهى من صلاته، ثم حياهما وأراهما العلامة فى جنبه وعلى راحة يده، فسألاه الدعاء، وأقراه سلام رسول الله ﷺ، وطلبا منه الدعاء لأمة المسلمين.

وبعد أن مكثا معه فترة من الزمن قال لهما: قد تجشتما المتاعب لترياني، والآن فلتعودوا فقد اقترب البعث، عندما نلتقى دُون وداع، أما اليوم فإنى مشغول بالاستعداد له، وعندما رجع أهلُ قرن من مكة أظهروُا احتراماً كبيراً لأويس فترك بلدته وذهب إلى الكوفة.

وفى يوم رأوا هرم بن حيان، ثم لم يره أحد بعده حتى نشبت الحرب بين على ومعاوية، حيث حارب مع على وسقط شهيداً فى معركة صفين، عاش حميداً ومات وحيداً. ويروى عنه أنه قال:

« السلامة فى الوحدة ».

ذلك لأن قلب المنعزل عن الناس خالٍ من الأفكار الخاصة بالغير، ولا يأمل فى شئ من الناس حتى يسلم جملة من شرورهم ويخذل وجهه عن جُملتهم ..

والانقطاع عن الأُنس لا يكون إلا بالأنس فذلك الذى يستحق الأنس لا تحوله مخالفة النفس أو مخالطة الأُنس، وذلك الذى يملك مؤانسة الأُنس لا يعبر الأُنْسُ بقلبه ..

ولا يكون له نصيب من أُنس الحق لأن الوحدة عبد صاف سمع قوله تعالى:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ «الزمر - ٣٦».

٢ - هرم بن حيان

وهو من عظماء الطريقة ..

له فى التقوى حظ وافر ..

لقى كرام الصحابة ..

ذهب ليزور أويساً القرنى، ولكن ما إن وصل إلى قرن حتى وجد أن أويساً قد غادرها فاشتد به الأسى، فرجع إلى مكة ليعلم أن أويساً يعيش بالكوفة .. فاتجه نحو الكوفة، ولكن ظل مُدة طويلة دون أن يهتدى إليه، وأخيراً رجع متجهاً إلى البصرة، وفى طريقه إليها رأى أويساً مرتدياً حلة مُرقعة يتوضأ على شاطئ الفُرات، وحينما جاء أويس قريباً من شاطئ النهر، وأخذ يمشط لحيته، تقدم إليه هرم وحياه، فقال أويس: السلام عليك يا هرم بن حيان ..

فصاح هرم: كيف عرفت أننى هرم؟

فقال له أويس: روحى عرفت رُوحك ..

فجلسا فترة، ثم أرجعه، قال هرم: كان معظم حديثى معه من كلام أمير المؤمنين عمر وعلى رضى الله عنهما.

رَوى أن عمر روى عن الرسول ﷺ قوله:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله .. الحديث».

ثم قال لى حينذاك: «عليك بحفظ قلبك من التفكير فى الغير، ولقوله هذا معنيان:

١ - اجعل قلبك مطيعاً لله، بمجاهدة نفسك.

٢ - اجعل نفسك مطيعة لقلبك بالمشاهدة.

وهذان مبدآن سليمان ..

إذ إن من واجب المريدين أن يجعلوا قلوبهم مطيعة لله، كى تتطهر من الأمانى والأهواء الضالة وتبتعد عن الأفكار الدينية وتتبعه نحو ما يحقق لهم السلامة الروحية:

١ - بإطاعة الأمر.

٢ - والتفكر فى آلاء الله.

حتى تصبح قلوبهم المكان المقدس لمحبوبهم.

أما أن يجعل المرء نفسه مطيعة لقلبه، فهذا من أعمال الكاملين الذين أضاء الله قلوبهم بنور الكمال.

وخلصها من كافة الأسباب والوسائل، ومنحهم رداء القُرْب، وبذلك أظهر لهم كرمه، واختارهم ليتفكروا فيه ويقتربوا منه، ولهذا جعل أبدانهم متفقة مع قلوبهم.

١ - فالجماعة الأولى أصحاب قلوب.

٢ - والجماعة الثانية مغلوبة القلوب.

- الأولى باقية الصفات.

- أما الثانية فهى فانية الصفات.

وترجع صحة هذا إلى قوله تعالى:

﴿ إلاَّ عبادَكَ منهُمُ المُخْلَصين ﴾ «الحجر - ٤٠».

والجماعة الثانية:

١ - التى تجعل أجسامها متفقة مع قلوبها ..

٢ - والتى تستقر قلوبها ..

هى أعلى قدراً من الجماعة الأولى التى تبذل جهدها كى تجعل قلوبها مطيعة لأوامر الله ويقوم أساس هذا الموضوع على مبدئى:

١ - الصحو والشكر.

٢ - والمشاهدة والمجاهدة.

٣- إمام العصر وفريد الدهر:

الحسن بن أبي الحسن البصري:

ولقبه أبو على، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو سعيد، ويضعه أهل هذا العلم، بل أهل كل العلوم موضع إجلال وإكبار، وله توجيهات دقيقة فى علم المعاملات.

وقد قرأت فى الأثر: أن أعرابياً جاءه وسأله عن الصبر، فأجابه الحسن:

الصبر نوعان:

١ - الصبر عند البلاء. ٢ - والصبر فى الابتعاد عما نهى الله عنه.

فقال الأعرابى: إنك زاهد، ولم أرد من هو أزهد ولا أصبر منك ..

فصاح الحسنُ قائلاً: يا أعرابى، ليس زهدى إلا رغبة وليس صبرى إلا جزعاً ..

فسأله الأعرابى أن يشرح له مقاله هذا قائلاً:

لقد زعزعت إيمانى.

فأجابه الحسن: إن صبرى على المصائب وخضوعى يُظهران خوفى من نار السعير، وهذا جزع، وأن زُهدى فى هذا العالم هو رغبة فى الآخرة، وهذه هى الرغبة بعينها.

أنعم بمن لا تعنيه آماله ..

١ - فهو يصبر لله، لا خوفاً من سعيره.

٢ - ويزهد لله، لا رغبة فى جناته.

إن هذه هى علامة الإخلاص الصحيح ..

ويُروى أنه ﷺ قال:

«صُحبة الأشرار تورث سوء الظن»

وهذا قول حكيم يناسب الناس فى عصرنا هذا، فالناس جميعاً قد فقدوا ثقتهم فى أحباب الله، وسبب هذا أنهم لم يتصلوا إلا بأدعياء الصوفية الذين لا يزاولون إلا ظاهرها.

وعندما يرى الناس أن هؤلاء الأدعياء يعملون المنكر ويقولون الكذب ويجرون وراء الشهوات، يظنون أن رجال الصوفية يسلكون نفس الطريقة أو أن هذا هو مبدئهم.

فالصوفية يعملون فى طاعة الله، ويتحدثون بكلماته، ويحفظون حبه فى قلوبهم، وصوت شريعته فى آذانهم، ونور جمال فى عيونهم، ويوجهون كل اهتمامهم نحو الوصول إلى الأسرار الإلهية حيث يُلهمهم الله بها .. فإذا كان الأشرار قد ظهروا بينهم واستخدموا أساليبهم فالوزر على من ارتكبه، وإن اتصل بأشرار القوم فإنما يعمل ذلك لأنه منهم، إذ لو كان به خير لاتصل بالأخيار.

وفى الأثر:

«شبيه الشئ منجذب إليه».

إذن فاللوم على الشخص الذى يصحب شبيهه أو كفؤه ومفكروهم أكثر شراً، وأحقر خَلق الله جل جلاله الذين يكون اختلافهم مع شرارهم وأراذلهم، وما داموا لم يجدوا من الأخيار هوى ومراداً يجابهونهم بالنكران، أو يقتدون بهؤلاء الأراذل لأنهم مثلهم مفسدون ولم يتجهوا إلى الأخيار.

أما من نظروا إلى أخيارهم بعين الرضا واشتروا صحبة هؤلاء الأخيار بالروح والقلب واختاروا في العالم طريقهم فقد وصلوا ببركتهم إلى أملهم في الدارين.

٤ - رئيس العلماء ومقتدى الفقهاء:

سعيد بن المسيّب:

فقد كان عظيم الشأن، رفيع القدر، عزيزاً حميد الصدر وله مناقب كثيرة في فنون العلم من الفقه والتوحيد، والحقائق والتفسير، والشعر واللغة وغير ذلك.

يروى أنه كان يكتم زهده وورعه ولا يبديه وقد أقر الصوفية هذا السلوك، وامتدحه مشايخهم، وقد قال:

« إرض باليسير من الدنيا مع سلامة دربك كما رضى بكثيرها مع ذهاب دينهم.

ومعنى ذلك أن الفقر مع التدين، خير من الغنى مع الغفلة، لأن الفقير حينما ينظر داخل قلبه لا يفكر في الطمع، وحينما ينظر في يديه يقنع، وحينما ينظر الغنى في قلبه يطمع في الدنيا وحينما ينظر في يديه يجد الدنيا مليئة بالشبهة.

فرضى الأحبة بسُلطان الله الذى لا يغفل، أفضل عنده من رضا الغافلين الراكنين إلى الدنيا المليئة بالغرور والفساد، والحسرة والندم والزلة والمعصية، وحينما يصيب الغافلين الذى يقولون الحمد لله أن لم يكن في أبدانها . .

ويقول الأحبة:

الحمدُ لله أن لم يكن في دينك، إذا أصابهم أذى في آبدانهم.

فحينما يكون القلب في اللقاء يسعد الجسد في البلاء، وحينما يكون القلب في عقله يكون القلب في نفسه ولو كان ينقلب في النعمة.

وفي الحقيقة الرضا بقليل الدنيا نعمة وكثرة والرضا بكثير الدنيا قلة.

ذلك أن قليلها مثل كثيرها .

ويروى أنه حينما كان بمكة جاءه رجل وقال له:

« أخبرنى عن حلال لا حرام فيه، وحرامٍ لا حلال فيه ».

فقال: ذكر الله حلال ليس فيه حرام.

وذكر غيره حرام لا حلال فيه.

فخلاصُك في ذكر الله، وهلاكك في ذكر غيره.

أتباع التابعين حتى يومنا هذا:

١ - شجاع الطريقة، ومتمكن الشريعة:

حبيب العجمى:

عالى الهمة، رفيع القدر ..

جاءت توبته على يد الحسن البصرى، وكان فى بداية عهده مرابياً، يرتكب كل أنواع الشرور، ولكن الله أحسن توبته ووهبه التوفيق حتى عاد إلى حظيرته، وتعلم من الحسن البصرى شيئاً من علوم الدين وأعماله.

وكان لسانه أعجمياً لا يُحسن النطق بالعربية، وقد خصه الله بكرامات كثيرة، وفى ليلة مر الحسن البصرى بصومعته وكان حبيب قد أذن للعشاء ووقف يصلى فدخل الحسن البصرى، ولكنه لم يرد أن يصلى وراء حبيب، إذ أنه لا يحسن النطق بالعربية ولا يحسن تلاوة القرآن، وفى نفس الليلة رأى الحسن البصرى فى منامه، أنه رأى الله تعالى، وقال له: يا إلهى دُلنى على ما يرضيك؟

فأجاب الله: يا حسن .. لقد وجدْت ما يُرضينى ولكن لم تقدره حق قدره، لو كنت صليت أمس وراء حبيب، ولو كان صحة قصده قد جعلتك تقضى عن رطانته لرضيت عنك.

ويقول الصوفية أنه لما هرب الحسن البصرى من رُسُل الحجاج، لجأ إلى صومعة حبيب، فجاء الجنود وسألوه: هل رأيت الحسن؟ قال: نعم .. قالوا: وأين هو؟ فأجاب: هو فى صومعتى فدخلوا الصومعة لكنهم لم يجدوا فيها أحداً فسبوا حبيباً، وقالوا له: كاذب، واعتقدوا أنه يسخر منهم فأقسم أنه لم يقل إلا الصدق، فرجعوا مرة ثانية وثالثة ولكنهم لم يجدوا أحداً فرحلوا ولما خرجوا جاء الحسن وقال لحبيب: أنا أعلم أن الله لم يكشفنى لهؤلاء الأشرار إلا بفضل بركتك، ولكن لماذا قلت لهم أنى هنا؟ فأجاب حبيب: يا سيدى .. إن الله لم يُنجك منهم بسبب بركتى، ولكن بفضل قول الصدق فلو أنى كذبت لأصبحنا نحن الإثنين فى موضع لا نحسد عليه .. وسئل حبيب: ما الذى يُرضى الله؟ فأجاب: قلب ليس فيه غبار النفاق.

٢- خطيب الفقراء، وأمير كل الأولياء:

أبو حليم حبيب بن سالم الراعى:

كان ذا منزلة عظيمة بين المشايخ ..

وله آيات واضحة وبراهين ساطعة ..

وكان رفيق سلمان الفارسى ..

ويُروى عنه عن النبى ﷺ أنه قال:

« نية المرء خير من عمله ».

وكان له قطيع من ماشية، وبيته على شاطئ الفرات ..

وكان طريقه هو الاعتزال عن الدنيا.

ويروى عنه أحد المشايخ ما يلى:

« مررْتُ يوماً به فألفيته يُصلّى .. بينما يقوم الذئب بحراسة غنمه ..

فعزمت على زيارته لما بدا لى من أمارات عظمته وبعد أن تبادلنا التحية ..

قلتُ له: يا شيخ إنى أرى الذئب فى وفاقٍ مع الغنم ».

فأجاب: لأن الراعى فى وفاق مع الله ..

ثم وضع إنائين من خشبٍ تحت صخرة ..

فانفجرت عينان من الصخرة:

١- إحداهما لبن مصفى.

٢- والأخرى عسل.

وعندما طلب منى الشرب .. قلت له:

أيها الشيخ: كيف وصلت إلى هذا المقام؟

فقال: بطاعتى لمحمد رسول الله ﷺ.

إن الصخر انبجس عن ماءٍ لأمة موسى، رغم عصيانهم له، ورغم أن موسى أقل مرتبة من محمد فلماذا لا ينبجس الصخر عن لبنٍ وعسل، مادُمت مطيعاً لمحمد ﷺ، الذى هو أعلى مرتبة من موسى فقلت: عظنى ..

فقال: « لا تجعل قلبك صُندوق الحرص .. وبطنك وعاء الحرام ».

٤ - الشيخ الصالح أبو حازم المدني:

وكان مقتدى بعض الشيوخ، له فى المعاملة حظ وافر، وخطر عظيم، كما كان ثابتاً فى فقره ومتبحراً فى مختلف صنوف مجاهدة النفس.

وقد أجاب عما يملكه فقال:

١ - الرضا عن الله.

٢ - والغناء عن الناس.

٣ - وبالرضا عن الحق يتم الاستغناء عن الخلق.

٤ - كل من يكونُ غنياً بالله يكون مستغنياً ولا يعرفُ طريقاً إلا إلى بابه.

٥ - ولا يعرف سوى الله فى الخلا والملا.

٦ - ولا يدعو سواه تعالى.

وروى أحد المشايخ قال:

ذهبت لرؤيته فوجدته نائماً، ومكثت زمناً حتى استيقظ فقال: رأيت الآن فى منامى أن النبى محمداً ﷺ قد أعطانى رسالة لك وأمرنى أن أخبرك أنه خير لك أن تقوم بواجبك نحو أمك من أن تذهب للحج.

٥ - راعى أهل المجاهدة والقائم بحمل المشاهدة:

محمد بن واسع:

كانت له مبادئ ومعرفة كاملة بمبادئ الطريق وله فى الحقائق أنفاس واسعة وعالية وإشارات كاملة، ويُروى عنه أنه قال:

« ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه ».

وأهل الله حينما ينظرون بشوقٍ فإنهم لا يرون المخلوق الخاضع الذليل، ولكنهم يرون الفاعل القادر المبدع، وهذا مقام عالٍ من مقامات المشاهدة ..

وعبارته أشبه بما قال إبراهيم الخليل ﷺ الذى نظر إلى الشمس والقمر والنجوم وقال: (هذا ربى) ..

ذلك لأنه غلبه الشوق حتى رأى صفات محبوبه فى كل ما يراه، وأحباب الله يرون أن الكون رهن إرادته وأسير مشيئته.

٦- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الخراز:

الذى يحتذى به أهل السُنة، وكان متبحراً فى أعمال المجاهدة والعبادة، وسعة كبيرة فى مبادئ الصوفية.

وقد أراد فى بادئ أمره أن يعتزل الناس ويترك صحبتهم، ذلك أنه حرر قلبه من أى تفكير فى سلطة أو عظمة، فرأى فى منامه ليلة أنه كان يجمع عظام النبى ﷺ من مقبرته، ويختار بعضها، وينبذ الأخر، فاستيقظ فزعاً وسأل أحد تلاميذه - محمد بن سيرين - أن يُفسر الرؤيا فقال له: ستصل إلى مرتبة عالية فى المعرفة عن رسول الله !، وفى المحافظة على سُنته حتى أنك ستُبين الغث من الثمين.

ورأى مرة أخرى أن النبى ﷺ قال له:

« لقد خُلقت لإحياء سُنتى فلا تقتصد »

وكان مُعداً لعددٍ من الأئمة مثل إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض، وداود الطائى وبشر الحافى وغيرهم.

وفى عصر الخليفة المنصور كان الاتجاه أن يُعين فى منصب القاضى أحد هؤلاء الأشخاص الأربعة: أبو حنيفة، سفيان الثورى، ومسعر بن كدام، وشريح، وهؤلاء الأربعة كانوا من فحول العلماء، فأرسل إليهم رسولاً يستدعيهم وكانوا فى طريقهم معاً لمقابلة المنصور . .

قال أبو حنيفة: كل منا شيئاً حول ذهابنا . . فقال: هذا صواب . .

فقال أبو حنيفة: سأرفض المنصب بحيلة أقوم بها وسيتظاهر مسعر بالجنون، وسيهرب سفيان، أما شريح فسوف يصبح قاضياً . .

وفعلاً هرب سفيان على إحدى السفن، وتمنع أبو حنيفة عن قبول المنصب، وادعى مسعر الجنون، وكما توقع أبو حنيفة أصبح شريح قاضياً.

ويروى يحيى بن معاذ الرازى أنه قال:

« رأيت فى نومى أن أسأل الرسول ﷺ قائلاً:

يا رسول الله . . أين أطلبك؟

قال ﷺ: « فى علم أبى حنيفة ».

ولأبى حنيفة فى الورع طرق كثيرة ومناقب مشهورة وقد ثبت أن أبا حنيفة كان أحد الذين فنوا عن أوصاف الطبع وبقوا فى أحكام الشرع.

وعندما تعلم داود الطائى العلم وأصبح حجة فيه ذهب إلى أبى حنيفة وقال له:

ماذا أفعل الآن؟

فأجابه أبو حنيفة: عليك بالعمل ..

فإن العلم بلا عمل كالجسد بلا روح»

ذلك أن الذى يقنع بالعلم وحده غير عالم .. بل العالم الحقيق:

هو من لا يقنع بالعلم دون العمل .. وكذلك الهداية الإلهية:

فهى تقتضى المجاهدة التى بدونها لا يمكن الوصول إلى المشاهدة ..

فليس هناك علم بغير عمل ..

إذ إن العلم من نتائج العمل ولا يظهر وينمو ويثمر إلا ببركة العمل، فلا يمكن الفصل بينهما على أية صورة ..

٧- مالك بن دينار:

وكان والده عبداً، وُلد قبل أن يتحرر أبوه وفى بدايته كان يلهو مع جماعة، وفى الفجر انبعث صوت من العود الذى كانوا يعزفون عليه وقال: يا مالك، مالك لا تتوب؟ فترك طريق العبث والمجون وذهب للحسن البصرى وتمت توبته وارتفع مقامه .. حتى أنه اتهم مرة بسرقة جوهرة أثناء وجوده على ظهر مركب، لأنه كان مجهولاً ممن عليها، فما أن رفع مالك وجهه إلى السماء حتى طفت كل أسماك البحر إلى سطح الماء وفى كل واحدة منها جوهرة، فأخذ مالك إحدى هذه الجواهر وأعطاها للرجل الذى فقد جوهرته ثم مشى على الماء حتى وصل الشط ..

ويروى عنه أنه قال:

«أحبُ الأعمال إلى الإخلاص فى العمل».

فالإخلاص بالنسبة للعمل كالروح بالنسبة للجسد.

والإخلاص تابع لأعمال الباطن ..

ولا يُعتبر الإخلاص إخلاصاً إلا إذا اقترن بالعمل، ولو قام بالأعمال الظاهرة طول الوقت فلن يعتبر عمله هذا من قبيل الأعمال إلا إذا اقترن بالإخلاص.

بعض أئمة الصوفية من المتأخرين:

١- أبو العباس أحمد بن محمد القصاب.

٢- أبو على الحسن بن محمد الدقاق.

٣- أبو الحسن على بن أحمد الخرقانى.

٤- أبو عبد الله محمد بن على المعروف بالداستانى.

٥- أبو سعيد فضل الله بن محمد الميهنى.

٦- أبو الفضل محمد بن الحسن المختلى.

٧- أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى.

٨- أبو العباس أحمد بن محمد الأشتانى.

٩- أبو القاسم على بن عبد الله الجرجانى.

١٠- أبو محمد المظفر بن أحمد بن حمدان.

الآراء
التى كتبت فى
الصوفية والتصوف

١- بعض الآراء المؤيدة للصوفية.

٢- بعض الآراء المعارضة للصوفية.

٣- الـرأى المعتـدل.

٤- نماذج من الكتابات الصوفية المعاصرة.

أولاً

بعض الآراء والكتابات المؤيدة للصوفية

١ - ما كتبه الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

في تقديمه لكتاب "قضية التصوف - المدرسة الشاذلية"

٢ - كتاب الحب الإلهي في التصوف الإسلامي

للدكتور/ محمد مصطفى حلمي

١ - ماكتبه الإمام الأكبر العارف بالله

الدكتور عبد الحليم محمود

عن التصوف

فيما أسماه الإمام الأكبر مقدمة وخاتمة فى نهاية كتابه: « قضية التصوف .. المدرسة الشاذلية ».

يقول فضيلته:

فى هذا العصر الذى أخذت فيه الأرضُ زخرفها وزينتها من العناصر المادية وقامت فيه الحضارة الأوربية على المنهج الحسى المادى، ولا تكاد تعترف بغيره من المناهج، مازال فى البيئات الإسلامية - والحمد لله - طرائف من أصحاب الفطر السليمة الذين يرجون للبشرية مستقبلاً يضرب بأسهم وافرة فى عالم الخير والحق عالم الدين والروح، عالم الإخاء والإيثار ..

وهذا العالم الذى تنبع أصوله من وحى السماء والذى يسير أفراداً أو جماعات - هادفًا إلى تحقيق المنهج الإلهى والمبادئ الإلهية، يمثله كنماذج أضوأ ما تكون النماذج أئمة التصوف وأعلام الصوفية .. إنهم يمثلونه فى المنهج الذى اتبعوه، ويمثلونه كحقائق واقعية فى المبادئ والقواعد، إن حياتهم - منهجاً وموضوعاً - تترسم التربية الإلهية، وهدْى الرسول ﷺ فيما عظُم من الأمور، وفيما هو سهل يسير ..

وهم يحاولون ما أمكن أن يكونوا بقدر الاستطاعة ورثة الأنبياء علماً، وورثة الأنبياء سلوكاً وورثة الأنبياء أحوالاً ومقامات.

بيد أن بعض الناس لا يتبين فى وضوح معنى التصوف، ولا مدى الصلة بين الإسلام والتصوف ويتساءل عن ذلك بمناسبة الكتابة عن الشاذلى مثلاً أو عن أبى العباس المرسى، ويقولون فى صراحة: هل هذا النوع من السلوك الذى أخذوا فيه والذى يُسمى « التصوف » من الإسلام أو ليس من الإسلام .. ولقد تساءل عن ذلك الكثيرون بمناسبة إخراجنا كتاب « الشاذلى » رضي الله عنه ..

وكتب بعضهم فى المجلات كتابة تُنبئ عن عدم وضوح الرؤية فى موضوع التصوف، وتُنبئ عن حصول لَبْس فى مدى صلته بالإسلام.

وكل ذلك يحدث كلما ظهر كتاب عن شخصية صوفية وكلما نشر كتاب عن التصوف نفسه ..

وسيحدث حتماً - والزمن يكرر نفسه - فى مناسبات أخرى ومن أجل ذلك .. نكتب هذه المقدمة عن **صلة الإسلام بالتصوف ..**

ونحاول ما أمكن الاستدلال بها بالنصوص الشرعية وبأقوال الصوفية، مبينين فى غير تحيز ولا عصبية وجهة النظر السليمة، ليهتدى من يهتدى عن بصيرة وليسلُك من يشاء طريقهم على هدى وعلم، وهى مقدمة أصبحت ضرورية، ولعلها تأخرت نوعاً ما بعد نرت سلسلة «أعلام العرب» عدة كتب عن كبار الصوفية، فنقول وبالله التوفيق:

١ - ما هو المنهج الملائم؟

إن صلة التصوف بالإسلام - منهجاً وموضوعاً لا يتأتى فهمها صحيحاً إلا إذا عرفنا التصوف تعريفاً ينطبق على حقيقته أكمل ما يكون الانطباق، بيْد أنّ تعريفه ليس من السهولة بمكان، ذلك أن تعريفات التصوف، كما يقول مؤرخو التصوف القدماء أربت على الألف، وملها تعريفات لها وزنها وقيمتها إذ أنها بأقلام الصوفية أنفسهم، وإذا كانت هذه التعريفات بأقلام أرباب الشأن فإنه من الصعوبة بمكان أن يقف الإنسان منها موقف الحكم، يُفضل بعضها على بعض، ويجعل بعضها فى المرتبة الأولى، ويجعل البعض الآخر ثانوياً، ثم ينتهى بتعريف جامعٍ مانعٍ ..

ما هو المقياس؟ وما هو الفيصل؟

ثم بأى سلطان يتدخل الإنسان بين هؤلاء القوم ذوى المذاقات الرقيقة، والمشاعر الروحية الدقيقة؟ أبسُلطان العلم، ملاحظة واستقراء أم بسُلطان العقل بحثاً واستنتاجاً؟ أم بسلطان الروح إشراقاً وإلهاماً؟

٢ - التصوف والعلم:

هل يلج العلمُ بملاحظته واستقرائه حصن التصوف؟

إنه إذا فعل ذلك فإنه لن يُلاحظ إلا الشكل الخارجى ولا يستقرئ إلا المظهر الشكلى، ولا شئ بعد ذلك من روح التصوف وجوهره، ومعنى هذا الاخفاق التام ..

وحقاً لقد أخفق - إلى الآن - علم النفس وأخفق علم الإجتماع إخفاقاً كاملاً فى الوصول إلى كنه التصوف وحقيقته.

بل إن الدراسات النفسية الحديثة، والدراسات الاجتماعية المعاصرة أفسدت الفكرة

عن التصوف إفساداً تاماً، شأنها في ذلك شأن ما اتصلت به من الدراسات التي تتصل بالروح، بالوحي وبالإلهام السماوي، وبالدين على وجه العموم.

إن الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة ممدت نفسها بالمادة وتقيدت بالظواهر المادية المحسة الملموسة، المرئية أو المسموعة، أو المذاقة مذاقاً حسياً، أو المشمومة.

وهي تعترف إعترافاً صريحاً لا لبس فيه أن مجالها إنما هو المجال المادي، وأن كل ما خرج عن المجال المادي فإنه لا يدخل تحت مرصدها ومخبرها ومسبرها وإذن لا يدخل في إطار بحثها ..

والتصوف روح وإلهام وإشراق، فلا يدخل في مجالها

ومن هنا كان اكتفاء هذه الدراسات بالمظهر والشكل، ومن أجل ذلك كان إخفاقها كاملا، وفشلها يفجأ النظر.

إن ما نسميه «العلم الحديث» إنما هو العلم السائد في أوربا وفي أمريكا، وفي العصر الحاضر، وقد ألزم نفسه إلزاماً تاماً ألا يخرج عن دائرة المادة، وحدد مختاراً - دائرته تحديداً دقيقاً بأنها: المادة، وربط نفسه بذلك ربطاً محكماً، إلى درجة أن كل من يخرج عن المادة لا يسمونه عالماً، وأن كل بحث في غير دائرة الملاحظ، المحس لا يسمونه علمياً. ولسنا - الآن - بصدد تخطئة العلم الحديث أو تصويبه فيما ألزم نفسه به، وإنما نريد أن نبين في وضوح أن هذا الالتزام ينفي نفياً باتاً أن يتصل بالعلم الحديث - من قرب أو بعد - بجوهر التصوف ومفهومه الحقيقي.

ومن أجل ذلك فإن كل ما قيل بلسان العلم عن التصوف لا يمس منه إلا المظهر والشكل، ولا فائدة فيه بتاتاً من حيث الروح والجوهر.

٢ - التصوف والعقل:

أنلجأ إذن إلى العقل؟ ببحثه المنطقي القياسي، وإلى استنتاجاته الناشئة عن المقدمات والأقيسة؟

أيقودنا العقل - آمنين - في بحار التصوف اللامحدودة، وفي رياضه التي لا تنتهي من حيث كونها نفحات من التجليات الإلهية اللانهائية؟ ولكن المعروف أن العقل لا يدور إلا في فلك المادة، إنه يتسامى إلى السماء، فيبحث بأقماره وسفنه وصواريخه بين أرجائها الشاسعة، وساحاتها الرحبة، ويغوص في أعماق البحار فيظهر مكنوناتها ويكشف عن أسرارها، ويتعمق في طبقات الأرض، فيخرج منها أثقالها، ويزيل الغموض عن معمياتها.

إنه مبتدع الصناعة من الإبرة إلى الصاروخ، ومخترع الكيماويات سهلة كانت أو معقدة. ومكتشف النواميس الكونية فى الأرض والسماء، وهو أساس العلم الكسبى: علم التوالد، والاستنتاج، والاستنباط على أشكاله المختلفة، ومناهجه المتعددة. ولكن العقل - ومجاله المادة استنتاجاً، واستنباطاً.

لا شأن له بالغيب: الغيب الإلهى.

لا شأن له بالمساتير: مساتير الملأ الأعلى.

لا شأن له بكشف المحجوب: المحجوب الروحى.

لا شأن له بمعارج القدس، ولا بمنازل الأرواح.

لقد أخفق العقل فى إيجاد مقياس عقلى يقيس به الصحة والخطأ فى عالم الروح، وعجز عن اختراع فيصل يفصل به بين الحق والباطل فى مجال الغيب. لقد أخفق منهج أرسطو. وأخفق - منهج ديكارت. وأخفق إلى الآن - كل منهج عقلى يراد منه أن يصل بنا إلى عالم الإلهية، يعرفنا أسراره، ويسير بنا فى مساتيره.

وإخفاق العقل فى عالم التصوف قضية اعترف بها اعترافاً صحيحاً فيثاغورث وأفلاطون، وأفلوطين.

واعترف بها الكندى، والفارابى، وابن سينا، واعترف بها الغزالى، وجميع الصوفية على الإطلاق.

وقد اعترفوا بها لما علموا أن العقل لا يتأتى له أن يخرج عن دائرة المادة. بل إن الخيال نفسه. بل الوهم، كل ذلك لا يخرج عن دائرة المادة. واعترفوا لها لما رأوه من خلال التاريخ الفكرى للإنسانية، من أن العقل وقف أمام منازل الروح ومعارج القدس عاجزاً لا يحير جواباً، لقد اعترفوا بها وبرهنوا. وكان منطقهم من السلامة بحيث صدقه الواقع التاريخى وليس ذلك بكادح فى العقل، فله مجاله الضخم فى رحاب الكون. وفى أغوار الأرض. وفى أقطار السماء وعليه وبه قامت الحضارة المادية الحديثة، متسلطة غلابة.

٤ - المنهج الصوفى:

وإذا عجز المنهج العلمى المادى عن دراسة التصوف فى حقيقته، وجوهره وعجز المنهج العقلى كذلك. فإن الصوفية جميعاً .. وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورث وأفلاطون إلى الآن يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً، ويثقون فيه ثقة تامة. ذلك هو المنهج القلبى، أو المنهج الروحى أو منهج البصيرة، وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها، واصطفته مذاهب الحكمة: القديم منها والحديث.

يقول الله سبحانه: ﴿ إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسؤولا ﴾ (الإسراء-٣٦) إنه سبحانه ذكر الفؤاد على أنه مسئول مثله فى ذلك مثل السمع فى محيطه. والبصر فى محيطه. والإمام الغزالى «معبراً عن رأى الصوفية وعن رأى فلاسفة الإشراق»، يرى أن الدليل القاطع على أن هناك معرفة ليس مرجعها إلى الحس. ولا إلى العقل. إنما هما أمران:

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة. فإنه يتكشف بها الغيب. وإذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضاً فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسات، فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه.

الثانى: أخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور المستقبل.

وإذا جاز ذلك للنبى ﷺ جاز لغيره، إذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور، وشغل بإصلاح الخلق، فلا يستحيل عليه أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل إصلاح الخلق، وهذا لا يسمى «نبياً» بل يسمى: «ولياً». أ هـ.

فمن آمن بالأنبياء وصدق الرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بالبصيرة أو بتعبير آخر يقر بباب للقلب ينفتح على عالم الملكوت، هو باب الإلهام. والنفث فى الروع والوحى.

والإمام الغزالى يتثبث بالرؤيا كبرهان. ودليل على أن هناك آلة للمعرفة غير الحسن والعقل، ويردد ذلك فى كثير من كتبه.

إنه يتحدث فى المنقذ عن النبوة فيقول:

«وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأنه أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم، إذ النائم يدرك ما سيكون فى الغيب، إما صريحاً وإما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير. وهذا لو لم يجربه الإنسان بنفسه وقيل له: إن من الناس من يسقط مغشياً عليه كالميت، ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لأنكره، وأقام البرهان على استحالته، وقال القوى الحساسة سبب الإدراك فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها. فبألا يدركها مع ركودها أولى وأحق. وهذا نوع قياسى يكذبه الوجود والمشاهد» أ هـ.

ولكن الإمام الغزالى لا يكتفى بهذين الوجهين من الاستدلال، بل يأتى بشواهد الشرع، ويذكر التجارب والحكايات.

أما الشواهد فيما يرى فهى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت - ٦٩).

وقوله ﷺ: «من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم».

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (الأنفال-٢٩).

قيل نور يفرق به بين الحق والباطل. وتخرج به من كل الشبهات وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ (الزمر-٢٢).

ما هذا الشرح؟ فقال: هو التوسعة. إن النور إذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح. وقال عليه الصلاة والسلام.

«إن من أمتى محدثين. ومعلمين. ومكلمين. وإن عمر منهم».

والمحدث: هو الملهم. والملهم هو الذى انكشف له الحق فى باطن قلبه من جهة الداخل لا جهة المحسات الخارجية. والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف.

ولم يكن علم الخضر عليه السلام علماً حسياً أو عقلياً. وإنما هو العلم. العلم الربانى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾ (الكهف - ٦٥).

٥- المنهج الصوفى منهج إسلامى:

المنهج إذن: منهج إسلامى صحيح سليم لا غبار عليه. ثم هو منهج فلسفى برغم معارضة الفاسفة العقليين يقره الكثير من كبار الفلاسفة الغربيين والشرقيين. ومن القدماء والمحدثين.

ثم هم منهج جرب فنجح. جربه الإمام الغزالى فنجح. وجربه غيره فنجح وعنه يقول الإمام الغزالى: «والكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها. والقدر الذى أذكره لينتفع به: أنى علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة. وأن سيرتهم أحسن السير. وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء. وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه. لم يجدوا إليه سبيلا. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة. وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به. وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها - وهى أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفاحها - الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة - استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية فى الله.

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهى على التحقيق أول الطريقة. وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه.

ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات. حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء. ويسمعون منهم أصواتاً. ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى فى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق » أ هـ.

وعن هذا المنهج يقول الأستاذ رينيه جينو: الحكيم الفرنسى - فى محاضرة ألقاها فى جامعة باريس - يقول متهكماً بهؤلاء الذين - يشكون فى هذا المنهج، ساخراً من موقفهم الذى يصور الكسل المزرى - « يتساءل قوم: أمن الممكن أن نتخطى الطبيعة فنصل إلى ما وراءها؟ إننا لا نتردد فى أن نجيبهم فى وضوح واضح: ليس ذلك ممكناً فحسب، ولكن ذلك واقع وموجود. سيقولون: تلك قضية تفتقر إلى برهان؟ ولكن أى برهان يمكن أن يقدمه الإنسان على وقوع هذا الأمر ووجوده؟ إنه لمن الغريب حقاً أن يطلب البرهان على إمكان نوع من المعرفة، بدلا من أن يحاول الإنسان أن يصل إليها بتجربته الشخصية، سالكاً إليها ما تتطلبه.

إن الشخص الذى وصل إلى هذه المعرفة لا يعنيه فى قليل أو كثير ما يثور حولها من جدل ونقاش. وإنه لمن الواضح أن إحلال « نظرية المعرفة » محل « المعرفة » نفسها إعلان صريح على عجز الفلسفة الحديثة » أ هـ.

٦- لا يكتسب التصوف عن طريق القراءة:

والمنهج إذن: إنما هو تزكية النفس. أو إجلاء البصيرة.

كيف يتأتى ذلك؟

هى يتأتى ذلك عن طريق القراءة والدرس؟ هل السبيل إلى معرفة الغيب مباشرة هو البحث والدرس والاستقصاء، ويتفاوت الناس فى الإشراق بتفاوتهم فى شمول الدراسة. وعموم التحصيل؟ كلا قطعاً.

يقول الإمام الغزالى معبراً عن الرأى الصحيح المبنى على التجربة نفسها: « ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم: مثل « قوت القلوب » لأبى طالب المكى، رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبى، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد، والشبلى، وأبى يزيد البسطامى قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لى أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق، والحال، وتبدل الصفات.

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة، وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما، وبين أن يكون صحيحاً، وشبعان. وبين أن يعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكران. بل السكران لا يعرف حد السكر، وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شئ، والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا. فعلمت يقيناً: أنهم أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال، وأن ما يمكن تحصيله بطرق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك.

وابن سينا حينما أراد أن يحدد طريق البصيرة حتى يصير سر الإنسان - على حد تعبيره - مرآة مجلوة، لم يحدده بقراءة وبحث. وإنما حدده بإرادة ورياضة.

وأبو الحسن النورى يرى فى صراحة أن التصوف ليس علماً، ويعلل ذلك بأنه لو كان علماً لحصل بالتعلُّم. ولكن الأمر ليس كذلك وليس طريقة تزكية النفس. إذن العلم كسبى.

٧- التصوف والأخلاق:

أهو الأخلاق الطيبة؟

إن الكثير من الكتاب الحديثين - متابعين فى ذلك الكثير من الصوفية - قد حددوا التصوف نفسه - لا تزكية النفس وحسب - بأنه الخلق الطيب. يقول أبو بكر الكتانى [المتوفى سنة ٣٢٢هـ]: «التصوف خلق، فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء».

ويقول أبو محمد الجريرى [المتوفى سنة ٣١١هـ] - وقد سئل عن التصوف - «الدخول فى كل خلق سنى، والخروج من كل خلق دنى».

أما أبو الحسن النورى فإنه ينفى عن التصوف أن يكون رسماً منهجياً تخطيطياً، أو أن يكون علماً كسبياً، ويجزم بأنه خلق. ويعلل النفس والإثبات فيقول:

«ليس التصوف رسماً ولا علماً، ولكنه خلق. لأنه لو كان رسماً لحصل بالمجاهدة. ولو كان علماً لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم».

على أن أبا الحسن النورى نفسه يحدد الأخلاق التى يرى أنها التصوف. فيقول فى موضع آخر معرفًا التصوف:

«التصوف: الحرية، والكرم، وترك التكلف، والسخاء».

على أن هؤلاء الذين ذكروا هذه التعاريف الأخلاقية للتصوف، ذكروا هم أنفسهم تعاريف أخرى وذلك - على الأقل - يدل دلالة لا لبس فيها على أنهم: لم يروا كفاية الجانب الأخلاقي في تحديد التصوف، وتعريفه.

والواقع أننا لو نظرنا إلى كثير من الأشخاص الذين اشتهروا بالسمو في الجانب الأخلاقي الكريم. واتصفوا بأروع الصفات الأخلاقية، واتخذوا الفضيلة مذهباً وشعاراً، فإننا نجدهم أشخاصاً مثاليين، في المحيط الأخلاقي وفي المجتمع.

ولكن ليس معنى ذلك أنهم لا محالة من الصوفية. ولو نظرنا في البيئة لوجدنا داعية إلى الفضيلة ومتمذهباً بها، ومحاولاً نشرها بشتى الوسائل. وبمختلف الطرق. سواء أكان ذلك بالدعوة الإقناعية أم بالمنطق الجدلي، أم بالأسوة الكريمة ذلك هو سقراط. ومع ذلك فإن سقراط هذا لم يكن صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة «صوفي».

وإذا انتقلنا إلى البيئة الإسلامية فإننا نجد الحسن البصري - رضي الله عنه - من أروع وأجمل الشخصيات الأخلاقية العالية. لقد كان مثلاً صادقاً للشعور الأخلاقي في طهره وصفاته. وكان ينشر الفضيلة بوعظه المؤثر، ومنطقه القوي، وسلوكه المثالي. ومع ذلك فلم يكن الحسن البصري صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة «صوفي. على أنه من الطبيعي أن تكون الأخلاق الكريمة أساساً من أسس التصوف. وأن تكون الأخلاق في أسمى صورة من صورها ثمرة التصوف.

ومن الطبيعي أيضاً أن تكون الأخلاق الكريمة شعار الصوفي فيما بين الأساس الثمرة. فهي إذن ملازمة للتصوف، وللصوفي ملازمة تامة، لا تتخلى عنه ولا يتخلى عنها، ويعبر ابن سينا عن بعض ما يتحلى به الصوفي من أخلاق، معللاً ذلك فيقول: «العارف شجاع؛ وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت؟! وجواد؛ وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل؟! وصفّاح؛ وكيف لا ونفسه أكبر من أن تجرحها زلة بشر؟ ونسّاء للأحقاد، وكيف لا وذكره مشغول بالحق؟!».

ولكن ليس معنى ذلك أنها هي التصوف.

٨- التصوف والزهد:

هل الطريق هو الزهد؟

إن كثيراً من الناس لا يكادون يفرقون بين التصوف والزهد. وكثير منهم يرون أن

الزهد هو الطريق المؤدى إلى التصوف، أو هو الطريق المؤدى إلى جلاء البصيرة. والواقع أننا حينما نفكر فى الزهد نرى منه ألواناً عديدة:

إن منه هذا اللون المنطقى الفلسفى، الذى يرى صاحبه أن أسمى ما فى الحياة، إنما هو الهدوء والسكينة، وراحة البال، وطمأنينة النفس، ولا يتأتى ذلك بالجرى وراء الدنيا. والكفاح فى سبيل الثراء والانغماس من ورائه فى الملاذ.

إن الناس يتكالبون على الدنيا تكالباً شديداً. وإلقاء الإنسان بنفسه فى المعركة - معركة التنازع على الدنيا - لا ينتج غالباً إلا انشغال البال، والهم، والفكر، والقلق، وسبيل السكينة والراحة إنما هو البعد مصدر النزاع.

وهؤلاء الذين يفكرون هذا التفكير، فيؤديهم إلى الزهد يكون زهدهم زهداً منطقياً، فلسفياً. يقول ابن سينا: «المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد». وهذا الزاهد إما أن يكون هدفه سكينة فى الدنيا، لا يتطلع إلى غير ذلك. وهو ما سبق أن تحدثنا عنه. وإما أن يتخطى الدنيا، فلا تخطر له على بال، أو يكون أمرها فى نظره ثانويا، ويتجاوزها إلى الآخرة. يزهد من أجلها ويعرض عن متاع الدنيا وطيباتها من أجل نعيم الآخرة فيكون الزهد عنده - على حد تعبير ابن سينا - «معاملة ما، كأن يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخر». وغاية هذا الزاهد من الامتناع عن طيبات هذا العالم أن يمنحه الله فى الدار الآخرة طيبات ألذ وأمتع. إن مثله .. فيما يروى ابن سينا: كمثل التاجر الذى يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة. وهؤلاء الزهاد لهم أجرهم وثوابهم عند الله فى الآخرة، ولهم سكينتهم فى الدنيا. ولكن هذه الطريقة من الزهد المنظور فيه إلى الجزاء والمكافأة والأجر - فيما يرى الصوفية - لا يقصد الله فيها مباشرة بالعمل ليكون الله سبحانه وحده هو المطلوب. وإنما يقصد فى قليل أو كثير بطريقة شعورية، أو لا شعورية إلى نعيم الآخرة وملاذها.

والزهد الفلسفى، وزهد الراغبين فى الأجر - لا يؤدى إلى أن يصبح السر مرآة مجلوة، وما من شك فى أن طريق الكشف عن البصيرة ينطوى على الزهد ويتضمنه. ولكنه زهد. هو تسامى عن أن يكون لغير الله شأن يشغل نفسه به. فكل ما سواه سبحانه لا يساوى جناح بعوضة، إنه «تنزه ما». إن الطريق ينطوى على الخلق الكريم، وعلى الزهد الخاص، ولكنه يتجاوزهما إلى شئ آخر.

٩- التصوف والعبادة:

هل هذا الشئ الآخر هو العبادة؟

هل الطريق هو المواظبة على فعل العبادات: فرائض ونوافل؟ هل هو الإكثار من النوافل: قياماً بالليل وصوماً بالنهار ونحو ذلك؟

إن للعبادة أثراً لا ينكره أحد فى تصفية النفس وتزكية الروح، ولكنها إذا كانت تهدف من وراء ذلك إلى دخول الجنة ونيل الأجر والثواب، بقيت عبادة مشكورة مأجوراً صاحبها، مثاباً عند الله سبحانه، ولا يتجاوز للقائم بها - على هذا الوضع وبهذه الصورة - وصف العابد إلى وصف الصوفى.

ووصف العابد من غير شك منزلة عظمى. ولكن العبادة على هذا النمط كأنها «معاملة ما»، والعابد على هذا الوضع «كأنه يعمل فى الدنيا لأجرة يأخذها فى الآخرة»: هى الأجر والثواب.

أما الصوفى: فإنه «يريد الحق الأول، لا لشئ غيره، ولا يؤثر شيئاً على عرفانه وتعبده له فقط. ولأنه مستحق للعبادة، ولأنها نسبة شريفة إليه، لا لرغبة أو رهبة». وتعبر السيدة رابعة العدوية عن هذا المعنى فتقول: «إلهى: إذا كنت أعبدك رهبة من النار. فاحرقنى بنار جهنم. وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها. وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك. فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى».

وتقول رضوان الله عليها: «ما عبدته خوفاً من ناره، وحباً لجنته. فأكون كالأجير السوء. بل عبدته حباً وشوقاً إليه».

والواقع أن الله سبحانه وتعالى إذا عُبد رغبة فى الجنة، أو عُبد رهبة من النار. فإنه سبحانه لا يكون المطلوب الأول، ولا يكون الغاية التى يسعى إليها العابد، وإنما يكون سبحانه كأنه واسطة بين العابد وما رَغبه. وهو: الجنة. أو رَهَبَهُ وهو: النار، وعبادة العباد التى على هذا الوضع. إذن: لا تنتهى بهم إلى أن «يصبح السر مرآة مجلوة يحاذى بها شطر الحق».

١٠- وأن إلى ربك المنتهى:

والصوفى: عابد، وهو زاهد، وهو على خلق كريم، ولكنه يتجاوز ذلك كله إلى شئ آخر، هو هذه «الإرادة والرياضة» الإرادة المصممة، الإرادة التى لا تلين، الإرادة التى تزيل- لقوتها وتصميمها - كل ما يقف أمامها من عقبات فى سبيل الوصول إلى الله سبحانه.

والرياضة التى تتخذ الله هدفها، والتى تتمثل - فى وضوح - فى معانى الهجرة إلى الله، والذهاب إليه سبحانه - والفرار إليه جل وعلا.

«الإرادة والرياضة» لتحقيق المعنى الجليل للآية القرآنية الكريمة:

﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ (النجم - ٤٢).

وتتعاون الإرادة والرياضة فى الوصول - بتوفيق الله - إلى هذا المنتهى الذى لابد من الوصول إليه، لتستقر الإرادة وتسكن.

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا - على لسان نبيه ﷺ - بالفرار إليه:

﴿ ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ﴾ (الذاريات - ٥٠).

والإنسان يفر إلى الله من الكفر إلى الإيمان، ويفر إلى الله من الطاعات إلى القربات، ويفر من الكون إلى المكون، ومن النعمة إلى المنعم، ومن الخلق إلى الخالق، ومن نفسه إلى ربه.

إن الفرار إلى الله لا نهاية له، لأن الترقى لا نهاية له. وكما أن الفرار إلى الله مستمر دائم. فإن الهجرة إليه سبحانه مستمرة دائمة. يقول سيدنا إبراهيم صلوات الله عليه:

﴿ إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم ﴾ (العنكبوت - ٢٦).

إنه صلوات الله عليه مهاجر إلى ربه بكل عمل يعمله، إنه مهاجر إليه بحركاته وسكناته وأنفاسه. مهاجر إليه بنومه وصحوه، مهاجر إليه بكل نفس من أنفاسه.

والهجرة إلى الله والفرار إليه بمعنى واحد، وهو بمعنى مستغرق شامل يشرحه - فى عمومه وشموله - قول المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ممتثلا أمر الله سبحانه وتوجيهه فى قوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴿١٦٢﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (الأنعام - ١٦٢).

وصلاة الإنسان إذن نسكه، ومحياه ومماته: إنما تكون - فى الوضع الإسلامى السليم - لله سبحانه وحده، حيث لا شريك له: من حب مدح، أو ثناء أو زلفى، أو جنة، أو بعد عن النار: ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ (الكهف - ٢٨).

والرياضة: ذكر دائم؛ أي تذكر له سبحانه في كل لمحة ونفس. وهي اتجاه بكل الأعمال إلى الله، وهي هجرة لا تنقطع إليه سبحانه .. وقد تتعذر في المبدإ وتشق في أول الطريق؛ فكان لابد من تهيئة الجو المناسب للمران والتعبد فترة من الزمن. وهذه التهيئة تتمثل في الخلوة والعزلة فترة تطول أو تقصر بحسب طبيعة الإنسان. فقد لا تعدو أن تكون أسبوعاً، أو ثلاثة أسابيع، أو أربعين يوماً. كأنها إجازة روحية، مثلها في ذلك - بالنسبة للروح - مثل الإجازة الجسمية التي يستمر الإنسان فيها في الصيف ما يقرب من ثلاثة أشهر.

على أنه بينما تتكرر الإجازة الجسمية كل عام أكثر من شهر لا تتكرر الإجازة الروحية. اللهم إلا في الاعتكاف في شهر رمضان: عشرة أيام في كل عام اتباعاً لسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة لكل مسلم.

«الإرادة والرياضة» ومع ذلك فإن الأمر - كما يرى الصوفية - مرده الأخير إلى: فضل الله وإحسانه.

١١- منهج التصوف فيما يرى الغزالي وابن خلدون:

وهذه المعاني يلخصها الإمام الغزالي فيقول:

«إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة. ومحو الصفات المذمومة. وقطع العلائق كلها. والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده. المتكفل له بتنويره بأنوار العلم.

وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة. وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر. وانكشف له سر الملكوت. وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة. وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية. فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة. وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام. والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر. وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب. بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها. وتفريغ القلب من شواغلها. والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى «فمن كان له كان الله له» وهو بفعله هذا، يصير متعرضاً لنفحات رحمة الله، وليس له اختيار في استجلاب هذه النفحات. وليس له إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة. كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريقة. وإذا صدقت إرادته. وصفت همته، وحسنت مواظبته. تلمع لوامع الحق في قلبه. ويرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى. فينكشف له الغيب، ويحصل على اليقين».

ويلخصها ويجملها ابن خلدون فيقول:

« ثم إن هذه المجاهدة. والخلوة. والذكر، يتبعها - غالباً - كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شئ منها والروح من تلك العوالم.

وسبب هذا الكشف: أن الروح إذا رجعت عن هذا الحس الظاهر إلى الباطن: ضعفت أحوال الحس، وقوى الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه.

وأعان على ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح. ولا يزال فى نمو وتزيد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً. ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حقيقتها من الأفق الأعلى. أفق الملائكة. وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم. وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها. ويتصرفون بهممهم، وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية. فتصير طوع إرادتهم؛ فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف، ولا هذا التصرف؛ ولا يخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه. بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة، ويتعوذون منه. إذا وقع لهم. ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة. وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ؛ ولكنهم لم يقع لهم بها عناية. وفى فضائل أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى - رضى الله عنهم - كثير منها - وتبعهم فى ذلك أهل الطريقة، ممن اشتملت رسالة القشيرى على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم ».

وهكذا نرى أن المنهج منهج إسلامى. وأن وسيلة المنهج أو طريقة تحقيق المنهج، أو بتعبير أصح - خطوات المنهج - إنما هى خطوات إسلامية.

١٢- ثمرة المنهج:

إلام يؤدى هذا المنهج؟

إذا اتبعنا هذا المنهج. ووفق الله. فما هى النتيجة؟ وما هو الهدف الذى يسعى الصوفى للوصول إليه؟

إننا فى سبيل الوصول إلى رأى سليم. نبدأ أولا بتقسيم الإسلام للبشر من ناحية درجتهم عند الله، والأساس فى ذلك إنما هو قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات - ١٣).

وطريق التقوى فى ترقيه وتساميه، لا يكاد يقف عند حد. وإكرام الله للإنسان إذن

مستمر كلما زادت التقوى حتى يصل هذا الإكرام إلى درجات لا يكاد يتصورها أحد. ويعبر عنها ويشرحها الحديث القدسي الذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، عن رب العزة جل وعلا:

«من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه. وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به. وبصره الذى يبصر به. ويده التى يبطش بها. ورجله التى يمشى بها. وإن سألنى أعطيته. ولئن استعاذنى لأعيذنه».

وأولياء الله هؤلاء قسمهم الإسلام - بحسب قربهم من الله - إلى طوائف بعضها أقرب من بعض. وكلها قريبة منه سبحانه. تنعم فى رضاه، وفى رضوانه، فقال سبحانه: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴿٦٩﴾ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾ (النساء - ٦٩).

هناك إذن: أنبياء، وصديقون، وشهداء، وصالحون، هناك السابقون، وهناك أهل اليمين. وهناك المقربون، وهناك الأبرار. والناس منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله. وتفاوتهم فى التقوى مرتب على تفاوتهم فى التوحيد.

وقمة التوحيد: أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله. وهؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله هم أولو العلم. يقول سبحانه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران - ١٣).

هذه الشهادة فى قمتها ليست مجرد كلمة تقال، ولا مجرد لفظ ينطبق به إنسان من بين شفتيه، فيمر كما يمر أى لفظ آخر. إن لكلمة الشهادة معنى محدداً، هو هذا المعنى الواقعى الذى يحدث حينما يكون هناك شاهد ومشهود. لابد فى الشهادة من شاهد، ولابد من مشهود، ولابد من أن يشاهد الشاهد المشهود. وإلا فهى شهادة .. تجاوزاً.

ولقد شهد الله على الحقيقة، وتشهد الملائكة على الحقيقة، ويشهد أولو العلم على الحقيقة: أنه لا إله إلا الله.

ولقد اختص أولو العلم من بين البشر بهذه الشهادة، فحققوا بها قمة التوحيد وكانوا بسبب ذلك فى الذروة من الإكرام الإلهى.

فشهدوا مع الله سبحانه، ومع الملائكة بأنه تعالى: لا إله إلا هو. وشهادة التوحيد هى الغاية فى الدين. وهى دعوة الأنبياء جميعاً.

وهذه الغاية نفسها هى التى يلتمسها المتصوفة بكل وسيلة، وهى التى يسعون إليها جاهدين. إنها أملهم ممسين، وأملهم مصبحين. وهى - لا غيرها - التى تنأى بجنوبهم عن المضاجع، بل تجعل جنوبهم نفسها تتجافى عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعًا خوفاً من الحرمان، وطمعاً فى القرب.

وغاية الصوفى إذن هى الغاية الإسلامية. وجوهر أهدافه هو جوهر أهداف الإسلام، إنها الشهادة، إنها شهادة أن لا إله إلا الله.

إن الطريق إنما هو تزكية النفس. والغاية الشهادة، أشهد أن لا إله إلا الله، والشهادة على حقيقتها. وهذا هو التصوف طريقاً، وغاية.

١٣- تعريف التصوف:

ولقد عبروا عن ذلك فى صراحة لا لبس فيها، وفى وضوح لا غموض فيه. ونبدأ بذكر أقوالهم فى تعريف التصوف منظوراً إليه باعتباره منهجاً.

وهذه التعريفات إما أن تصور المنهج شاملاً، وإما أن تصور جزءاً منه:

١- الصوفى: من صفا قلبه (تزكية النفس).

٢- التصوف: تمام الأدب (المنهج فى جانبه الأخلاقى).

٣- الصوفى: من صفى ربه قلبه، فامتلأ قلبه نوراً، ومن حل فى عين اللذة بذكر الله.

٤- التصوف: أن يختصك الله بالصفاء، فمن اصطفى من كل ما سوى الله فهو الصوفى.

٥- وللجنيد بالنسبة لتعريف التصوف أكثر من تعريف، كل منها يوضح جانباً من الجوانب، منهجا أو غاية.

وقد بلغت تعريفاته أكثر من عشرة تعريفات. التعريف الآتى يصور جوانب كثيرة، ولكنه مع ذلك لا يأتى كل الجوانب. يقول:

«التصوف تصفية للقلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتى، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة نزوات النفس، ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بعلوم الحقيقة، وعمل كل ما هو خير إلى الأبد، والنصح الخالص لجميع الأمة، والإخلاص فى مراعاة الحقيقة، واتباع النبى ﷺ فى الشريعة.

وهناك بعض تعريفات تتصل بالغاية فقد سئل الشبلي: ما بدء هذا الشأن، وما انتهاؤه؟ فقال: بدؤه معرفته وانتهاؤه توحيده، أي نهايته أشهد أن لا إله إلا الله. بيد أن هذه التعريفات كلها تعتبر قاصرة، وقيمتها الكبرى فى أنها تصور جانباً من الجوانب، أو زاوية من الزوايا، وهى حينما تصور المنهج وحسب، فإنها لا تصور التصوف كاملا. وحينما تصور الغاية وحسب، فإنها لا تصور التصوف على ما يراه القدماء والمحدثون. وهؤلاء القدماء والمحدثون - سواء أكانوا من الصوفية. أم من مؤرخى التصوف - يتجهون إلى أن التصوف منهج وغاية. إنه طريقة وحقيقة إنه سلوك ونتيجة.

والصوفية يشبهون الوحدة التى بين المنهج والغاية بالدائرة ومركزها. ويقول الشيخ عبد الواحد يحيى: «إن الطريقة هى الخط، الذاهب من الدائرة إلى المراكز. وكل نقطة على الدائرة هى مبدأ الخط وهذه الخطوط التى لا تحصى - كلها - إلى المراكز إنها «طرق» وهى طرق تختلف تبعاً لاختلاف الطباع البشرية ولهذا يقال: «الطُرق إلى الله كنفوس بنى آدم».

ومهما اختلفت فالهدف واحد، لأنه لا يوجد إلا مركز واحد، وإلا حقيقة واحدة. وعلى أن هذه الاختلافات الموجودة فى المبدإ، تزول شيئاً فشيئاً مع زوال الآنية، وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا، تزول فيها: «صفات العبد» التى ليست إلا سجناً: «الفناء» فلا تبقى إلا الصفات الربانية «البقاء».

والطريقة، والحقيقة مجتمعان يطلق عليهما: «التصوف» وهو ليس مذهباً خاصاً لأنه الحقيقة الطملقة، وليست الطرق مدارس مختلفة، لأنها طرق، أى سبيل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلة «التوحيد واحد».

١٤- تعريف التصوف فيما نرى:

وفى خاتمة ما سبق نقول: إن التعريف الذى نراه، والذى يجمع جوانب التصوف، إنما هو تعريف الكتانى الذى يقول: التصوف: صفاء ومشاهدة.

ونقول فى يقين ناتج من كل ما سبق وهو يقين يسد الطريق فى وجه كل من يحاول أن يثير أوهاماً ضد التصوف والصوفية: إن المنهج الصوفى، إنما هو تحقيق واقعى لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ (الشمس - ٩).

فتزكية النفس هى صفاؤها وتصفيتها إنها الوصول بها إلى الصفاء والمنهج محاولة للقرب - ما استطاع الإنسان ذلك سبيلا - من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام - ١٦٢).

أما الغاية فإنها: الوصول إلى المشاهدة التي يقول الله تعالى في بيان من حققوها وتحققوا بها: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ (آل عمران - ١٨).

إن الغاية هي الوصول إلى: أشهد أن لا إله إلا الله.

كتـــاب - الحـــب الإلــهى

فى التصوف الإسلامى

قسم الدكتور محمد مصطفى حلمى الحب إلى قسمين فى كتابه «الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى»:

١ - حُب إلهى ..

٢ - وحُب نبوى ..

وهما حبان تمكنا من نفوس أصحاب النفوس الزكية وتقسَّما قلوب أرباب القلوب النقية، وأنطقا ألسنة أهل الأذواق الروحية من الصوفية بروائع من النظم وبدائع من النثر، حتى أن الواحد من أولئك وهؤلاء لا يكاد ينفك عنه أحد هذين الحبين أو كلاهما فيما يصدر عنه من أقوال وأحوال، وأفعال وما يتأثر به من مشاهد ومبادئ فياضة بأسمى معانى الجمال والجلال والكمال ..

وأحد هذين الحبين هو الحب الإلهى الذى يتخذ فيه المحب موضوع حبه من الذات الإلهية أو الحقيقة العلية ويتحدث فيه عن الحب المتبادل بين الله والإنسان أو بين الحق والخلق على حد تعبير الصوفية أنفسهم.

وثانيهما - هو الحب النبوى الذى يتخذ فيه المحبُ موضوع حُبْه من النبى محمد ﷺ أو من النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية التى هى عند الصوفية أسبق فى الوجود من كل موجود بصفة عامة، وعلى وُجود محمد رسول الله ﷺ بصفة خاصة.

ومن الصوفية مَنْ جمع بين هذين الحُبين فى نظمه ونثره، فكانت آثاره الروحية مرآة يتجلى عليها حبه الإلهى من ناحية، وحبه البنوى من ناحية أخرى.

والصوفية المسلمون الذين غلب عليهم وملك عليهم قلوبهم الحب الإلهى، أو الحب النبوى، أو كلا الحُبين معاً، قد اصطنعُوا فيما صدر عنهم من آثار: فيصطفون تارة أسلوب العبارة والتصريح وتارة أخرى أسلوب الإشارة والتلويح.

وقد التمس شعراء الصوفية من أصحاب الأذواق والمواجيد ألفاظهم وعباراتهم من معجم الشعر الغزلى والخمرى.

ولعل أظهر ما يظهر للمتأمل فى التراث الروحى الذى خلفه الصوفية المحققون تعبيراً عن ذات أنفسهم فى طريق الحب الإلهى، أو خلفه المؤلفون الصوفيون تصويراً لأحوال

أولئك الصوفية ومذاهبهم فى ذلك الحب الإلهى، ومنها تلك الأقوال والأشعار التى نجدها فى الحب الإلهى لكل من رابعة العدوية، وذى النون المصرى، ومعروف االكرخى، ويحيى ابن معاذ الرازى، والحارث بن أسد المحاسبى، وأبى يزيد البسطامى، وأبى القاسم الجنيد، وأبى بكر الشبلى، وعلى بن الموفق، والحسين بن منصور الحلاج، وأبى حامد الغزالى ومحيى الدين بن عربى، وشرف الدين عمر بن الفارض، وشهاب الدين يحيى السهروردى وأبى الحسن الشاذلى، وأبى العباس المرسى وابن عطاء الله وغيرهم.

وليس من شك فى أن هذا التراث الروحى الذى ألفه الصوفية المسلمون من النثر والنظم والقصص وأودعوه أذواقهم وأحوالهم وأسرارهم وأنوارهم، ومكابداتهم ومُجاهداتهم هو خير المنابع التى تستقى منها الفلسفة الروحية الإسلامية الخالصة.

وقد عبر بعض هؤلاء عن الحب بتعبيرات مختلفة ومن هذه التعبيرات على سبيل المثال:

١ - «الحُب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة»

- لسهل بن عبد الله التسترى.

٢ - «المحبة دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب»

- أبو القاسم الجنيد.

٣ - «حقيقة المحبة أن تهب نفسك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شئ.

- أبو عبد الله القرضى.

٤ - «المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك»

- أبو بكر الشبلى.

٥ - المحبة أغصان تغرس فى القلب فتثمر على قدر القبول».

- ابن عطاء الله السكندرى.

والذى قال شعراً:

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى

ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى

فأورق أغصانا وأينع صبوة

وأعقب لى مراً من الثمر المحلى

وكـــل جميـــع العاشقـــين هواهمـــو

إذا نســـبوه كان مـــن ذلـــك الأصل

٦- «حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل، وينسى حوائجه إليه».

- أبو يعقوب السوسى.

٧- «المحبة ميلك إلى الشئ بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمُك بتقصيرك فى حبه.

- الحارث المحاسبى.

٨- «المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار».

- أبو الحسن النورى.

٩- «المحبة لذة فى المخلوق واستهلاك فى الخالق».

- أبو عبد الله الباجى.

ويمكن أن يقال:

إن الحب الإلهى يصح أن يطلق على حبين:

أحدهما: حب الله للإنسان.

وثانيهما: حب الإنسان لله.

وقد تحدث ابن الفارض وهو إمام المحبين فى الحب الإلهى عما قدمه بين يدى حبه من رياضات ومجاهدات أخذ بها نفسه، فقال:

وأذهـــبتَ فى تهذيبـــها كـُـلَّ لـــذةِ

بإبعادهـــا عـــن عادها فاطمأنتِ

ولـــم يبـــق هـــول دونـــها مـــاركبتـــه

وأشهـــته نفسى فيـــه غير زكيـــةِ

وكـــل مقـــام عـــن سلـــوكٍ قطعـــتـــه

عبوديـــة حققتـــها بعبـــودةِ

وكنـــت بـــها صـــبًا فلـــمَّا تركـــتَ مـــا

أريـــد . أرادتـــنى لـــــها وأرادتِ

وتحدث عما رجع إليه من المقامات التي يعبر عنها بأعمال العبادة، ومن أحوال الإرادة التي كان يرجع إليها عادة بعد سلوكه طريق الحب الإلهي، بل وبعد تحققه بما تحقق به في هذا الحب من عوارف إلهية، ومعارف قدسية .. فقال:

رجعت لأعمال العبادة عادة
وأعددت أحوال الإرادة عدتي

وعدت بنسكي بعد هتكي وعدت من
ضلاعة بسطي بانقباض بعفة

وصمت نهاري رغبة في مثوبة
وأحييت ليلي رهبة من عقوبة

وعمرت أوقاتي بورد لوارد
وصمت لسمت واعتكاف لحرمة

إلى أن قال:

وهذبت نفسي بالرياضة ذاهبا
إلى كشف ما حجب العوائد غطت

وجردت في التجريد عزمي تزهدا
وآثرت في نسكي إستجابة دعوتي

وهذه قصة فتى متعبد مع جارية أحبته وكاتبته لكنه كان يرُد عليها بردودٍ لا تنطوي على تُقاه وحبه لله وإيثاره هذا الحب على حبها ..

فقد قَصَّ شيخ من أهل العلم قصة ذلك الفتى مع الجارية .. فقال:

كان عندنا فتى متعبد حسن السيرة، فأحبته جارية من قومه، وجعلت تكاتم أمرها مخافة العيب، فمكثت بذلك حيناً ..

فلما بلغ الحب منها أرسلت بكتابٍ ضمنته هذه الأبيات:

تطاول كتماني الهوى فأبادني
فأصبحت أشكو ما ألاقي من الوجد

فأصبحت أشكو غصة من جوى الهوى
أقامت فما تعدو إلى أحد بعدي

فها أنذا كـرى من الوجـد حبتــه

كثيرة دمع العين يجرى على خدى

وكـان رسـول الجـارية الذى حـمل إليــه هذا الكتــاب امـرأة فلمــا أقـبلت عليــه المرأة بالكتاب قال لها: ما هذا؟

قالت: كتاب أرسلنى به إليك إنسان.

قال: سميه.

قالت: إذا قرأته سميت لك صاحبه.

لكنه رمى بالكتاب إليها وأنكره إنكاراً شديداً.

فقالت له: ما يمنعك من قراءته؟

قال: هذا كتاب قد أنكره قلبى.

ولكن المرأة لم تزل بالفتى حتى قرأه.

وإذا بالفتى يرفع رأسه إليها ويقول:

هذا الذى كنت أحذر وأخاف ..

ثم دفعه إليها:

فقالت: أما له جواب؟

قال: تقولين لها «إنه يعلم السر وأخفى». «الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى».

قالت: لا غير؟

قال: فى هذا كفاية ..

فمضت المرأة إلى الجارية فأخبرتها بما جري بينها وبين الفتى ..

وإذا بالجارية تكتب إليه مرة أخري، فتقول:

يا فارغ القلب من همى ومـن فكـرى

ماذا الجفاء فدتك النفس يا وطرى

إن كنت معتصـــمًا باللـــه تخدمــه

فــإن تحليلـــنا فى محكــم السُّــور

فلما وصل الكتاب إلى الفتى قال: ما هذا؟

قالت المرأة: تقرأه ..

فأبى .. ولكنها لم تزل تتلطف به حتى قرأه .. ثم رمى به إليها ..

فقالت: أما له من جواب؟

قال: بلى .. قالت : ما هو؟

قال: قولى لها : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار).

فسارت المرأة إلى الجارية وأخبرتها بما جرى بينها وبين الفتى، فإذا هي تكتب إليه مرة ثالثة فتقول:

فرّج عن القلب بعض الهمّ والكرب

وجُدْ بوصلك والهجران فاجتنب

إنا سألناك أمراً ما نريد به

إلا الصلاح وأن نلقاك عن قرب

فإن أجبت إلى ما قد سألت فقد

نلت المنى والهوى يا منتهى أربي

فإن كرهت وصالى قلت أكرهه

وإننى راجعٌ عن ذاك عن كثب

فلما جاءت المرأة بالكتاب إلى الفتى ..

أخذه وقال لها : اجلسى ..

وفتح الفتى الكتاب وقرأه عن آخره .. ثم كتب إلى الجارية كتاباً كان هذا الشعر آخره ..

إنى جعلت همومى تحت أنفاسى

فى الصدر منى ولم يظهره قرطاسى

ولم أكن شاكيا ما بى إلى أحد

إنى إذن لقليل العلم بالناس

فاستعصمى الله مما قد بليت به

واستشعرى الصبر عما قلت باليأس

إنى عــن الحـــب فى شغــل يــؤرقنى

تذكـــار ظلـــمة قبر فيه أرماسى

فضــيه لى شغـــل لا زلـــت أذكـــره

من السؤال ومن تفريــق أحـــلاس

وليــس ينفعـــنى فيه ســـوى عمـــلى

هو المؤانــس لى من بـــين أنـــاسى

فاستكثرى من تقى الرحمن واعتصمى

ولا تعـــودى فى شغـــل عــن الناس

فلما قرأتْ الجارية الكتاب أمسكت وقالت:

إنه لقبيح بالحرة المسلمة العارفة مواضع الفتنة كثرة التعرض للفتن .. ولم تعاوده.

والمتأمل فى هذه القصة يلاحظ:

١ - أن التقى والعمل الصالح والاشتغال به.

٢ - والتفكر فى الله والإقبال عليه والاعتصام به.

كل أولئك معانٍ قد انطوت عليها الألفاظ والعبارات والأبيات التى دارت بين الفتى المتعبد وبين الجارية المحبة ..

وهذه المعانى إن دلت على شئ ..

تدل على أن هذا الفتى المتعبد قد شغله تعبده لله .. وملك عليه هذا التعبد قلبه بحيث صرفه عن كل ما سوى الله، ولم يترك فيه مساغاً لغير الله.

وقد حُكى عن رابعة العدوية رضى الله عنها وهى الزاهدة العابدة العاشقة .. أنها كانت إذا صلت العشاء:

١ - قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها.

٢ - ثم قالت: إلهى ..

أنارت النجوم .. ونامت العيون .. وغلقت الملوك أبوابها ..

وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ..

ثم تقبل على صلاتها ..

فإذا كان وقت السحر، وطلع الفجر ..

قالت: «إلهى .. هذا الليل قد أدبر .. وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى ..
فهل قبلت منى ليلتى فأهنا .. أم ردتها على فأُعزَّى ..
فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى ..
وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ..
ثم أنشدت

يـا سـروري ومنيتي وعمـادى	وأنيسى وعـدتى ومـرادى
أنت روح الفـؤاد نت رجـئى	أنت لى مؤنس وشوقك زادى
أنت لولاك يا حيتى وأنسى	ما تشتت فى فسيح البلاد
كم بدت منه وكم لك عندى	من عطاء ونعمة وأياد
حبك الآن بغيتى ونعيمى	وجلاء لعين قلبى الصادى
ليس لى عنك ما حييت براح	أنت من تمكن فى السواد
إن تكن راضيا على فإنى	يا منى القلب قد بدا إسعادى

ويسلمنا الحديث عن رابعة إلى الحديث عن عمر بن الفارض:

١ - فكلاهما محب، وقف قلبه وحبه على الله.

٢ - ولكليهما مع قلبه ومع حبه ومع محبوبه قصص.

ومن تلك القصص، ما حُكى عن ابن الفارض عند احتضاره ..

فقد حكى برهان الدين إبراهيم الجعبرى أحد الأولياء المعاصرين لابن الفارض ..
حكاية احتضار الشاعر الصوفى المصرى، وما وقع له فى هذا الاحتضار من تمثل الجنة له ..
فلما رآها قال: آه .. وصرخ صرخة عظيمة، وبكى بكاء شديداً، وتغير لونه: وقال:

إن كان منزلتى فى الحب عندكمو
ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى
أمنية ظفرت بها روحى زمنا
واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فقلتُ له: يا سيدى هذا مقام كريم.

فقال: يا إبراهيم .. رابعة العدوية تقول .. وهى امرأة:

«وعزتك ما عبدتك خوفاً من نارك .. ولا رغبة فى جنتك، بل كرامة لوجهك الكريم .. ومحبة فيك».

وليس هذا المقام الذى كنت أطلبه وقضيت عمرى فى السلوك إليه ..
فسمعت صوتاً بين السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه، يقول:
«يا عمر .. فما تروم؟»
قال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة

وكم من دعاءٍ دون مرماى طلت

ومما تدلنا عليه هذه القصة:

١- أن عمر بن الفارض كان مُحبّاً لله على الحقيقة.

٢- وأنه لم يرد بسلوكه طريق الحب الإلهى جزاء ولا شكوراً.

٣- وإنما هو قد سلك طريق الله وقطع عمره فى حب الله لا لأنه خائف من عذاب الله، ولا طامع فى ثواب الله.

٤- بل لأنه يريد - كما أرادت رابعة - أن يظفر بنظرة من الله ويستمتع فيها بجماله الأزلى فذلك عنده هو الغاية القصوى والبهجة العظمى من حبه الإلهى.

٥- ولذلك عد تمثل الجنة له مكافأة له على حبه هواناً له لأنه لا يريد الجنة، ولكنه يريد رب الجنة.

وكذلك ابن عربى يحدثنا عن الدوافع التى دعته إلى نظم ديوانه «ترجمان الأشواق»، هو حديثه عن إبنة ذلك العالم الإمام، ووصفه لها وإيماؤه إليها، واصطناعه لها على طريقة الصوفية فى الرمز والإشارة .. بحيث اتخذ منها وسيلة لتصوير مواجده القلبية، ومنازعه الروحية، وأداة التعبير عن أذواقه الباطنية وأشواقه الإلهية ..

فهو يصف الفتاة:

بنت عذراء - طفيلة هيفاء - تسمى بالنظام - وتلقب بعين الشمس - ساحرة الطرف - عراقية الظرف - إن أسهبت أتعبت .. وإن أوجزت أعجزت ..

إلى آخر ما ساقه من أوصاف ..

فما ذكره ابن عربى فإنما هو عند ابن عربى رمز وإيماء إلى ورادات إلهية وتنزلات روحانية ومناسبات علوية مما تشرق به قلوب العارفين وتتجلى حقائقه لسرائر الصوفية المحققين ..

٢ - بعض الآراء والكتابات
المهاجمة للصوفية ولأهلها

أنقلها كما هي دون تعليق ..

- حتى يكون القارئ على معرفة بالرأى المخالف.
- وحتى يتبين تعفف الصوفية عن الخوض فى أعراض الآخرين أو استعمال الألفاظ النابية.
- عدم الرد على هؤلاء أسلم وأحفظ للقلب واللسان من التردى فى مهاوى الأخطاء من قبيل:

أتنهى عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

- الله تعالى يتولى الصالحين ..

﴿ إنَّ اللَّه يُدافعُ عنِ الَّذين آمنُوا ﴾ (الحج - ٣٨) .

وكل ما يمكن قوله:

- « لا تعدمُ الحسناء ذاماً »
- **إذا أتتك مذمتى من ناقص**

فهى الشهادة لى بأنى كامل

- « الدينُ خُلُق .. والتصوف خلُق ..

فمن زاد عليك خُلقاً زاد عنك ديناً وتصوفا »

- « من ذاق عرف »

ومن لم يذق .. فعليه بالأدب ..

وقد قالوا:

« الذوق شئ ليس فى الكتب »

- رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى »

- ويكفى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يا أيها الَّذين آمنُوا عليكُمْ أنفُسكُمْ لا يضرُّكُم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴾ (المائدة - ١٠٥) .

أولاً - الصوفية

في ميزان الكتاب والسنة

إعداد: محمد بن جميل زينو

المدرس فى دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

طباعة - مطبعة دار المجمع العلمى - جدة

لقد كانت مفاجأة لى، أذهلتنى وأذهبت جميع المعتمرين من المصريين وغيرهم، باعتبارنا جميعاً مسلمين حين كنا نؤدى فريضة العمرة ..

حيث توجهنا ونحن فى مدينة المصطفى ﷺ - كما تعودنا صباح السبت « ٩ من رجب ١٤٢١ - ٧ أكتوبر ٢٠٠٠ » لزيارة مشاهد المدينة المنورة، وعند وصولنا لموقع « أحُد » وجدنا مجموعة من الإخوة السعوديين يوزعون الكتيب المشار إليه بأعداد مذهلة - بالآلاف - وقد طبع على غلاف الكتيب « يُهدى ولا يُباع ».

والنسخة التى وزعت علينا هى الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ ويقع هذا الكتيب فى ٦٤ صفحة ..

وسأورد هنا - دون أى تعليق - وبالحرف الواحد بعض ما ورد من كلمات وجمل مشفوعة برقم الصفحة:

رقم الصفحة	العبارة
٤	وإن كان الإمام الشافعى عندما دخل مصر قال: «تركنا بغداد وقد أحدث الزنادقه شيئاً يسمونه السماع.
٤	وأما الإمام أحمد فقد كان معاصراً للشافعى وتلميذاً له فى أول الأمر، فقد أثر عنه قوله لرجل جاء يستفتيه فى كلام «الحارث المحاسبى» قال أحمد بن حنبل «لا أرى لك أن تجالسهم».
٥	فى نهاية القرن الثالث، حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج أن يُظهر معتقده على الملأ، لذلك أفتى علماء عصره بكفره، وقتله.

العبارة	رقم الصفحة
وفي القرن السادس ظهرت مجموعة من رجال التصوف كل منهم يزعم أنه من نسل الرسول ﷺ حيث استطاع كل له طرقاً خاصة وأتباعاً مخصوصين، فظهر الرفاعي في العراق والبدوي في مصر ولا يعرف له أب ولا أم ولا أسرة وكذلك الشاذلي في مصر، وتتابع ظهور الطرق الصوفية التي تفرعت من هذه الطرق.	
وأخيراً عم الخطبُ وطم في القرون المتأخرة التاسع والعاشر والحادي عشر حين ظهرت عشرات الطرق الصوفية وانتشرت العقيدة والشريعة الصوفية في الأمة، واستمر ذلك إلي عصر النهضة الإسلامية الحديثة.	٦
ولكن الله هيأ للأمة في القرن الثاني عشر الهجري الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي تتلمذ علي كتب الشيخ ابن تيمية، فقام مصاولاً هذا الباطل. ولكن مازالت دولة التصوف قوية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، ثم إن رموز الصوفية مازالت موجودة وأعني برموزه القبور والمزارات والشيوخ الضالين والعقائد الفاسدة.	٧
ليس في الصوفية تزكية .. بل فيها شرك، ورياء، ومخالفة لتعاليم الاسلام.	٨
يضع تعاليم الصوفية في ميزان الإسلام فيخلص إلي ما يلي: ١- الصوفية لها طرق متعددة يدعي كل منها أنه علي حق، وغيرها علي باطل. ٢- الصوفية تدعو غير الله، من الأنبياء والأولياء والأحياء والأموات. ٣- الصوفية تعتقد أن هناك أبدالاً وأقطاباً وأولياء سلم الله لهم تصريف الأمور وتدبيرها. ٤- بعض الصوفية يعتقد بوحدة الوجود، فليس عندهم خالق ومخلوق.	٩ حتى ١٨

رقم الصفحة	العبارة
	٥- الصوفية تدعو إلي الزهد في الحياة وترك الأسباب وترك الجهاد.
	٦- الصوفية تعطي مرتبة الإحسان لشيوخها.
	٧- الصوفية تدعي أن عبادة الله لا تكون خوفاً من ناره، أو طمعاً في جنته.
	٨- الصوفية تُبيح الرقص والدف ورفع الصوت بالذكر.
	٩- الصوفية تذكر اسم الخمر والسكر.
	١٠- الصوفية تتغزل باسم النساء والصبيان في مجالس الذكر.
	١١- الصوفية تستعمل الدف المسمي بالمزهر في ذكرها وهو مزمار الشيطان.
	١٢- بعض الصوفية يضرب نفسه بسيخ قائلاً: يا جداه فتأتيه الشياطين.
	١٣- الصوفية لها طرق كثيرة والإسلام له طريق واحد فقط.
	١٤- الصوفية تدعي الكشف وعلم الغيب.
	١٥- الصوفية تزعم أن الله خلق محمداً من نوره وخلق من نوره جميع الأشياء.
	١٦- الصوفية تزعم أن الله خلق الدنيا لأجل محمد ﷺ.
	١٧- الصوفية تزعم رؤية الله في الدنيا.
	١٨- الصوفية تزعم رؤية النبي محمد ﷺ في الدنيا يقظة.
	١٩- الصوفية تزعم أنها تأخذ العلم من الله مباشرة بدون واسطة الرسول ﷺ.
	٢٠- الصوفية تقيم الموالد والاجتماع باسم مجالس الصلاة علي النبي ﷺ وهم يخالفون تعاليمه.
	٢١- الصوفية تتعصب لشيوخها، ولو خالفت قول الله ورسوله.
	٢٢- الصوفية تشد الرحال إلي القبور.
	٢٣- الصوفية تستعمل الطلاسم والحروف والأرقام لعمل الاستخارة والتمائم والحجب.

رقم الصفحة	العبارة
	٢٤- الصوفية لا تتقيد بالصلوات الواردة عن النبي ﷺ، وفي نهاية هذا السرد يقول المؤلف: لقد رأيت يا أخي المسلم أن الصوفية بعيدة عن الإسلام جداً، بعد أن رأيت اعتقادها وأعمالها في ميزان الإسلام، وأن العقل السليم يرفض هذه البدع التي توقع في الشرك والكفر.
١٩ حتى ٢١	تحت عنوان «من أقوال الصوفية»: وهو يُسفه أقوال ابن عربي في «الفتوحات المكيَّة» وكتاب «النصوص» وأقوال أبي يزيد البسطامي وجلال الدين الروحي وابن الفارض ورابعة العدوية ويقول عن رابعة: وقالوا عن رابعة إنها كانت مغنية أو راقصة فكيف يجوز الأخذ بقولها، وهي تخالف القرآن؟
٢٢	تحت عنوان «كرامات الصوفية فيقول: إنْ الشعراني يعدد في كتابه «الطبقات الكبري» كرامات أولياء الله فيقول: إن ولياً توجه إلي المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها ثم وقع في مشخة حمير .. وأن آخر كان إذا رأي امرأة أو أموراً راوده عن نفسه. وأنْ أحدهم كان يفعل في الحمير .. وأن أحدهم روي عنه أنه خطب في يوم جمعة واحد وثلاثين خطبة في أماكن متفرقة.
٢٣ حتى ٢٤	يذكر أن الجهاد عند الصوفية قليل جداً، ثم يعدد أقوال الشعراني وابن عربي وابن الفارض وموقفهما من الحروب الصليبية وعدم مشاركتهما في جهاد الصليبيين .. ثم يذكر أن كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي لم يذكر فيه شئ عن الجهاد أبداً، بل ذُكر فيه كثير من الكرامات، التي هي خرافات وكفريات.

العبارة	رقم الصفحة
يتحدث عن الخوف والرجاء: فيقول في نهاية كلامه: إن الشيخ محمد متولي الشعراوي زاد في شططه حين قال: إن عبادة الله للجنة شرك.	٢٥ - ٢٦
يتكلم تحت عنوان: مشايخ الصوفية» فيقول: إن هناك أوهاماً زرعها هؤلاء المشايخ في عقول الناس وهي: ١- أن لهم الدولة والسلطان علي العالمين. ٢- وأنهم يعلمون ما كان وما يكون، ويعلمون الظاهر والباطن، ويعلمون الغيب، ويتصرفون في الأكوان علي مقتضي ما يريدون. ٣- وأنهم يغيثون ويستغاث بهم في الملمات. ٤- وأن الشيخ جاسوس القلوب، يدخل ويخرج دون علم المريد. ٥- أوجبوا علي المريد أن يكون كالميت بين يدي المغسل أمام شيخه ٦- قالوا: إن المريد بين شيخين كالمرأة بين زوجين.	٢٧ - ٢٨ - ٢٩
تحت عنوان: «تقليد الشيخ عند الصوفية» يقول: إن المريدين حينما أعرضوا عن قراءة الكتاب والسنة احتاجوا إلي تقليد الشيوخ في بداياتهم ثم في أذكارهم وشكل عباداتهم وعددها وأوقاتها وهذا كله موجود في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باستفاضة.	٣٠
يقول في «حدود الطاعة للشيخ» نقلاً عن ابن تيمية: وما أكثر من يدعي حب مشايخه لله ولو كان يحبهم لأطاع الله الذي أحبهم لأجله فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة هذا الغير.	٣٠ - ٣١
يقول: إن كثيراً من المسلمين يدفنون الموتي في المساجد، ولا سيما إذا كان شيخاً، وبعد مدة يسألونه من دون الله ويقعون في الشرك.	٣٢

رقم الصفحة	العبارة
٣٣	يقول تحت عنوان «أولياء الرحمن» فالولاية ثابتة، ولكن لا تكون إلا لمؤمنٍ تقي طائع موحد، ولا يمكن أن تكون لرجل فاسق يترك الصلاةً أو يصر علي الذنوب ولا يشترط ظهور الكرامة علي يديه حتي يكون ولياً ..
٣٤	يتكلم عن «أولياء الشيطان» فيقول: وما يظهر علي يد بعض المبتدعين من ضرب السيف لأنفسهم أو أكل النار فهو من عمل الشياطين والمجوس وهو استدراج لهم ليسيروا في ضلالهم.
٣٥ - ٤٠	يتكلم عن قصة الخضر عليه السلام: ويسرد رأي الشيخ ابن تيمية حولها، وأن العلماء يرجحون نبوة الخضر ..
٤١ - ٤٧	يستعرض بعض المسائل وهي: ١- هل نحتفل بالمولد النبوي؟ ٢- نشأة الاحتفال بمولد النبي ﷺ. ٣- حكم الإسلام في الاحتفال بالمولد.. وحول هذا الموضوع يقول: إن كثيراً من علماء العصور المتأخرة ذكروا مفاسد الموالد: ١- التلفظ ببعض الشركيات ٢- الغلو في رسول الله ﷺ وإنشاد بعض الأبيات المحرمة وطلب المدد منه. ٤- اعتقاد أنه ﷺ يعلم الغيب كما في قصيدة البوصيري «بردة المديح». ٤- حصول اختلاط الرجال والنساء واستعمال الأغاني والمعازف. ٥- أن بعضهم فضل ليلة المولد علي ليلة القدر. ٧- وصل الحال ببعضهم إلي تكفير تارك الاحتفال بالموالد.

رقم الصفحة	العبارة
٤٨ - ٥٢	يورد الكاتب بعض الشبهات وردها: حول الاحتفال بالموالد .. ويقول في نهايتها: - ختاماً لا أحسب إيمانك وتقواك واتباعك لحبيبك محمد ﷺ وتقديم شرعه علي هواك، ورأيك وآراء الناس وأقوالهم: لا أحب ذلك كله إلا يقول لك: لا نحتفل.
٥٣ - ٦٤	يأتي الكاتب بعنوان «ماذا تعرف عن قصيدة البردة؟ فيقول في نهاية تعليقه عليها: فاحذر يا أخي المسلم قراءة هذه القصيدة وأمثالها المخالفة للقرآن وهدي الرسول ﷺ.
٥٧ - ٦٤	يأتي الكاتب بعنوان: «ماذا تعرف عن كتاب دلائل الخيرات؟ يقول في آخره: إحذر يا أخي المسلم قراءة هذه الكتب وعليك بقراءة كتاب «فضل الصلاة علي النبي ﷺ: للشيخ إسماعيل القاضي، تحقيق المحدث الألباني كما أن هناك كتاب جيد اسمه «دليل الخيرات» لمؤلفه «خير الدين دانلي» جمع فيه صلوات وأدعية صحيحة يغنيك عن «دلائل الخيرات» الذي يوقعك في الشرك والآثام»

٢- كتاب

الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة

تأليف / عبد الرحمن عبد الخالق

الناشر مكتبة ابن تيمية بالكويت

يقع هذا الكتاب فى « ٤٧٠ » صفحة من القطع الكبير وأهم ما فى هذا الكتاب عنوان:

ما الذى يريده هؤلاء الملاحدة؟

وذلك فى رده على ما جاء فى كتاب:

«الإنسان الكامل». تأليف عبد الكريم الجيلى ..

يقول المؤلف فى كتابه «الفكر الصوفى»: فى صفحة ١٤٦:

« وسيرى القارئ أن أى زندقة أو أى كفر فى الأرض لم يجرؤ كاتبوه ومؤيدوه أن يكتبوا مثل هذا ولكن الصوفية سبقوا كل الكفار فى كل الملل والنحل والأقوام، وكتبوا بأقلامهم ما لم يجرؤ أحد بتاتاً أن يكتبه أويسطره فيما علمنا من الكفرة والزنادقة والملاحدة ».

وفى صفحة «١٦٤»:

يُلقى سؤاله: ما الذى يريده هؤلاء الملاحدة؟

فيقول: « وقد يسأل سائل:

وما الذى يريده هؤلاء من تأليف هذه الكتب، ونشر هذا الجنون والهذيان؟

ولست أنا الذى سأجيب على هذا السؤال أيضاً وإنما سأثبت الجواب من كلام الجيلى نفسه ..

إنه يقول بالنص:

« اعلم أن الله تعالى إنما خلق جميع الموجودات لعبادته فهم مجبولون على ذلك، مفطورون عليه من حيث الأصالة، فما فى الوجود شئ إلا وهو يعبد الله بحاله ومقاله وفعاله، بل بذاته وصفاته، فكل شئ فى الوجود مطيع لله تعالى ..

لقوله تعالى للسموات والأرض:

﴿ ائْتيا طوْعًا أوْ كرْهًا قالتا أتيْنا طائعين ﴾ (فصلت - ١١).

وليس مراد بالسموات إلا أهلها ..

ولا بالأرض إلا سكانها.

وقال تعالى:

﴿ وما خلقْتُ الْجنَّ والإنس إلاَّ ليعْبُدُون ﴾ (الذاريات - ٥٦).

ثم شهد لهم النبى ﷺ أنهم يعبدونه بقوله:

«كل ميسر لما خلق له».

لأن الجن والإنس مخلوقون لعبادته، وهم ميسرون لما خلقوا له، فهم عباد الله بالضرورة، ولكن تختلف العبادات لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات لأن الله تعالى متجل باسمه «المضُل»، كما أنه متجل باسمه «الهادى» ..

فكما يجب ظهور أثر اسمه «المنعم».

كذلك يجب ظهور أثر اسمه «المنتقم».

واختلاف الناس فى أحوالهم لاختلاف أرباب الأسماء والصفات ..

قال تعالى:

﴿ كان النَّاسُ أُمَّةً واحدةً ﴾ (البقرة - ٢١٣).

يعنى عباد الله مجبولون على طاعته من حيث الفطرة الأصلية، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليعبده من اتبع الرسل من حيث اسمه «المُضل» فاختلف الناس وافترقن الملل وظهرت النحل وذهبت كل طائفه إلى ما علمته أنه صواب.

ولو كان هذا العلم عند غيرها خطأ، ولكن حسنه الله عندها ليعبدوه من الجهة التى تقتضيها تلك الصفة المؤثرة فى ذلك الأمر.

وهذا معنى قوله:

﴿ مَا من دابَّة إلاَّ هُو آخذٌ بناصيتها ﴾ (هود - ٥٦).

فهو الفاعل بهم على حسب ما يريده مراده.

وهو عين ما اقتضته صفاته، فهو سبحانه وتعالى يجزيهم على حسب مقتضى أسمائه وصفاته ..

فلا ينفعه إقرار أحد بربوبيته ..

ولا يضره جحود أحد بذلك.

بل هو سبحانه وتعالى يتصرف فيهم على ما هو مستحق لذلك من تنوع عباداته التي تنبغي لكماله ..

فكل من في الوجود عابد لله تعالى مطيع لقوله تعالى:

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (الإسراء - ٤٤).

لأن من تسبيحهم ما يسمى «مخالفة ومعصية وجحوداً» وغير ذلك. فلا يفقهه كل أحد.

١- يستطرد الجيلي مبيناً عقائد الناس وأنهم جميعاً على حق، فينتفي على عبادة اليهود والنصارى.

٢- ويقرر الجيلي أن الفلاسفة الطبائعيين الذين قالوا برجوع الطبيعة إلى العناصر الأربعة هم عابدون لله شاءوا أم أبوا، علموا أو جهلوا.

٣- ويقول: إن الثانوية عبدوه من حيث نفسه تعالى، لأنه تعالى جمع الأضداد بنفسه.

وبهذا الوضوح شرح الجيلي مذهب الفلاسفة الصوفية الزنادقة الملاحدة.

٤- وأما المجوس فعبدوه من حيث الأحدية.

٥- وأما الدهرية فإنهم عبدوه من حيث الهوية ويمضي الكاتب فيتكلم عن الغزالي:

فيقول بالنص:

- لعل من العجائب والغرائب أن يسقط رجل في طريق التصوف كالغزالي، فقد كان من علماء الشريعة، ولكن لقصر باعه في علم السنة ومعرفة الحديث «صحيحه من ضعيفه» فقد اغتر بما عليه الصوفية في ظاهرهم، وما يبدونه ويعلقونه من الورع والتقوى.

ويقول عن ابن عربي:

لم أطلع فيما اطلعت على كاتب صوفي أكثر تبجحاً من ابن عربي - وفقد زعم لنفسه الاطلاع على كل ما سطره الفلاسفة قديماً وما كتبه اليهود والنصارى، وادعى لنفسه ختم الولاية الكبرى الخاصة وأنه خاتم الأولياء كما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء ..

وكان فى ذلك الكذب متبعاً لمن سبقه ممن ادعى ختم الولاية كالترمذى الذى يسمونه «الحكيم» .. ثم ادعى لنفسه ولجماعته الصوفية أنهم أحياناً ينزل عليهم الوحى مكتوباً من السماء.

ولم يكتف ابن عربى بكل ما قرره فى هذا الكشف الشيطانى للصوفية من أنه تنزل عليهم الملائكة ويشاهدون الله ويسمعون الصوت، بل ادعى أن قلوب الأولياء تتكشف عنها الحجب فيشاهدون الجنة وما فيها، والنار وما فيها، تماماً كما حدث للرسول ﷺ.

أما الشعرانى:

فقد قال: (فإن قلت): فما صورة وصول الأولياء إلى العلم بأحوال السموات ..

(فالجواب) يصل الأولياء إلى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم، كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار.

(فإن قلت: رأينا فى كلام بعضهم تكفير الأولياء المحدثين «بفتح الدال» لكونهم يصححون الأحاديث التى قال الحفاظ بضعفها:

(فالجواب) تكفير الناس المحدثين المذكورين عدم إنصاف منهم لأن حكم المحدثين، حكم المجتهدين، فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عنده، فكذلك المحدثون.

وهذا الاعتبار والجواب عن تكفير أهل السنة لهؤلاء فى غاية الجهالة أيضاً لأن ما أتى به المتصوفة مما يسمونه «كشفاً» ليس من الخلاف فى الرأى، ولا الخلاف الفرعى، بل هو مصادم لأحكام الإسلام ومبادئ الإيمان.

(فإن قلت) يحفظ الولى من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحى الإلهام؟

(فالجواب) يصرف ذلك بالعلامات، فمن كان له فى ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحى الحق الإلهامى الملكى من الوحى الباطل الشيطانى حفظ من التلبيس، ولكن أهل هذا المقام قليل.

٣- كتاب

« أبو حامد الغزالي والتصوف »

تأليف: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية

أورد المؤلف في مقدمته ما يلي:

« وبما أن الغزالي - حجة الإسلام - كما يقال فقد أصبح سلوكه للتصوف حجة عند المتصوفة فلم يعد عندهم أدنى شك بأن المتصوفة هم « الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ».

* مادام حجة الإسلام على خلقه قد سلك سبيل التصوف وسماه:

« المنقذ من الضلال »

- ومادام قد اختاره على ما سواه من المذاهب فإن الحجة فيما اختاره الحجة ..

وهذا مشعرُ باعتقاد الصوفية العصمة فى الغزالي، وامتناع الخطأ الزلل عليه، فإن كان الغزالي حجة عندهم بهذا المعنى: « فلا الغزالي ولا أحد من الناس حجة ».

وإنما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما حجة الإسلام .. كما أشار إلى ذلك: عبد الغافر الفارسي - تلميذ الغزالي - فى معرض ترجمته له وتفصيله مراحل حياته فى العلم وغيره.

وإن أريد بذلك:

إقامته الحجة على الفلاسفة فى ردوده عليهم وتبنيه تهافت آراءهم للناس ومناقضاتهم .. فما فعله فى ذلك كان حجة عليهم حيث ألزمهم الحجة تلو الحجة، وخرج بذلك منتصراً عليهم بعد أن كشف تلبيساتهم وتمويهاتهم على الخلق وفتح الفلسفة فى عيون الناس بعد أن كانوا فريقين:

١- فريق يحسن الظن بالفلسفة، ويرى أنها تنمي العقل وتطوره.

٢- وفريق يعلم أنها زندقة.

ولكن لا يجرؤ على مواجهتهم ومحاجتهم خوفاً من طرائقهم المنطقية وأساليبهم الجدلية التى قد تجعل لهم الغلبة عليه فيلزمونه بما ليس لازماً له فى الحقيقة.

ولهذا كان للغزالى فى نقد الفلاسفة أثره الذى يحمد عليه.

ولكن لا يعنى ذلك أنه يقطع بصحة كل أقواله، وأنه يستبعد أن يكون مخطئاً فى شئ منها .. إذ الغزالى من جملة البشر الذين يجوز عليهم الخطأ والصواب.

ثم ينتقل المؤلف إلى علاقة الغزالى بالتصوف فيعدد المآخذ على الصوفية والتى حصرها فى ستة عشر مأخذاً كما يلى:

١- أن الصوفية انصرفوا عن العلم وادعوا العمل لكن عملهم لم يوافق العلم الشرعى المطلوب.

٢- أنهم انصرفوا عن القرآن وعلومه وعن الحديث .. إلى الخطوات والخلوات.

٣- أنهم ادعوا الكشف والعلم اللدُنى، وجعلوه منافساً للعلوم الشرعية.

٤- أنهم قالوا بالحلول، إلا قليلا منهم.

٥- أنهم تجاوزوا الحدود فى أمور العبادات: فى الطهارة والصلاة.

٦- أنهم اتخذوا ملابس خاصة، مثل الصوف والخرق، والمرقعات وادعوا أنها من السنة.

٧- أنهم اتخذوا أوضاعاً شاذة فى المطعم والمأكل والمشرب، كادعائهم الصبر على الطعام أربعين يوماً، وعلى الشراب سنة.

٨- أنهم اصطنعوا السماع واجتمعوا عليه، وكذلك الرقص والتمايل والتواجد.

٩- استنادهم إلى الرؤيا فى استخراج الأحكام الشرعية.

١٠- أنهم أولعوا بصحبة الأحداث والنظر إلى المردان، كما شكا القشيرى منهم كذلك.

١١- أنهم دعوا إلى التواكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الأموال وترك التداوى واعتباره منافياً للرضا.

١٢- أنهم أخذوا مصطلحات إسلامية معينة وحرفوا مراد الإسلام منها، كالتوحيد، والتوكل فأرادوا بالأول الوحدة الكاملة والفناء المطلق وبالثانى ترك التقدير والتدبير، والانخلاع من الحول والقوة، ورؤية فاعل واحد.

١٣- أنهم آثروا الوحدة والاعتزال، والانفراد عن الناس، وفضلوا عدم الزواج وترك طلب الأولاد بعد الزواج، معتبرين أن الأولاد عقوبة شهوة الحلال.

١٤- أنهم دعوا إلى السياحة والخروج، لا لطلب العلم، ولا للجهاد فى سبيل الله، ولكن خروج إلى البرارى والقفار، ولم يستصحبوا معهم زاداً ولا طعاماً، وسموه «خروجاً على التوكل».

١٥- الشطح والدعاوى، وادعاء الكرامات والمخاريق والشعبذة.

١٦- إدعاؤهم رؤية الله والملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء، وادعاء الخروج إلى السموات.

ثم ينتهى المؤلف فى نهاية سرده لتلك المآخذ إلى رأى أو قرار معين وهو:

«أن التصوف مرفوض اسماً ورسماً».

ثم يورد المؤلف سؤالا آخر:

«التصوف هل هو منقذ من الضلال؟

وللإجابة على هذا السؤال يأتى بادعاء فى مقدمة الفصل الثالث، فيقرر «المؤلف»:

«انتقاص التصوف من مرتبة النبوة»، كما يقرر المؤلف أن الغزالى ومعه الصوفية: «يرون أفضلية السماع للغناء على القرآن».

وتحت عنوان:

«استغلال الصوفية السيئ لقصة موسى والخضر عليهما السلام».

يقول المؤلف:

ولو أن الأمة كلها أرادت الاقتداء بقصة موسى مع الخضر على الوجه الذى يفهمه منها الصوفية.

١- لبطل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢- ولأصبحت هذه القصة ذريعة للزنادقة لتحليل الشرائع. كما تذرعت الباطنية بقاعدة الباطن والظاهر فى تحليل المحرمات وإسقاط التكاليف وإبطال الفرائض.

٣- ولأصبح بإمكان الزنادقة أن يصرخوا فى وجه المنكرين ويسكتوهم بمجرد تذكيرهم بقصة موسى والخضر بحجة أن عليهم التزام الصمت وعدم التسرع فى الإنكار كما فعل ذلك موسى.

وهذا قد حصل بالفعل إذ حجج ضلال الصوفية قائمة على هذه القصة، وكم ألبسوا بذلك على جهال المسلمين وأوقعوهم فى متاهات الضلال.

أما القصة فهي حق .. وما ورد فيها حق، وأما استغلال الصوفية لها فإنه استغلال لحق أريد به باطل، وذلك لوجوه تسعة:

١- أن موسى كان يعلم منزلة الخضر في العلم وأنه أكثر منه علماً، وهذا كافٍ لأخذ ما عند الخضر بلا إنكار ولا إعراض.

٢- أن ما فعله الخضر عليه السلام كان مأموراً به ولم يفعله من عنده.

٣- أنهم باستدلالهم بقصة موسى والخضر ينتقصون من مكانة موسى عليه السلام.

٤- أنه لا يجوز الخروج على شريعة النبي محمد ﷺ إلى شريعة أخرى، وهذه القصة حدثت في بني إسرائيل لم نؤمر بالتعبد بفعلها.

٥- أن موسى والخضر عليهما السلام لم يخرجا عن الشريعة والنصوص في شئ.

٦- أن الخضر لم ينكر على موسى إنكاره عليه مطلقاً.

٧- أن إنكار موسى يُستدل منه على أن الفطر السليمة الخالصة من شوائب العبودية والتقديس لغير الحق الذي أنزله الله.

٨- أن فهم الصوفية للقصة فهم شاذ، وتأسيسهم به شاذ أيضاً.

٩- ما خرج الخضر عن شريعة موسى إلا لشرعٍ آخر من الله أمره به.

٤ - كتاب «هذه هي الصوفية»

تأليف - عبد الرحمن الوكيل

تحت عنوان «دين الصوفية».

يقول الكاتب:

للصوفية مدد من كل نحلة ودين . .

إلا دين الإسلام . .

اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللئيم مدداً من الحق الكريم.

وأن للكفر الدنسُ روحاً من الإيمان الطهور، والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص.

١ - يقول التلمساني - وهو من كهان الصوفية «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا».

٢ - وابن عربي - يزعم أن رسول الله ﷺ أعطاه كتاب «خصوص الحكم» - وهو دين زندقة - وقال له: «أخرج به إلى الناس ينتفعون به» ويقول: فحققت الأمنية كما حده لي رسول الله ﷺ، بلا زيادة ولا نقصان . .

ثم يقول:

فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا.

في حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحلة مارقة، وتنتهب منها أخبث ما تدين به . . ثم تفتريه لنفسها، مؤمنة به وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه، وإلا فقل هل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود وخرافة وحدة الأديان؟!

فتلك تزعم أن الله سبحانه عين خلقه.

- عينهم في الذات والصفات والأسماء والأمثال.

- تزعم أن واهب الحياة وخالق الوجود: عينُ الصخر الأصم، والرمة العفنة !!

ووحدة الأديان تزعم:

- أن كفر الكافر، وخطيئة الفاجر، عين إيمان المؤمن، وصالحة الناسك.

- تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر.
- وأن إيمان موسى عين كفر فرعون.
- وأن وثنية أبى جهل عين توحيد محمد.
- فكلٌ رب الدين ورسوله.
- وكلٌ تعين للذات الإلهية.
- ولكنها سُميت فى تعين بمحمد ..
وفى آخر بأبى جهل.
وهى، هى فى مظهريها أو اسميها.
- تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين ابن الوحى، وروح إيمانه، بل زادت الخطيئة غوراً.
- فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحى وأسمى مقاماً !!

أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة؟

أما عن وسيلة المعرفة عند الصوفية:

فيقول الكاتب:

ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الاسلام ذلك هو اعتقادها أن «الذوق الفردى» - لا الشرع ولا العقل - هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها معرفة الله وصفاته وما يجب له فالذوق هو الذى يقوِّم حقائق الأشياء، ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية، بالخشن أو بالقبح بأنها حق أو باطل ..

- فلا جرم أن تدين الصوفية بعددٍ عديدٍ من أربابٍ وآلهة ..
- ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وثناً بغير ما تعبده به أخرى، أو تخنع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية.
- لا عجب من ذلك كله، مادامت تجعل «الذوق» الفردى حاكماً وقيماً على المسميات وأسمائها:
فيضع للشئ معناه مرة.
- ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى.

هذه الحدة فى توتر التناقض صيغة الصوفية دائماً فى منطقها المخبول.

ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالحيرة والفرقة، فحالوا طرائق قددا:

تؤله كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنها صنماً له وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات على حين يجمعهم على الوحدة هوى واحد، وغاية واحدة هى:

القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية

- ففيم هذه الشيع المتطاحنة؟

- وفيم هذه المشيخات المتنابذة؟

وتحت عنوان «آلهة الصوفية»

يقول الكاتب:

يفترى الصوفية - فما لهم من سجية غير ذلك.

- أنهم الذين يعرفون الله معرفة لا يمس يقينها ريب ولا يشوب جلال الحق فيها شبهة.

- ويصمون المسلمين بعمى البصيرة وعمه العقل، وخطل الفكر، وجمود العاطفة، وفساد الذوق، وخمود جذوة الحياة فى الشعور، والإغراق العميق السحيق فى المادية الصماء، والجمود الأحمق على عبادة التاريخ ..

ومازالت تلك دعواهم ..

فما الرب الذى يعبدونه؟

وإذا شئت إحكام الدقة .. فسلهم:

ما الرب الذى اختلقوه، ثم عبدوه؟

اقرأ ما شئت من كتبهم لتعرف رب الصوفية الأعظم ..

اقرأ من: الفتوحات أو النصوص أو ترجمان الأشواق أو عنقاء مغرب أو مواقع النجوم .. وكلها «لابن عربى».

اقرأ من «الإنسان الكامل» للجيلى»

اقرأ من «تائية ابن الفارض»

وشرحها للنابلسى أو القاشانى.

اقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر «للشعراني»

اقرأ من «الإبريز» للدباغ

اقرأ من كتاب الجواهر، والرماح .. وهما «للتيجانية» وروض القلوب المستطاب .. «الحسن رضوان»

بل إقرأ: مجموع الأوراد الذى يتعبدون به الآن.

ودلائل الخيرات، و«أحزاب» الكهنة منهم.

- إن الصوفية أعطت نعوتاً لأئمتها:

فابن عربي عندهم هو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر.

والجيلى - بأنه العارف الربانى والمعدن الصمدانى.

وابن الفارض - سلطان العاشقين.

والشعراني - الهيكل الصمدانى والقطب الربانى.

فالصوفية تدين بربٍ:

- يتجسد فى أحقر الصور.

- وتتعين «هويته وإنيته» فى أنت الجيف.

- وتتمثل حقيقته الوجودية صور أوهام فى الذهن الكليل، وظنون حيرى فى الفكر القليل، وتهاويل أسطورية فى الخيال - ألم تؤله الصوفية فى دين كاهنها التلمسانى رمة كلب تفرز من صديدها الدود؟

وتحت عنوان «إله ابن الفارض»

يمضى الكاتب قائلاً:

يؤمن هذا الصوفى ببدعة الاتحاد أو الوحدة، بصيرورة العبد رباً، والمخلوق خلاقاً، والعدم الذاتى الصرف وجوداً واجباً.

ما تم عند ابن الفارض من رب ولا مربوب إلا هو ابن الفارض إنه الخلاق، وإنه هو الوجود، وواهب الوجود، وما الرب الأكبر إلا أثر من آثار قدرته، أو جزئى تائه حيران من كليه. هذا دين ابن الفارض، فماذا تحكم عليه. فبماذا يحكم المؤمن على زنديق يفترى أن ملكوت كل شئ بيده، وأن الوجود كله فيض من جوده ووجوده، وأن الإرادة البشرية كلها طوع هواه.

ثم يمضى المؤلف فى تعداد عيوب الصوفية، فيسند إليهم بعض التهم:

١- عبادة الأنثى.

٢- أن الملائكة سجدت لابن الفارض.

ثم يمضى فى استعراض مشايخ الصوفية الذين يطيب له أن يسميهم «بالكهنة».

فيصف ابن عربى بأنه الطاغوت الأكبر وكان من ضمن ادعاءاته:

١- ربوبية كل شئ. ٢- الرب إنسان كبير.

٣- الرب هو صور العالم. ٤- صفات الرب صفات الخلق.

٥- رب الصوفية وجود وعدم. ٦- كل شئ رب للصوفية.

٧- التجسد فى االنساء. ٨- التجسد المسيحى والتجسد الصوفى.

٩- لماذا عبد ابن عربى المرأة. ١٠- فقر الإله الصوفى إلى الخلق.

ثم يتحدث الكاتب عن الجيلى فيصفه بأنه الكاهن الوثنى الأكبر يدين بدين صنميه ابن الفارض وابن عربى..

فيقول: إن الله ما هو إلا إنسان كامل، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق فى وحدة.

١- إدعاء الجيلى الربوبية العظمى.

٢- الألوهية فى نفسها تقتضى شمول النقيضين وجمع الضدين.

٣- رب الصوفية الذى اختلقه الجيلى «رب عجيب» لم يبتدعه غير خيال الصوفية المخبول..

- ربٌ موجود معدوم.. - واجب مستحيل. - قديم حديث.

- رب ينعم بالحياة ويهلكه الموت. - فهو حى ميت فى آن معاً.

أما الغزالى:

فإنه يقول بالتوحيد أربع مرات:

١- ما يعرفه عامة الناس بالفطرة.

٢- أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

٣- أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بأن يستخدم بذلك نور الحق وهو مقام المقربين

وذلك بأي يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

٤- ألا يرى في الوجود إلا واحداً ..

وهي مشاهدة الصديقين.

وتسمية الصوفية «الفناء في التوحيد» لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً.

ويذكر الكاتب آلهة صوفية أخرى:

١- إله ابن عامر البصري.

٢- إله الصدر التونري.

٣- إله النابلسي.

٤- إله ابن مشيش.

٥- إله الدمرداش.

٦- إله حسن رضوان.

٧- تأليه الحيوان النجس.

ثالثاً - الرأى المعتدل

حول الصوفية

من خلال:

نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام

الدكتورة سارة الجلوى آل سعود

كتاب نظرية الاتصال عند الصوفية

في ضوء الإسلام

تأليف: الدكتورة سارة الجلوي آل سعود

تقول المؤلفة في بداية الفصل الثاني:

من الصوفية من اهتم بوحدة الوجود أما جمهور الصوفية فقد كان جل اهتمامهم موجهاً إلى الإنسان وعلاقته بالله، تلك العلاقة التى تقوم فى أساسها على الاجتهاد فى الطاعة، والمواظبة على العبادات، والمداومة على الذكر من قبيل العبد، وغيرها من الأمور التى تقرب العبد من الرب، وعلى اللطف والرحمة من قبل الله تعالى.

وإذا كانت الصوفية قد أشارت إلى شرف الإنسان على بقية الكائنات، فإن هذا الشرف لا يتم ولا يتحقق إلا بالاتصال الخاص، ومن ثم فقد كثر حديثهم عنه، فتراهم قد تحدثوا عن وسائله وأسبابه، وعن بداياته ومقدماته وتحدثوا من حالاته وملابساته، ثم تحدثوا عن نتائجه وعواقبه.

ففيما يختص بالتوبة فإن لها مفهومها الخاص عند المتصوفة الذى يقترب أحياناً من المفهوم السنى، ويبتعد أحياناً أخرى - فهى عندهم لازمة لمن أراد أن يسلك الطريق إلى الله لأنها:

١ - أول منازل السالكين.

٢ - وأول مقام من مقامات الطالبين.

٣ - وهى أصل لكل مقام وقوام كل مقام.

٤ - وهى مفتاح كل حال.

٥ - وهى أول المقامات.

٦ - وهى بمثابة الأرض للبناء.

«فمن لا أرض له لا بناء له، ومن لا توبة له لا حالة له ولا منام».

٧ - وهى أول مقام لسالكى طريق الحق، كما أن الطهارة أول درجات طالبى الخدمة.

وتبدأ التوبة عند انتباه القلب من رقدة الغفلة فيرى ما هو عليه من سوء حال،

وتصحو فيه إرادة التوبة والإقلاع عن الذنب، وهنا يمده الخالق بالعزيمة، ويأخذ بيده فى طريقه إليه.

قال رجل لبشر الحافى:

مالى أراك مهموماً؟

قال: لأنى ضال ومطلوب، ضللت الطريق والمقصد وأنا مطلوب به، وإذا تبين كيف الطريق إلى المقصد لطلبت، ولكن سنة الغفلة أدركتنى وليس لى منها خلاص إلا أن أزجر فانزجر».

- إذن فمنهم من يرى أن التوبة مسبوقة بالزجر.

- ومنهم من يرى أنها مسبوقة بالتوفيق، وهى المعرف عنها بأنها «التوبة من الله على العبد»

يقول أبو جعفر الحداد:

«ليس للعبد فى التوبة شئ لأن التوبة إليه لا منه».

والتوبة فى المفهوم الصوفى ليست نوعاً واحداً بل إن لها أقساماً مختلفة ومستويات متفاوتة تعطيها بعداً خاصاً يتناسب مع مسار الفكر الصوفى ويتلاءم معه حتى وإن خالفت معنى التوبة التى جاء بها الكتاب والسنة وقد قسم الحسن المغازلى التوبة عندما سئل عنها إلى قسمين:

١- توبة الإنابة - وهى الخوف من الله لقدرته على العبد.

٢- توبة الاستجابة - وهى الحياء من الله لقربه من العبد.

ولقد قسم الهويجرى والسهروردى والشاذلى التوبة حسب درجات التائبين إلى ثلاثة أقسام:

١- توبة العامة.

٢- توبة الخاصة

٣- توبة خاصة الخاصة.

فالتوبة للعامة - والإنابة للخاصة، والأوبة لخاصة الخاصة.

أما ابن عربى فإنه لا يكتفى بإسقاط شروط التوبة عند العارفين، بل إنه يتجاوز ذلك إلى إسقاط التوبة نفسها بالنسبة إليهم، لأن التوبة عنده تنقسم إلى قسمين:

١ - توبة شرعية.

٢ - توبة حقيقية.

- وفيما يختص بالعلاقة بين المريد والشيخ:

إن روابط العلاقة بين الشيخ والمريد تمر بعدة مراحل:

١ - مرحلة التربية والتوجيه والملازمة.

٢ - تمتد هذه العلاقة إلى ما لا نهاية.

٣ - تستمر صلة المريد بشيخه حتى بعد وفاته.

٤ - إن حال الشيخ بعد الموت لم يختلف عنه قبل الموت.

٥ - تحرر الشيخ من شواغل الدنيا وعلائق البدن وشوائب المادة يمنح نفسه مزيداً من القوة والتمكن.

وتقوم العلاقة بين الطرفين على أساس:

١ - محو شخصية المريد.

٢ - العلاقة من الشيخ للمريد نوع من الاحتكار.

٣ - تقوم علاقة المريد بشيخه على أساس من تقديسه له.

فالعلاقة الصوفية تهويم روحي ..

لا تحكمه ضوابط ولا حدود.

٢ - مرحلة المجاهدة:

يرى ابن عجيبة أن المجاهدة صفة أساسية من صفات الصوفية يختلفون بها عن غيرهم من العامة، ويذكر للمجاهدة درجات، تترقى حتى تنتهي إلى امتلاك النفس .. فيقول الناس على قسمين:

١ - قسم لا سير لهم، إذ لا توجه لهم إلى الله لأنهم واقفون مع ظاهر الشريعة لا يأخذون منها إلا الخفيف والسهل مما يوافق هواهم من الرخص.

٢ - قسم شاقت نفوسهم إلى حضرة الملك وغلبهم الشوق فتوجهوا إلى حضرته واشتغلوا بمجاهدة نفوسهم ومحاسبتها ..

والسد بين المريد وبين الحق أربعة: المال، والجاه، والتقليد، والمعصية.

أما عن الحب:

فقد تكلم الصوفية فيه جميعاً وأكثروا الكلام فى المحبة لأنها الحال أو الصفة التى تفصل بينهم وبين غيرهم - أهل الشريعة - الذين تقوم عباداتهم لله على أساس الطمع فى الثواب والخوف من العقاب.

وقد أجملت رابعة العدوية تعريف الحب فى قولها: ليس للمحب وحبيبه بيْن وإنما هو: نطق عن شوق، ووصف عن ذوق .. فمن ذاق عرف، ومن وصف فما أنصف. وكيف تصف شيئاً أنت فى حضرته غائب؟ وبوجوده ذائب، وبشهوده ذاهب .. وبصحوك فيه سكران، وبفراغك له ملآن .. وبسرورك له ولهان.

فالهيبة تخرس اللسان عن الإخبار.

والحيرة توقف الجبان عن الإظهار.

والغيرة تحجب الأبصار عن الأغيار.

والدهشة تعقل العقول عن الإقرار.

فما تم إلا دهشة دائمة وحيرة لازمة.

وقلوب هائمة، وأسرار كاتمة.

وأجساد من السقم غير سالمة.

والمحبة بدولتها صارمة فى القلوب حاكمة.

وإذا كانت ألفاظ:

الحب - العشق - الهوى - الوجْد

تعبر كلها عن حالات نفسية يعيشها الصوفى فإن هناك ارتباط قوى بين المحبة والمعرفة، ومن المتصوفة من حدد للحب عشرة أسباب:

١- قراءة القرآن الكريم بتدبر وفهم.

٢- التقرب إلى الله بالنوافل.

٣- دوام الذكر والعمل.

٤- إيثار حب الله على كل حب.

٥- مطالعة أسماء الله وصفاته.

٦- تعريف الأمور إلى الله بالرضى والتوكل.

٧- إنكسار القلب بين يدى الله.

٨- الخلوة مع الله والمناجاة والوقوف بالقلب عنده.

٩- مجالسة المحبين الصادقين.

١٠- البعد عن الأسباب الحادثة بين القلب ودين الله من أمور الدنيا.

ويميل بعض الصوفية إلى تقسيم الحب وتقسيم المحبين بناءً على ملاحظة بعض الفروق الدقيقة التى لا يفطن إليها غيرهم، وابن الفارض يرى أن الحب مرادف للإيمان.

ثم تتكلم المؤلفة عن الشوق:

نستنتج من كلام الصوفية تقدم الحب على الشوق فى الوجود، وقد كثرت تعريفات الصوفية للشوق:

١- «الشوق هبوب القلب إلى غائب.

٢- هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد والقرب.

٣- الشوق احتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق.

٤- «الشوق ومعناه حركة النفس إلى تتميم ابتهاجها بتصور حضرة محبوبها.

٣- مرحلة الخوف:

تتردد بواعث الخوف عند الصوفية بين ثلاثة أسباب ترجع كلها إلى العلم والسلوك..

وهذه الأسباب هى:

١- المراقبة الدائمة فى السر والعلن.

٢- العلم بالله عز وجل وسلطانه البالغ فى أمر عباده.

٣- ضعف النفس البشرية أمام تقلب الأهواء وما ينشأ عن ذلك من المعصية.

فالإدمان إذا صُقل بالعلم يرقى الشعور بالخوف ليصبح خشية ..

والخشية من شرط العلم ..

والهيبة من شرط المعرفة ..

ويقسم الغزالى الخوف إلى ثلاث مراتب أو درجات:

١- قاصر. ٢- مفرط. ٣- معتدل.

وتستعرض الكاتبة نتائج الاتصال فى حدوث حالات مثل:

١- الأنس.

٢- السُّكر.

٣- الفناء.

وعلى هذا تتحقق نتائج أعمق:

١- المعرفة «العلم اللدنى».

٢- التحقق بالكرامات.

٣- إسقاط التكاليف.

رابعاً - نماذج
من الكتابات الصوفية المعاصرة

١ - كتاب الإنسانية:
للشيخ سلامة الراضى

٢ - كتاب مرشد المريد:
للشيخ إبراهيم سلامة الراضى

٣ - الطريق إلى الله ومقاماته:
كما رتبها الشيخ سلامة الراضى

٤ - أحكام المريدين:
فى ظلال قانون السادة الحامدية الشاذلية

عرض لكتاب الإنسانية

للإمام العارف بالله سيدى سلامة بن حسن الراضى رضي الله عنه

أتقن الله تعالى صنع جسم الإنسان، وأودعه من سر الفكر ما أودعه وقد فكرت فيه كثيراً، وتأملت فى ظاهره وخافيه، ووضعت أمامى قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (الطارق - ٥:٧).

فكتبت هذه الرسالة وسميتها «الإنسانية» ..

- إن الإنسان ذو جسم وروح، والإنسان مجموعهما ..

وقد قال بعضهم: إن الإنسان هو الروح ليس إلا، وإنما الجسم لباس له ..

ولكنى أقول: إن الجسم الترابى الذى يلبسه الإنسان فى هذه الدار لا يفارقه أبداً فى كل حال .. ولكن إذا فاجأه الموت، وانخلعت الروح عن هذا العالم وبطل تعلقها بمشاغله .. تجمعت همتها، وتوحدت وجهتها الروحانية فأصبحت ذات تأثير روحانى فوق الطبيعة، فتصرفت فى جسمها الترابى تصرفاً فوق الطبيعة، فترفعه إلى أفقها، فيصبح حكمه حكمها، لا تحصره الأمكنة وليس له مقدار ولا حصر، فينفذ فى الجدران، من غير أن تنفتح الجدران، أو ينفذ من مسامها ..

ثم يعرض رضي الله عنه لمذهب التناسخيين الذين يقولون بأن الروح تغير ثوبها بعد الموت، وتتقمص جسماً آخر بأمر الحق سبحانه وتعالى، فتدخل حيواناً آخر وهكذا .. وأن هؤلاء، ومعهم فلاسفة اليونان ذهبوا إلى أن الحشر فى الآخرة روحانى لا جسمانى وعلى كل حال فالإنسان ذو جسم وروح.

وإذا مات الإنسان وبقى جسمه لم تجده يتحرك، فلو كان الجسم هو العاقل، لتحرك مادام باقياً، ولو قيل بأن اعتدال مزاج العناصر الكيماوية فى الجسم هو الروح، للزم عليه أن يكون الجماد عاقلاً، ولو كان الجسم عين العقل، لكان الميت يتكلم، لبقاء جسمه بعد موته ولكان كل جسم عاقلاً.

ثم يستطرد رضي الله عنه قائلاً:

واعلم أن الحق تعالى لما أراد بقاء هذا العالم إلى الوقت الذى أراده، جعل الحيوان ذكراً وأنثى، وركب فى الذكر والأنثى ميلاً غريزياً مصحوباً باستحسان الذات، فإذا استحسن ذاتاً، دعاه حكم الميل إلى مقاربتها، فإذا تلاصقا، قوى الميل، وتلذت الروح

باتصال جسمها بذلك الجسم المستحسن، فإذا ازدادت حرارة الجسم، ترتفع حرارة شهوته وهو فى تلك الحال غارق فى الملذوذ المستحسن من ذلك الجسم، فترتخى أوعيته، فيندفع هذا الماء الذى صبغ فى خصيته إلى عروقه الملتوية ويخرج متدفقاً فى مجراه الذى جعل ذا تركيب مستعدٍ بأعصابه إلى الانتشار فيجرى ذلك الماء فى «المهبل» حتى إذا اتصل بالبويضات، فرزته، وقبلت منه ما يصلح، وفى ذلك الوقت يكون «الرحم» قد انفتح لقبول ذلك الماء، حتى إذا استقر فيه، انطبق عليه انطباقاً محكماً، فصار فى قرارٍ مكين فكان استقراره فى «الرحم» كالبذرة توضع فى الأرض، فينشأ الزرع بحسب قابليةً هذه البذرة، وقابلية تلك الأرض، فإذا كان فى الأب مرض كان مودعاً فى تلك الخلاصة التى تسمى (المنى)، فإذا نشأ الإنسان منها كان ذلك المرض موروثاً من أبويه ولكن هذه الوراثة لا تماثل مورثها. مماثلة تامة..

ويذهب ﵁ إلى فساد الرأى القائل بأنه بالنظر فى "المنى" بالنظارة المكبرة يتم التعرف على كل ذرة من المنى إنساناً كاملاً وأنهم إذا حلوا فى «الرحم» مات غالبهم وبقى واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة حسب سعة «الرحم» فإذا بقى أزيد من ذلك تنازعوا البقاء، فهلكوا أو هلك بعضهم، وبقى البعض.. فقد جعل الله للأنثى «ماء» كما أن للرجل ماء، فإذا التقى «الماءان» كان ماء الرجل عاقداً لماء الأنثى، وكل ماءٍ هو خلاصة الجسم الذى أتى منه، وكل ماء جسم مركب من معادن مختلفة بعضها كمل وجوده، وبعضها نقص عن كماله فإذا حل الماء فى «الرحم» وأمد من الأم بالأجزاء التى تنميه، وهو فى ذلك محفوظ من التعفن لستره عن الهواء، تجمد شيئاً فشيئاً، ثم امتد، ثم ابتدأ انطباع الصورة فيه، وتخلقت أعضاؤه، حتى إذا ما استتم خلقه وتصويره، وصار جسماً كاملاً يصلح لسكنى الروح، دخلته الروح فتحرك، ولقد خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجسام، ولكنها كانت مستورة فى الغيب، فإذا تقارب الزوجان ظهر فى اجتماعهما، ومن بين روحيهما «روح الولد» فسكنت فى الماءين المتصلين بين الزوجين الذى هو جسمها، فيتشكل الماء" بأمر الله" على يد الملائكة المدبرات بحسب طلب تلك الروح الناظرة إلى الجسم، وبحكم قابلية الماءين والظواهر الطبيعية المتاحة، فينشأ إنساناً سوياً يشبه أباه وأمه، وقد تؤثر عليه بعض الظواهر فينشأ ناقص الخلق.

ثم يركز - ﵁ - على إثبات أن التصوير بأمر حكيم مدبر بإيراد عدد من الأمثلة:

١- أن النطفة إذا كانت تنمو بطبعها كان نموها على شكل الكرة لاستواء كل جزء من أجزائها، ولكننا نجد ما يلى:

أ- أن الأجزاء التى تكونت منها الرأس أكثر من الأجزاء التى فى اليد.

ب- ونجد للرأس غلافاً من العظم يحفظ المخ بخلاف البطن والعنق . .

٢- الأعصاب، آلة للمخ، تشبه أسلاك التلغراف، تنقل إليه الحرارة والرطوبة والخشونة والملامسة، واللزوجة واليبوسة، كل ذلك وغيره بواسطة الأعصاب إلى المخ، وهو "الحاكم" الذى يحكم بما أدركه من العلم قبل ذلك على كل شئ تنقله إليه الأعصاب، وفيه: العظم والأربطة والغضاريف والأوتار.

٣- وجعلت الآذن غضروفية:

أ- لأنها لو كانت لحماً لكانت مدلاة تخل بالجمال ولا تحصل به الحكمة فى حفظ الأذن.

ب- ولو كانت عظماً فى الوجه لكانت مشوهة له، ولأصبحت بعيدة عن معنى الجمال.

٤- والعين وطبقاتها، جعلت على شكل مقوس، ولو استدارت لكان النظر لا يتوجه إلا مستقيماً، وقد جعل الله تعالى بعض طبقاتها كالزجاج والبعض جليدياً، وقد غطيت بجفنين يحفظانها من الطوارئ.

٥- وأصابع اليد، بعضها غير مساوٍ لبعض فى الطول ولا محازياً له:

أ- نجد الأصابع عند انطباقها صارت متساوية.

ب- ونجد الإبهام يشبه "القفل" عليها.

جـ- ونجدها عند الانطباق تصلح للدفاع، وعند فتحها لوضع الشئ، وعند إمالتها تصلح "مغرفة" وعند إمالة الأصابع "مجرفة".

٦- لم يجعل الحق سبحانه جسم الإنسان قطعة واحدة، بل ركبه من أعضاء كثيرة وجعل فيها "مفاصل" ربطها "بالأوتار والأربطة" حتى يتمكن الإنسان من تحريك أى جزء وحده، وجعل للإنسان "فكين" وركب فيهما "قواطع" و"أنياب" و"طواحن"، كما جعل "الغدد" للعاب ليسهل به المضغ، ويجعل "الفم واللسان والحنجرة" فى غاية اللين، وجعل "اللعاب" ماءً عذباً.

٧- جعل الله شيئاً يشبه الدهن متصلاً "بالأمعاء" و"المعى" تسرى فيه مادة الغذاء فينقله إلى "القلب" وهناك يحصل نضجها فتكون "دماً" وبواسطة حركة الدفع يصل الدم إلى "الرئتين" المتحركتين "بالشهيق والزفير" ويصير" الدم" فى الرئتين أحمراً ثم يميزه «الكبد» فإذا كان صالحاً ناوله للقلب فيدخل إليه من تجويفه الخاص به، ثم يتوزع على "العروق" التى جعلها الله فى الجسم شبه المواسير، وجعل الله الدم «كرات».

وإذا امتلأت العروق و«الشرايين» بالدم، أخذ القلب ما فاض منها.

٨- وقد جعل الله «الأضلاع» كالقفص لتحفظ الأعضاء الرئيسية، ولم يجعل البطن قفصاً ليتمكن الإنسان من الشبع.

٩- وقد أتقن الله صنع الإنسان فجعله مركباً من عظام، فوق "المائتين والأربعين" عظماً غير العظام التى تشبه الحشو.

١٠- ومن عجيب أمر الله أن المرأة لا تحيض مدة الولادة غالباً توفيراً لقوتها وتنمية للجنين، ثم إنه سبحانه وتعالى يحول بدل دم الحيض لبناً يخرج من الثدى الذى هو من أعضاء التناسل كالرحم، ولما كان "اللبن" الصرف يورث عطشاً، جعل الله فى الثدى عيوناً من اللبن وعيوناً من الماء ليحصل الغذاء والرى معاً، وقد ألهم الله الطفل أن يلتقم الثدى، وهداه إليه من غير أن يعقل، وعرفه كيف يمص اللبن مصاً.

وبعد أن أوضح - رضي الله عنه - عجائب قدرة الله فى خلق الإنسان، ينتقل إلى بعض البيان عن الروح .. فيقول:

وإذا كان الإنسان لا يدرك روحه التى بها حياته، ويتكلم ويبصر بها، فكيف يريد أن يدرك الحق تعالى الذى لا يشبهه شئ، وهو حاضر مع كل شئ بمعية لا تجعله داخلاً فى كوننا، فهو معنا بتنزيهه.

وإن العقل والحس هما للروح والمخ والأعصاب آلة لها تفيض على الجسم من قواها ما يقبله استعداد الجسم، وكلما كان صحيحاً كان الفيض عليه أكثر ما لم يمنع ذلك عارض من شكلٍ أو سوء وضعٍ فى المخ أو الدماغ.

وكما أن الأشجار والنباتات لها زمن تكون فيه كالجنين فى الرحم، وزمن تكون فيه كالطفل، وزمن كالصبى واليافع والمراهق والشاب والكهل والشيخ، فذلك كله يمر على الإنسان، وكما أن الزرع إذا بلغ غايته وأدرك حصاده يبس وسقط، فكذلك الإنسان يبلغ نهايته فييبس ويسقط.

ثم يركز - رضي الله عنه - على نصائح هامة .. أهمها:

١- لا ينبغى صرف الزائد من «المنى» إلا فى حلال، إذ أن صرفه فى حرام يؤدى إلى هتك الحرمات، وليتذكر الزانى أقاربه من النساء كأمه وزوجته وأخته وليعرض على نفسه هل يرضى أن يزنى بهن أحد من الرجال؟

٢- يبين بعض مضار الزنا فيما يلي:

أ- قد يولد للزاني ولد ويعيش في اليهودية أو النصرانية.

ب- قد يرث مال أبيه غير أقاربه وقد يفوته ميراث أبيه وأقاربه.

جـ- ربما تزوج أخته أو عمته، فتختلط الأنساب، ويسرى هذا الاختلاط إلى يوم القيامة.

٣- لو نظر الإنسان إلى أصله ومصيره، لقلل من خيلائه وفخره، كما قال الإمام علي كرم الله وجهه:

«ما لابن آدم والفخر، إنما أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة».

ومن عجائبه أنه إذا لبس ثوباً من الصوف مثلاً، نجده يتبختر فيه، وقد نسي أنه قد لبسه كبش قبله، وكان الأولى بالتبختر هو هذا الكبش، وقسْ على ذلك نجد بقية أحواله من العجب العجاب، وذلك دليل على قلة عدد العقلاء.

ثم يعود - رضي الله عنه - للكلام عن الروح، فيقول:

واعلم أن الروح واحدة وذاتها وصفاتها، إذ لو كانت صفاتها غير ذاتها لكانت مركبة، وكل مركب يفنى.

ثم يوضح أن ما يطلق عليه "التنويم المغناطيسي" يعد في أقسام السحريات المحرمة في الشرع، ولا يخلو من نفث الشياطين فيه.

وقد قال البعض «باستحضار الأرواح» مجردة، وما دام ذلك يظهر على يد الفساق، وغير أهل الدين، وهو من خوارق العادات، فلا يكون كرامة بل يعد سحراً وإهانة وإستدراجاً، وقد اعتقد بعضهم أن كثيراً من "أسرار الأولياء" من هذا القبيل، وهو وهم فاسد، نشأ عن جهل مطبق، لأن الوجهين متباينان:

وفرق بين من كانت روحه بين يدي ربها مقدسة مسبحة منزهة، ومن كانت روحه في حضرة الشياطين والكفر والعصيان بعيدة عن رضاء الله ورسوله.

وإذا اجتهد الإنسان في تصفية روحه من كدر البشرية، وصقل مرآته من صدأ الغفلة باشتغاله بما عليه الملائكة الروحانيون أعرض بقلبه وجسمه عن هذا العالم وزخارفه الباطلة، وتمرن على ذلك حتى صار خلقاً له يشبه الجبلة والغريزة كما قال ﷺ:

«واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد على كبد الظمآن».

فإذا استمر على ذلك بحيث يمر عليه الوقت الطويل وهو لا يخطر له إلا عالم الملائكة وتسبيحهم وتقديسهم، ولا يخطر له شر، ولا يفعل شراً، لأن ذلك بعيد عنهم وليس

من عالمهم ولا من أوصافهم، بل هو من عوالم الشياطين وأوصافهم وكلما استمر على ذلك تقوت روحه ولا تزال تزداد قوتها حتى تصل إلى درجة عالية، وبذلك تكون فى حكم الأرواح، وتحصل المناسبة بينها وبين الملائكة فتشرق عليه من أنوارهم وأسرارهم، فيكون روحانياً جسمانياً وتظهر منه الخوارق الناشئة عن التوجهات الروحانية، فيرى الأشياء من المسافات البعيدة ويقرأ الكتب وهى مقفلة من وراء ظهره، وهو مغمض العينين، ويقطع المسافات البعيدة فى خطوة واحدة، وغير ذلك من الخوارق الروحانية.

واعلم أن هذا الأمر يحصل بأحد طريقتين:

١- طريق الشرع.

٢- طريق يسلكه بعض اليهود والنصارى وعبدة الأوثان والصابئون.

وكل من الطريقين مبنى على تجريد همة النفس وتوحيد وجهتها بصرفها عن الشواغل التى تقطعها عن عالم الروحانيات .. وهو فى كل ذلك لا يعمل بشرع، ولكنه سائر فى تصفية طبيعية بشرية، فإذا صفت روحه من شواغلها انغمست فى الروحانيات وبطل تعلقها بهذا العالم ..

ولابد لصاحب هذه التصفية أن يعرف بعض "علم الطب" لأنه يحتاج إلى معرفة اعتدال مزاجه حال تصفية نفسه، إذ أنه متعرض - على الأقل - لأمراض "مخية" يقع فيها، فإذا جاع كثيراً، ربما وقع فى مخمصة أودت بحياته وقد يجوع إلى درجة يجد فيها خيالات وأوهاماً، وربما رأى شموساً أو نجوماً وأن أصواتاً تناجيه، أو يرى أقواماً يمرون به أو يطيرون فى الهواء، وقد يكون هذا كله ناتجاً عن اعتلال مزاجه وانحرافه عن جادة الاعتدال.

وقد يتوهم فى هذه الحال أنه "ولى" من أولياء الله تعالى، إذ أنه قد وصل إلى سماء العرفان، وانحرفت له الحجب، وصار يتلقى العلم "اللدنى" ويتلقف الغيب. فلابد لمن يسلك "طريق التصفية" من معرفته ببعض الطب يدبر بها مزاجه، ويعرف كيف يكون غذاؤه.

واعلم أن "التصفية الشرعية" ليس فيها شئ من ذلك بل هى أن تسلك الحد الأوسط بين حدى التفريط والإفراط، فإذا أكل لا يشبع، ولا يأكل حتى يجوع، وإن جاع فجوعه متوسط، وهو فى كل ذلك يكون "محباً لمولاه" متيقظاً بقلبه، ذاكراً، شاكراً، مسبحاً، مهللاً، مكبراً، فرحاً بسيده، فكلما رأى شيئاً صنعه استغرق فى صنع ربه، فيكون حاضراً بقلبه مع مولاه، هائماً بذكره عند رؤية كل شئ، من غير أن يمتنع عن طعام أو شراب إلا الغليظ منهما، ولا ينقُل قدميه إلا فى رضاء ربه، ولا يفقده سيده حيث أمره. وهذا هو طريق التصفية الشرعية الذى كان عليه بواطن أصحاب رسول الله ﷺ، ويسمى « طريق

الشكر والمحبة » فبينما ترى أحدهم فى صناعته أو على فراشه يفتح الله عين قلبه، وتفاض عليه الأسرار والبركات والفيض والنفحات.

فلما انقضى عصر الصحابة والتابعين، وجاء عصر تابع التابعين سلكوا طريقاً فلسفياً هو طريق الإشراق وقالوا: إن القلب مادام مشتغلاً بالأكوان وتكون صورها منعكسة فيه فلا يفتح عليه.

وإن غاية همم السائرين بتجرد أرواحهم إلى أغراضهم وشهواتهم أن ينتهى سيرهم إلى خرق العادة، أو معرفة غائب، أو كشف ضمائر الخلق أو العلم بمنافع العقاقير وأسرار النباتات، أو طى الأرض والمشى على الماء والهواء، أو معرفة الخبايا والدفائن، وأمثال هذا..

وأما السالكون فإنهم تجردوا عن حظوظهم الدنيوية ولذائذهم الشهوانية وهاموا فى محبة مولاهم، وأعرضوا عما سواه، فمهما تجلى لهم من الأسرار والأنوار والبركات، وشاهدوا ملكوت الأرض والسموات، وتمكنوا من فعل خوارق العادات لم يرضوا دون مولاهم، فتتوارد عليهم الأنوار الروحانية.

ولا يصلح للمحبة إلا قوم كنسوا بأرواحهم المزابل ورأوا نفوسهم أعدى أعدائهم فاتخذوها عدواً، وجاهدوا فى الله حق جهاده، فانتصروا.

واعلم أن الإنسان ما سمى إنساناً إلا لأنسيه، فإن بعض أفراده يأنسون لبعض، ولقد خلق الله الإنسان عمرانياً، فالبعض يعاون البعض على مصالحه إذْ لا يمكن للبعض أن يقوم بمصالح الجميع، فلابد للمدينة الفاضلة من قوم للكتابة والبعض للطب، وغيرهم لصنع الطعام، وقوم يكونون حدادين، وقوم يكونون نجارين، وطائفة للزبالة، وطائفة للبناء، وهكذا، فكانت الأفراد مرتبطة المصالح لا يستغنى البعض عن الآخر إما بواسطة أو بوسائط.

واعلم أن الإنسان باعتبار كماله، إما أن يكون إنساناً كاملاً، أو نصف إنسان، أو ربع إنسان، بحسب نصيبه من كماله، وليس الإنسان إنساناً بصورته، فإن الصورة يشترك فيها الإنسان والحيوان.

واعلم أن الكمال إما أن يكون مدنياً ظاهراً، وإما أن يكون دينياً باطنياً والقسم الأرفع أن يكون صفاؤك وتجرد همتك وتوحيد وجهتك فى الله تعالى والقرب منه، والهيام فى محبته وذكره، لا يقصد بذلك نعيم الجنة ولا النجاة من النار، فمن فعل ذلك على ما ينبغى فهو «الإنسان الكامل» الذى يجعله الله رحمة فى الأرض بين عباده، ويكون مهبطاً

للأسرار، ومركزاً للتجليات ومظهراً للنفحات والبركات والخيرات .. فإذا اشتد استغراقه في محبة الله حتى نسى ما سواه باستيلاء المحبة والذكر على قلبه ولسانه وظاهره وباطنه غرق في الأنوار والأسرار الإلهية، وتفاض عليه العلوم اللدنية، فإذا نطق فإن الله ينطقه، وهكذا إذا قام أو قعد أو تحرك أو سكن، وقد يشهد سر أفعال الحق السارية في الكون، فإذا اتسع روحه وقلبه، وجد روحه لا يبعد عنها شئ في الكون فأبصره كله .. وتسرى روحانيته في أعلاه وأسفله، وظاهره وباطنه، ولا تترك شيئاً من الكون إلا سرت فيه بحكم صفائها واتساع نظرها، فتجد الأمر الإلهي نازلاً على الكون الذي تلاشى في نظرها، وربما تلقت ذلك السر قبل وصوله إلى تفصيله في الكون، فيفيض تفصيل الأمر منها في الكون، فكانت مركزاً للكون يتنزل عليه الأمر الإلهي بأفعال الحق، وذلك لا يكون إلا لرجل واحد من الأحياء وصلت روحه في الصفاء إلى درجة لم تلحقها فيه روح أخرى، وهذا هو المسمى «بالإنسان الكامل» في عرف أهل الله.

وقد خلق الله تعالى الإنسان وأمره بعبادته والإقبال عليه ليفوز بالسعادة الأبدية، ونهاه عن طاعة النفس والشيطان، فإذا فعل العبد ما أمره به ربه واجتنب ما نهاه عنه كان عبداً لله حقاً، قد تحرر من رق الأغيار، ولا يكون همه إلا رضا ربه فيكون إنساناً كاملاً حقاً، وهو الإنسان الذي يشهد الفعل من الله خلقاً وإيجاداً، وتكون الأسباب عنده كأبواب لله يقف عليها يلتمس من ربه العطاء، فإن أعطى شهد الله معطياً، وإن منع شهد الله مانعاً، وهو يستحضر في كل أحيانه أن الله هو الفعال، وأنه المنفرد بالتدبير والايجاد.

والإنسان إذا أطاع ربه نور الله قلبه بنور الإيمان وأودع فيه حقيقة الإيقان، وطرد عنه الشيطان .. وإذا كان القلب مستنيراً ولا يقدر الشيطان أن يصل إليه حلت فيه أنوار الملكوت، وتواردت عليه ملائكة الرحمة، ونزلت عليه السكينة، وحفت به غواشي أنوار التجليات، وأشرقت عليه الأسرار والبركات والرحمات وغرق في أنوار السبحات، فلا يخطر له خاطر إلا إذا كان وارداً من الملكوت.

إن الكمال أن تكون مع الخلق ظاهراً، ومع الله باطناً، وهذا لا يؤثر على شئ من أحوالك ولا أعمالك.

عرض لكتاب مرشد المريد

فى الفقه والتصوف والتوحيد

للسيد / إبراهيم سلامة الراضى

شيخ الطريقة الحامدية الشاذلية رضي الله عنه

وحتى يتضح لنا بجلاء ما قصده الشيخ من إخراج هذا الكتاب أرى أن أنقل بأمانة المقدمة التى سطرها الشيخ رضي الله عنه فى بداية هذا الكتاب حيث جاء فيها :

أحبابى . .

سلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فلما كان فى المقام الأول عندى أن يكون الطريق فى مكانه اللائق، ومركزه الشامخ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان أتباعه ورواده فى درجة ثقافية معقولة وناحية علمية مرموقة، ليتمشى مد الطريق كامل الجوانب.

لذلك رأيت أن أبعث إليكم بهذه العجالة السريعة وهذا المختصر الميسر، ليلم به إلماماً كاملاً كل خليفة يتصدر الإخوان حتى يكون مركز إشعاع لأفرادهم، ومرجع فتوى لعامتهم . . وقد قررت أنه لا يمنح شخص « خلافة طريق » إلا إذا اجتاز فيه امتحاناً يؤهله للتصدر.

فالطريق علم وعمل، ولن يستقيم العمل المثمر على أكمل غاياته، والجهاد الهادف إلى ذروة نهاياته إلا بأداة العلم وجهاز المعرفة، وما ينبغى أن يلم به المريد من حصة غنية فى الشريعة وطائفة صالحة من أمور الدين . .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

« خيركم أفقهكم لدين الله »

العلم والعمل معنيان يتجسدان فى عالم الواقع بأجمل صورهما وأروع محاسنهما، إذا قصد منهما وجه الله ونفع عباده وإلا كانا زينة ورياء.

على أن هذين المعنيين كليهما لا يؤتيان ثمرتهما حلوة ناضجة إلا على عرق ناشب فى أرض الفضيلة والطهر وأصل ثابت على ثرى التواد والتسامح.

يبدأ كتاب «مرشد المريد» ببعض التعريفات الضرورية:

- مصطلحات صوفية:

الطريق - والطريقة - والهدف - والسلوك.

- مَنْ هو الصوفى؟

- مبادئ التصوف.

- أقسام الصوفية:

١- أصحاب السوابق

٢- أصحاب العواقب.

٣- أصحاب الوقت.

٤- أصحاب الحق.

- مبادئ الأخوة فى الله.

- الذكر - والدليل عليه من الكتاب والسنة.

- رفع الصوت فى الذكر.

- الأناشيد فى الذكر.

- التصفيق فى حلقات الذكر.

- الاهتزاز فى حلقات الذكر.

- لا إله إلا الله.

- الذكر بالأسماء: الله - هو - الحى - القيوم.

- نظرة ومد وشئ لله.

- المصافحة

تقبيل اليد - الفقر - كذلك - الشريعة والطريقة والحقيقة.

- مجلس الإخوان.

- المواكب.

- تعريفات: الوحى - الكتب المنزلة - الرسول - النبى - الولاية - شيخ الطريقة - المريد - المعجزة - الاستغاثة - التوسل - الشفاعة - الإيمان - فضل آية الكرسى . .

وتحت عنوان: "لماذا أنا ابن طريق"

جاءت الإجابة على هذا السؤال لتجلو الغموض الذى يكتنف هذا الأمر بالنص كما يلى:

لقد شاعت هذه التسمية وأطلقت على طبقة خاصة عرفوا بالصوفية، وكان من هؤلاء رجال هم خلاصة الصالحية وأئمة العارفين وقدوة الواصلين.

وبلغ عددهم حد الكثرة التى يتعذر ضبطها وخضع لهم أئمة العلماء وأكابر الفقهاء، وأذعن لهم فلاسفة الزمان وأقر بفضلهم الخاص والعام واغترف من بحار علومهم أئمة المحققين، وظهرت لهم خوارق العادات وتوالت عليهم النفحات والبركات، نفعنا الله بهم، وأذاقنا من شرابهم بمنه وكرمه.

وهؤلاء القوم قد تعددت طرقهم، واختلفت مشاربهم وانتسبت كل طائفة منهم إلى إمام من أئمتهم حتى بالغ بعضهم فقال: «لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق»، وهذه الطرق، وإن اختلفت المشارب وإن تعدده فإنها بحسب الأصل ترمى إلى غرض واحد وهو العمل على ترقية المجتمع «البشرية» وتقوية الروحانية والوصول إلى الحضرة العلية.

والطريق: تقديم ومحو وإقبال: أى تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، والإقبال على الله بالهمة، لقوله ﷺ:

«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، ألا وهو جهاد النفس».

والطريق سلوك ومبادئ سامية يسير على منهاجها السالك، كل ذلك تشمله مكارم الأخلاق التى تنشأ عن نظر صحيح ومبدأ شريف، ويراد بها الوصول إلى الكمال الإنسانى، لا بالتمويه والتقليد، أما السير بالطريق فيجمع خمس خصال، إن خلا منها المريد فليس هو من الطريق فى شئ..

وهذه الخصال الخمس هى:

١ - تقوى الله فى السر والعلانية.

٢ - واتباع السنة فى الأقوال والأفعال.

٣ - والإعراض عن الغافين فى الإقبال والإدبار.

٤ - والرضى عن الله فى القليل والكثير.

٥ - والرجوع إليه فى السراء والضراء.

أما اعتدال الأخلاق:

فيؤخذ من معلم يلقنك إياه عملاً، ولا يقتصر على القول.. فإذا أدرك الله المريد بلطفه، وأراد به خيراً، رزقه الخوف مع الإقامة على هذه الحال، والخوف هو سوط الله الذى يقوم به الشاردين عن بابه، وما فارق الخوف قلباً إلا خرب، فيتحلى بمكارم الأخلاق ويعرف كيف يكون إنساناً منصرفاً عن السفاسف والدنايا

١ - يعرف الخير، فيبادر إليه.

٢ - ويميز الشر فيبتعد عنه.

٣ - يفرق بين الحق والباطل والصدق والكذب.

٤ - يسمع النصيحة.

٥ - ولا يرد الحق على قائله.

٦ - ينزه أوقاته عن العبث حتى فى أوقات المزاح.

٧ - لا يسب ولا يشتم.

٨ - ولا يذكر الأعراض بالسوء.

٩ - ولا يعرض بوصمة تلصق عاراً بأحد.

١٠ - إذا حدث أحداً اشتمل حديثه على الفضائل وتكميل الأخلاق والرقى فى مدارج الكمال.

١١ - يحرص على وقته قبل الفوات.

١٢ - يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

١٣ - لا يعمل شيئاً إلا بعد أن يجد له نية صالحة ويكون لله خالصاً.

١٤ - يصحب الخوف من الله فى أحواله.

١٥ - ويكون ذا همةٍ علية.

١٦ - لا ينحط من عزائم الشريعة إلى الرخص.

١٧ - يتحبب إلى قلوب إخوانه.

١٨ - يجامل إخوانه فى مهماتهم ويشاركهم فى نوازلهم.

١٩ - يسعى فيما فيه مصالح إخوانه.

٢٠ - ينصح أخاه عند الحاجة ويلين له إذا قضى الحال.

٢٢ - لا يضجر ولا يسخط عند الامتحان.

٢٣ - يرجو ربه دائماً ولا يقنط.

- فمن كان الله فى همه كفاه ما أهمه.
- ما كان فى الله تلفه فعلى الله خلفه.
- وبالرجاء والخوف والحب مدار السير إلى الله.

- ولولا الرجاء ما تحركت الجوارح بالطاعة.
- وإذا قويت المحبة يكون الرجاء.
- وكل محب راج خائف بالضرورة.
- كما أن السائر دائر بين:
أ- ذنب يرجو غفرانه.
ب- وعمل يرجو إصلاحه.
جـ- وعمل صالح يرجو قبوله.
ء- واستقامة يرجو حصولها ودوامها.
هـ- وقرب من الله ومنزلة عنده جل شأنه يرجو الوصول إليها.

أما مقامات الطريق التى يتدرج فيها المريد هى:

(١) اتباع السنة.
(٢) قرآن.
(٣) فقه.
(٤) طاعة.
(٥) أدب.
(٦) سيْر.
(٧) قيام الليل.
(٨) ثبات.
(٩) اتهام للنفس.
(١٠) زيارة.
(١٢) تأليف.
(١٢) نسبة.
(١٣) تبرك.
(١٤) تعشق.
(١٥) وقار.
(١٦) ملازمة.
(١٧) إخاء.
(١٨) تسليم.
(١٩) همَّة.
(٢٠) صدق.
(٢١) تقديم.
(٢٢) محو.
(٢٣) ترك أهل الغفلة.
(٢٤) بشاشة.
(٢٥) رضى.
(٢٦) قبول النصيحة.
(٢٧) حسن الظن.
(٢٨) خدمة الإخوان.
(٢٩) تحمل.
(٣٠) سلامة الصَّدْر.
(٣١) الوفاء بالأخوة.
(٣٢) الشفقة على خلق الله.
(٣٣) عدم الانتصار للنفس.
(٣٤) تواضع.
(٣٥) عفو.
(٣٦) حُلم.
(٣٧) صفاء.
(٣٨) مواساة.
(٣٩) إيثار.
(٤٠) فتوْة.
(٤١) حفظ العهد.
(٤٢) ذكر.
(٤٣) مذاكرة.
(٤٤) فكر.
(٤٥) محاسبة النفس.
(٤٦) مجاهدة.
(٤٧) إكثار التوبة.
(٤٨) كثرة النوافل.
(٤٩) اعتبار.
(٥٠) قناعة.
(٥١) زهد.
(٥٢) توكل.
(٥٣) رقة فى القلب.
(٥٤) خوف.
(٥٥) مراقبة.
(٥٦) استغراق.
(٥٧) حفظ الحدود.
(٥٨) يقين.
(٥٩) تقوى.
(٦٠) تخلُّق.

وقد أتانا النبى ﷺ بالحنيفية البيضاء النقية، وكان بنا رءوفاً رحيما ..

فلم يدع ﷺ شيئاً من عبادة أو معاملة أو أخلاق تقرب إلى محبة الله ورسوله إلا بينه..

وأنزل الله تعالى عليه قوله:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران - ٣١).

وقال تعالى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف - ١٩٩).

فأدبه ربه أدباً حسناً، ثم أظهره فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم - ٤).

الطريق علم وعمل وذوق

- **الشرع** - أوامر ونواهٍ

- **والقرآن والحديث** هما الشرع الظاهرى

فالسير إلى الله تعالى بالشرع الشريف يمثل الطريق والنور الذى ينقدح فى قلب العامل بالشرح هو الباطن .. وعلم الباطن هو الذى أفاضه الله على قلوب أهل السير إلى الله تعالى.

والعامل السائر يحتاج إلى مرشد عارف بطريق السير:

١ - يعلمه كيف يكون العمل.

٢ - ويرشده إلى ما لا يعرفه.

والطريق ليس تواكلاً وضعفاً ..

ولكن الطريق كما وضع أساسه الشيخ الراضى رضى

اجتماع .. واستماع .. واتباع .. وانتفاع ..

ومن ادعى أنه ليس هناك إلا علم الظاهر وهو «الشرع» فذلك حق ..

ولكن ألا يدرى أن الشرع أحكام أمرنا بها الشارع؟ فإذا عملنا بها أثمرت فى القلوب وظهرت لها علامات ..

لقوله ﷺ:

«مَنْ زهد فى الدنيا أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وقوله ﷺ:

«إذا وجدتم الرجل وقد أوتى صمتاً وزهداً فى الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة».

وفى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام تجد أن الخضر أتى بأشياء أنكرها عليه موسى فلما بينها له فى آخر الأمر وقال: ﴿وما فعلتُه عنْ أمْرى﴾ (الكهف - ٨٢).

اتضح حكم الباطن، وعرف موسى عليه السلام حكمة الأمور التى عملها الخضر ..

ولذلك قال المصطفى ﷺ:

«رحم الله أخى موسى لو سكت لتعلمنا»

وفى هذا دليل قاطع على أن هناك أحكاماً باطنية يتعلمها العبد من ربه من غير واسطة وذلك هو العلم «الصوفى».

ثم تأتى إرشادات عامة

موجهة إلى كل من انتسب للطريق، توضح إلى أى مدى يحرص مشايخ الطريق رضى الله عنهم على رفع المستوى الدينى والثقافى لكل المنتسبين للطريقة مع العناية فى المقام الأول بالشرع الحكيم..

وهذه الإرشادات هى:

أنه على كل منتسب لهذه الطريقة:

١- أن يحفظ جزءاً من القرآن الكريم.

٢- أن يحفظ الأحاديث النبوية الشريفة المختارة.

٣- أن يحفظ الوظيفة الشاذلية حفظاً تاماً مع ضبط ألفاظها لغوياً..

وهى أحد أوراد وأحزاب سيدى أبى الحسن الشاذلى.

٤- أن يحفظ الجوهرة الحامدية حفظاً تاماً مع ضبط ألفاظها لغوياً.

وهى أحد أوراد سيدى سلامة الراضى.

٥- أن يدرس أحد المذاهب الأربعة المبينة فى الكتاب.

٦- على الخليفة أن يساعد إخوانه على تفهم ما فى الكتاب.

ثم ينتقل الكتاب إلى باب الفقه

فيلقى الضوء على الأحكام الآتية:

الطهارة - الوضوء - الغُسل - التيمم - الصلاة - صلاة الجمعة - صلاة العيدين - الصيام - الزكاة - الحج.

ثم يستعرض الكتاب أحكاماً عامة عن:

الفرض - الواجب - السنة - الأيمان - ثم يأتى الكتاب بعض الأحاديث المشهورة:

١- حديث «فى ظل الله»

٢- حديث «المهلكات»

٣- حديث «طريق انقراض الأمم»

٤- حديث «فى موكب الشهداء»

٥- حديث «الصدقات»

٦- حديث «الأخوة فى الاسلام»
٧- حديث «آداب الطريق»
٨- حديث «المؤمن القوى»
٩- حديث «اليد العليا خير من اليد السفلى»
١٠- حديث «التوحيد دين الفطرة»

ويأتى أسلوب عرض الأحاديث كما يلى:

١- نص الحديث.
٢- شرح المفردات.
٣- ما يرشد إليه الحديث.

ثم يأتى فى نهاية الكتاب ببعض المتفرقات:

١- القول على الله بلا علم.
٢- الفرق المعنوى بين المعرفة والعلم.
٣- الكناية والمجاز.
٤- ليلة القدر خير من ألف شهر.
٥- الرحمن الرحيم.
٦- رسول الله ﷺ نسبه وودلاته ..
٧- خذ العفو وأمر بالعرف.
٨- الأنبياء.
٩- الفتوة.
١٠- الناس أربعة.
١١- الرجال أربعة.
١٢- أيام خمسة.
١٣- من المنهج.
١٤- قل خيراً وإلا فاصمت.
١٥- الله أحد.
١٦- الشكر.
١٧- حلاوة القرب.
١٨- الإسراء.

الطريق إلى الله ومقاماته

كما رتبها العارف بالله السيد / سلامة بن حسن الراضى رضي الله عنه

مؤسس الطريقة الحامدية الشاذلية

مقامات الطريق

رتب سيدى سلامة بن حسن الراضى مقامات الطريق من البدء إلى النهاية على سبعين مرتبة . .

١- الزيارة - لابد للراغب فى سلوك الطريق أن يبدأ بالخطوة الأولى لسلوك الطريق، فيقوم بزيارة للشيخ فى مجلسة أو فى مجلس الذكر (الحضرة) ليرى ويشاهد عن قرب، فإن أنس فى نفسه رغبة فى التعرف على الطريق، وصادفته عناية الله، وكان من المحظوظين وفقه الله إلى الانجذاب للشيخ، فيعود للزيارة مرة أو مرات، وهو فى كل مرة يرتوى بكأسٍ مخالف لسابقه.

٢- التأليف - حين يرى الشيخ بعين بصيرته أن هذا الزائر أصبح أهلاً للدخول فى الحمى، بدأ بتأليفه، فيعطيه بعض اهتمامه الظاهرى فمرة يحييه تحية خاصة، وأخرى يجلسه فى مكان خاص، ومرة ثالثة يدعوه لمصافحته، ورابعة يعطيه نفحة من شراب أو طعام، مما يجعله قريباً من قلوب الأحباب، فيألفهم ويألفونه، وذلك قول المصطفى ﷺ: «المؤمن آلف مألوف، فلا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف».

٣- النسبة - يزداد شوق هذا الزائر للتردد على الشيخ ومجالسة الأحباب وتستقر الألفة فى قلبه، وتهنأ نفسه للمجالسة، فيجد فى نفسه عزوفاً عن عاداته التى تعودها، ولا يدلف لرفقائه السابقين، وتطمئن نفسه إلى أن مكسبه هنا من الشيخ وبين أحبابه، فيصبح كالسمكة التى لا تستطيع العيش خارج مائها، عندئذٍ تشده بصيرة الشيخ إلى الانتساب . .

٤- التبرك - يبدأ هذا المنتسب فى تقليد الأحباب ومجاراتهم فى التبرك بالشيخ، فيكون جل حديثه مع أهله وأقرانه وفى عمله وشارعه وناديه عن الشيخ وعن الأحباب، وينمو عنده حب تلمس بركة الشيخ والأحباب ويظهر ذلك له فى براهين تثبت فؤاده.

٥- العشق - العشق مرتبة فوق الإعجاب، ودون الحب، وهو مرحلة مهمة جداً فى

سلوك المنتسب للطريق، فينقلب حب التبرك بالشيخ وبأحبابه عنده إلى لون أرقى وهو العشق، فإن جاء وقت الفراق وختم المجلس تمنى لو طال الوقت به ليزداد نفحات وأنواراً، فقد أصبح الآن يحس بقلبه دون الجوارح، فيتحرق القلب شوقاً إلى لقاء الشيخ والأحباب، وينطبق عليه قول السادة:

أحب لقا الأحباب فى كل ساعة لأنى أرى الأقمار وهى طوالع
لقاهم منى نفسى وغاية مقصدى لأن لقا الأحباب فيه المنافع

٦- الوقار - بعد أن يدرك المنتسب هذه المعانى السامية، يبدأ فى توجيه عشقه الوجهة السليمة، فيخشى من مخالفة أو تقلب القلب، أو الهجران، أو الطرد - والعياذُ بالله - فيلبس ثوباً جديداً فى تعامله مع شيخه ومع أحبابه اسمه «الوقار» مرجعه الهيبة والرهبة، والإحساس الباطنى بنفحات الشيخ والطريق، وهو فى هذه المرحلة أكثر أدباً مع شيخه ومع إخوانه، وينطبع ذلك عليه سلوكاً عاماً مع كل الناس، ويصدق فيه قولهم:

فيكسى جلاليب لأنه أقام بإذلال على باب عزنا
رفعنا له حجباً أبحناه نظرة إلينا، وأودعناه من سر سرنا

٧- الملازمة - لقد أصبح هذا المنتسب مريداً، وله الحق أن يلقن العهد فيأخذ القبضة ويعاهد الله أنه قد التزم السمع والطاعة لشيخه فلا يخالفه بقلبه ولا بجوارحه ولا بلسانه..

هنا يلازم المريد شيخه وإخوانه، فقد أصبح له ما لهم، وعليه ما عليهم، يبذل كل ما فى وسعه لإرضاء الله ورسوله، وإرضاء شيخه، فيقرأ الأوراد، ويحضر الحضرات والمجالس، ويسعى فى نشر طريق الله وإعلاء شأنها بكل ما يملك من السبل والوسائل، وهنا يدخل فى مقام التسليم، فيصير فى يد شيخه، كالميت فى يد المغسل، وقد قال أهل الطريق: «التسليم عندنا ركن أول» وقد قالوا أيضاً: «من سلم السلاح فقد استراح».

٨- الإنشاد - الصوت الحسن مطلوب فى الاسلام، فى ترتيل القرآن الكريم، وفى الآذان، أما الإنشاد الدينى عموماً والإنشاد الصوفى خصوصاً فهو يحتاج إلى الصوت الندى مع حسن الحفظ وضبط اللغة ومراعاة قواعدها، وقد أثر عن المصطفى ﷺ أنه كان ينتحى بأهل الصفة فى خلوتهم ويسأل: أفى القوم غريب؟ فإذا أجيب بالنفى، أمر شاعره المشهور حسان بن ثابت بالإنشاد ويتمايل ﷺ مع تمايل أهل الصفة وَجْداً من السماع، حتى أن بردته الشريفة تقع من فوق كتفيه من شدة الوجد مع الإنشاد الجميل، والصوفية يسمون المنشد «ساقى القوم».. وعلى هذا المريد أن يحفظ قصائد القوم والمدائح النبوية ليكون على أهبة الاستعداد للإنشاد منفرداً على الحضرة حين يطلب منه ذلك، أو مشاركة مجموعة المنشدين فى الحضرة.

٩- التوحيد - مجلس الشيخ ذكر ومذاكرة، ومجلس الشيخ يتسم بالعلم فى جميع فروع العلم والمعرفة والثقافة الدينية والدنيوية، ويقلب على مجلسه نوع من أنواع العلم الخاص، وهو التوحيد، ولابد للمريد أولاً أن يفهم معنى التوحيد وأن يشهد من قلبه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله، ثم ينال قسطاً من التربية الروحية فيستمع إلى رأى الشيخ ومجالسيه، ويجلس فى صمت وأدب وإنصات ويعى بقلبه وعقله المذاكرة المطروحة ويأخذ منها ما ينفعه ويكون جاهزاً بعد ذلك للمشاركة فى المذاكرة وفى الحديث وربما اضطرته الظروف أن يتصدر مجلساً فى غير وجود الشيخ، فعليه أن يزيد الحديث والمذاكرة وألا يكون عاجزاً عن ذلك بأى حال من الأحوال.

١٠- الفقه - لما كان أهل الله وخاصته هم من أهل السنة والعاملين بها والداعين إليها فإنهم يحملون قدراً كبيراً من المعرفة والدراسة والدراية بأمور الفقه الإسلامى، ولابد للمريد السالك أيضاً أن يكون فى هذا المجال مجارياً لهم ومتجاوياً مع أحبابه، يستعد بالقراءة والمراجعة والدراسة لأمور وقضايا الفقه الإسلامى ليكون مؤهلاً للفتوى أو حل المسائل الفقهية.

١١- القرآن - ما من شيخ سالك فى طريق الله إلا ووفقه الله تعالى إلى حفظ القرآن الكريم قراءة وتجويداً فى سن مبكرة، وتلك سمة غالبة على معظم المتصدرين لتربية القلوب والأرواح، ولذلك يطلب الشيخ من مريديه أن يحفظ كل منهم القرآن الكريم، وأن يحافظ عليه، أو على الأقل حفظ جزء منه تلاوة وترتيلاً وتجويداً وقد اعتاد المشايخ أن يطلبوا من أى مريد أن يقرأ ما تيسر من القرآن فى مجالسهم سواء كانت مجالس علم أو مجالس ذكر، وقد يعمد الشيخ إلى تسميع القرآن لإخوانه، ومحافظة على القرآن الكريم فإن المشايخ قد دأبوا على جعل ورد منه على كل مريد، ويجعلون ختمه للقرآن فى كل شهر، بحيث يجتمع الأحباب يومياً فى حلقة للحفظ والتلاوة وبحيث يقرأ كل منهم جزءاً كل يوم من أيام الشهر، وفى آخر الشهر يعقد حفل يسمى «حفل الختمة» يتم فيه قراءة الجزء الأخير من القرآن مع دعاء ختم القرآن الكريم، وإذا توفى أحد المريدين فإن الأحباب يجتمعون لقراءة القرآن كاملاً على روحه، ويهبون ثوابها لروحه الطاهرة، وهكذا يتكرر ذلك فى مناسبات مختلفة مشابهة..

١٢- الأدب - يضع الشيخ أمام مريديه وأحبابه المعانى التالية:

- من القرآن الكريم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم - ٤).
- وقوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت - ٣٤).

- وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل - ١٢٥) .
ومن السنة المطهرة - قول الحبيب المصطفى ﷺ:
« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »
وقوله: « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »
- ومن أقوال العارفين - « من زاد عنك خلقاً زاد عنك ديناً وزاد عنك تصوفاً »
- ومن الشعر ، قول أمير الشعراء:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

١٣- الطاعة - إن المبدأ الأول للمحبة عند الصوفية هو الطاعة، فهم يقولون: "إن المحب لمن يحب مطيع"

والطاعة هى الامتثال للأوامر دون مناقشة . .

وقد تجلى ذلك فى قصة رؤيا الخليل ابراهيم وتصديق إسماعيل وامتثال هاجر لأمر الله . . حيث يقول الحق جل شأنه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات - ١٠٢) .

وللطاعة هنا حدود ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . .

ويتجلى ذلك في قوله تعالى عن الوالدين:
﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ (لقمان - ١٥) .

١٤- الاتهام - بعد أن يجتاز المريد مقام الطاعة، فإنه لابد له أن يدخل فى امتحان للنوايا ، كمرحلة هامة من مراحل الطريق فيدخل فى مقام الاتهام لنفسه بالتقصير ، فلا يرى منها كمالاً على الإطلاق ويتجلى ذلك فى قول الإمام البوصيرى:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وكذلك قول العارفين رضى الله عنهم:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا ... هم السلاطين والسادات والأمرا
فاصحبهمو وتأدب فى مجالسهم ... وخل حظك مهما قدموك ورا
واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم ... واعلم بأن الرضا يختص من حضرا
ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل ... لا علم عندى وكن بالجهل مستترا
ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا ... عيباً بدا ظاهرا لكنه استترا

وحط رأسك واستغفر بلا سبب وقم على قدم الإنصاف معتذرا
وإن بدا منك فاعترف وأقم وجه اعتذارك عما فيك منك جرى

١٥- **الثبات** - يبلغ المريد بما وصل إليه فى المراحل السابقة مرحلة جديدة تتطب منه الثبات، لأن القلوب شأنها التقلب، فلا تثبت على حال إلا بفضل من الله سبحانه وتعالى..

ولذلك كان أغلب دعاء المصطفى ﷺ:

«يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»

والمريد يتعرض فى هذه المرحلة لتغيرات مفاجئة لابد فيها من نزول رحمة الله وإدراك العبد قبل أن تزل قدمه..

وقد صور العارفون ذلك فى قصيدة على لسان الحق سبحانه تقول:

أتذكر إسمى باللسان تظاهراً بحبى. ومنك القلبُ للغير يذكرُ
ألم تدرى يا عبدى بأنى ناظرٌ إليك، وأدرى ما بقلبك يخطرُ
لسان يقول «الله» والقلب غافلٌ يقول «فلان» وهو فيه مُصورُ
فلا تدعى ذكرى وقلبك مظلمٌ وحالك من ذكرى برئٌ مكدَّرُ
أتجعله لهواً ولعباً. وغفلة أما تستحى منى فإنى حاضرُ
أأنت تناجينى ووصفك هكذا وليس عليك الخوف منى يظهرُ
وقلبك لم يشهد جلالى وعزتى ألم تعتقد أنى عظيم وأكبرُ
خلقتك يا عبدى بفضلى ورحمتى وتعرض عنى. هل لربك تهجرُ
وبابى مفتوح. وفى كل ليلة أنادى لكم: هل من يتوب فأغفرُ
وقلبٌ به غيرى ففى الحب مشرك وكل ذنوب ما خلا الشرك تغفرُ
وتذكر غيرى باجتهاد وهمة فهل أنت لاسمى مثل غيرى تذكرُ
فإن كنت تهوانى تجرد عن السوى تفوز برضوانى. وحظك أوفرُ

١٦- **الإخاء** - إذا ثبت قلب المريد، وأصبح ملازماً لحمى مولاه لا يغيب عنه لحظة، ولا يشغله عنه شاغل، فإنه بذلك يستحق أن يدخل إلى مرحلة أخرى جديدة مكملة لحلقات المحبة وهى «الإخاء».

ولأهمية الإخاء فى الله، فإن المصطفى ﷺ حين دخل المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، وقال: تحابوا جميعاً أحبابا فى الله، ثم أخذ بيد الإمام على كرم الله وجهه، وقال: هذا أخى.. ولأهمية هذا التآخى فى الله والحب الخالص من أجله، قال ﷺ فى حديث

السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، «واثنين تحابا فى الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه»

وفى الحديث الآخر عنه ﷺ:

«لله رجال ما هم بأنبياء ولا مرسلين ولا شهداء، يغبطهم هؤلاء يوم القيامة لقرب مكانتهم من الله، قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا تجارة يتعاطونها، تالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يفزعون من وصل إليها فعليه أن ينفى من قلبه كل الأغيار والنختويات ويتحقق بقول المصطفى ﷺ:

«والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه»...

على المحب أن يسلم القياد لحبيبه، ويتصور نفسه أنه قد مات عن الدنيا وتكون مناجاته لأحبابه، كمال قال العارفون:

سكنتم فى سويدا القلب منى	وبالحسن البديع ملكتمونى
أسرتم في محبتكم فؤادى	وأطلقتم دموعي من جفونى
وصرت كعامر مجنون ليلى	وزاد من الغرام بكم جنونى
ورام عواذلى منى سلوا	فقلت دعوا سلوي واعذرونى
ترى يا ساكنا قلبى وروحى	تقر بطيب وصلكمو عيونى
أنا الصب المتيمم فى هواكم	وقلبي من هواكم في شجون
وقفت باب حيكمو سحيرا	أنادي يا لقومي فانجدونى
ويا لعشيرتى إن مت وجدا	ففي بحر المدامع غسلونى
وإن جردتمونى من ثيابى	ففي أثواب سقمي كفنونى
وقولوا: مغرم قد مات وجدا	وفي حي الأحبة فادفنونى
وها تولي على قبرى علامة	إذا مر الأحبة يعرفونى
فموتى فى الغرام بهم حياتى	إذا عطفوا علي وواصلونى

١٨- التسليم - التسليم عند الصوفية كما قلنا: ركن أول: وهم لهذا يقولون على لسان الحق سبحانه:

وسلم إلينا فى كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا

ويتساءل بعضهم: تقول مريد، وفيك إرادة؟ !!..

وفى هذا المقام يحكى عن السلطان الحنفى رضى الله عنه أن كان له خادماً فاصطحبه معه فى سياحة، فلما أرادا أن يعبرا النهر تأخرت المعدية ولما مالت الشمس للمغيب، قال الحنفى: يا بنى، والله إنه لأكره إلى الولى أن تصدر عنه كرامة، كما يكره صدور المعصية على يديه، ولكننا هنا فى موقف المضطرين لعبور النهر، وسأجعل منديلى هذا على الماء وسأدعو الله تعالى فيصير بإذنه وقدرته مركباً صغيراً، فإذا صار كذلك فسأركب وعليك أن تركب خلفى وتمسك بثوبى، وما عليك إلا أن تقول كما آمرك فأنا سأقول طوال عبور النهر: يا الله، وأنت عليك أن تقول: «يا حنفى» وركبا معاً وبدأ الحنفى فى ترديد قوله " يا الله" ويقول الخادم "يا حنفى" حسب الاتفاق، ولكن الخادم قال فى نفسه: ولماذا لا أقول كما يقول سيدى؟ يا الله، فلما قالها كاد أن يغرق وحده، فانتشله الحنفى، ولما وصلا بسلامة الله إلى البر سأله الحنفى، لماذا لم تطع أمرى وغيرت وبدّلت؟ يا بنى إن الحنفى قد قطع مشواراً طويلاً فى سلوكه إلى الله أهله أن يناديه مباشرة، أما أنت فما زلت مع الحنفى ولم تعرف ربك المعرفة الحقيقية بعد، وسوف يأتيك يوم باجتهادك إن شاء الله وقد تصير أحسن من الحنفى، فلا تتعجل الأمور، بل سلم تسليما كاملا ..

ولنراجع سوياً قبل العارفين فى هذا المقام:

لو وجدناك حافظاً لوفانا ... لمنحناك رحمة من لدنا

كن على كل حالة فى امتثال ... واصطبار. بوصلنا تتهنى

فأجابت قلوب أهل المعانى ... لنداء الحبيب سمعاً أطعنا

ما عشقناك للصفات ولكن ... نحن قوم إذا نظرنا عشقنا

نحن قوم نرى المعزة ذلا ... قد تركنا نفوسنا واسترحنا

١٩- الهمة - إن علو الهمة شئ لازم للمريد لكى يجتاز الصعاب ويصل الى مرضاة مولاه، وإيقاظ الهمة من أوجب الواجبات أمام مقاتل يقاتل النفس والشيطان، ويقاتل الفتن ما ظهر منها وما بطن، لأن الإنسان مبتلى دائما ..

وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت - ٢).

ويقول العارفون فى ذلك:

جاهد وأصلح أرض قلبك يا فتى ... فعليه غرس الحب فاحفظ غرسكا

والفيض لا يأتى مكانا مظلما ... أبداً. ولو فى الذكر تجهد نفسكا

إن كنت مفتوناً بدعوى أو هوى ... نفس ودنيا. فهى تقطع سيركا

حاذر من الشيطان واعلم أنه يهديك نصحا وهو يقصد قتلكا
يلقى إليك السم فى فتوى له من حيث لا تدرى فحاذر جهدكا

٢٠ - الصدق - شراع مركب المريد، عليه يتوقف نجاحه وفشله وقد كان الصدق من أظهر صفات المصطفى ﷺ فى كل أطوار حياته، حتى أن الكفار، وهم أعدى أعدائه لقبوه، بالصادق الأمين.

وقد قيل: «إن كان الكذب ينجى، فإن الصدق أولى . .

ويحكى عن الحسن البصرى رضي الله عنه أنه كان واقفاً ذات يوم أمام صومعته فوجد رجلا يجرى وتطارده الشرطة، فسأله: هل أنت برئ يا بنى، قال: نعم يا سيدى، فقال له: سوف نرى . . أدخل إلى الصومعة واختبئ تحت بعض القش فيها حتى لا يراك الشرطة، فدخل الرجل وأمعن فى الاختفاء والتخفى فلما جاءت الشرطة إلى الحسن البصرى، وسألوه عن الرجل الذى يطاردونه، قال لهم: إنه داخل هذه الصومعة، فظنوا أنهم أمام من يموه عليهم ليترك فرصة للرجل ليهرب، فمضوا يبحثون عنه، ووجد الحسن البصرى الحيرة على وجه الرجل، فقال له: لا تتعجب يا بنى، فوالله ما نجاك إلا صدقى.

ولذا قال العارفون رضى الله عنهم:

«ليس الطريق لمن سبق، وإنما الطريق لمن صدق».

٢١ - التقديم - والتقديم هنا بمعنى الإيثار، إذ لابد للمريد أن يقدم غيره على نفسه، وذلك عملاً بقول الإمام على بن أبى طالب كرم اله وجهه: «أخاك الحق، من كان معك، وضر نفسه لينفعك، ومن إذا ريب الزمان صدعك، شتت نفسه فيك ليجمعك».

واعلم أن من آداب القوم تقديم الكبار وذوى الشأن، ومن لهم سبق فى الطريق وفضل فى الدعوة إليه . .

وليعلم المريد أن المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

وأن من أصول الطريق أننا فى طريق الله ما اجتمعنا لنعصم وإنما اجتمعنا لنرحم، والناجى يأخذ بيد أخيه.

٢٢ - إتباع السنة - تطبيق سنة المصطفى ﷺ وإحياؤها من أهم متطلبات أهل الطريق التى يحرصون على توجيه مريديهم إليها . .

وهم يقولون: «من أحيا سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وهم الذين قال فيهم الإمام البوصيرى فى بردة المديح:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

ويقول شيخ الطريقة سيدى سلامة الراضى:

قــل للمحــب إذا أتــى فى حتـــنا ... إن كنت تهوانا وتطــلب قربـــنا

لا تلتفت بعد الوصول إلى الحمى ... للغير، تطــرح فى زوايا بعدنــا

وسبيل قربى فى اتبــا ع المصطفى ... فهو الصــراط المستقيــم لحيّنا

فاسلـــك عـــلى آثـــاره متمســكا ... بشمائل المخـــتار تظــفر بالمنى

٢٣ - السـيـر - السائر فى الطريق كالطائر، فالشيخ قد عبر عن مهمته فى تعريف محدد، فقال: «الشيخ من سلك الطريق ثم عاد ليخبر الخلق بما استفاد».

ويقول الشيخ للسالكين:

يا من يروم سلــوك طريقـــة ... قد أشرقــت أنوارهــا فى مهجــة

صف الفؤاد من الشواغــل كلها ... واقــدم بعـــزم مــع كـــمال إرادة

واسبح ببحر الفعل ترقى للعلا ... فهناك يظهر سر حكـم القــدرة

واعلـــم بأن سلوك هــذا كلــه ... فى عين ميدان النفوس بحكمــة

٢٤ - الرجـوع - حين سلك الشيخ الطريق ثم عاد، اصطفى بعض المريدين فغمسهم فى بحر المحبة فطاروا على جناح الشوق، ورجعوا إليه أكثر صلابة وأكثر يقينا، فسمى عودهم عوداً حميداً ..

رجعوا بالمعارف والعلوم وبالأخلاق المرضية بعد أن منَّ عليهم المعبود سبحانه وتعالى وألبسهم حلل الرضا والصفا ..

هؤلاء يأذن لهم الشيخ بالتصدر بعد أن تأهلوا لذلك ..

أما من يتصدر بلا إذن أو إشارة من شيخه أو دون بصيرة أو علم أو دراية فذلك يندرج تحت قول الشيخ:

«ومن تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه».

٢٥ - قيام الليل - قيام الليل معراج الواصلين إلى ملكوت رب العالمين وقد قيل فى ذلك:

وما الليل إلا للمجــد مطيّـــة ... وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

وقد قال أهل الطريق فى ذلك، موجهين كلامهم للمريد السالك:

تآنـــس بذكـــر اللـــه والليـــل عاكـــر ... فما خـــاب عبـد وهـو لله ذاكر

وكــن عاشقــاً للــه فى الحـب جهـرة	**فإن الذى تهواه فى القلب حاضر**
وجـافى منـام العـين تحـظى بقربـه	**فما ذاق طعم الوصـل إلا المهاجر**
واعلـم بـأن اللــه فى كـل ليلـة	**ينادى: أنـا التـواب هل من يبادر**
ايا غافـلاً بالنـوم فى غسـق الدجـى	**تيقـظ يفق سمـع لديـك وناظر**
عسى أن ترى الندماء فى خيمـة الرضـا	**وتشرب مع العشاق والكأس دائـر**
وتسقى نسيـم الروض فى كـل لحظـة	**ألا إنــه نشـر على القـوم عاجـر**
غذاؤهـم التسبيـح والزهـد والتـقى	**مع القوم حدَ السيـر إن كت تحذر**

٢٦ - **تدبر القرآن** - ينتقل المريد من مرحلة تلاوة القرآن، إلى مرحلة جديدة يتعين عليه فيها أن يتدبر القرآن، فيتفكر بذلك فى آلاء الله ونعمه التى لا تحصى، وهذا سبيل إلى معرفة الحق جل شأنه ..

وأهل الله من الصالحين يرون معانى القرآن بقلوبهم وبصائرهم ويرونهم نوراً خالصاً .. والدليل على ذلك الوقف الذى يروى بين كل من العارف بالله سيدى على الخواص، والذى كان أميا، لا يعرف القراءة والكتابة، وبين سيدى عبد الوهاب الشعرانى الذى كان أحد شيوخ الأزهر حين طلب الخواص من الشعرانى أن يتلو عليه بعضاً من آيات الله، فلما كان مستغرقاً فى التلاوة لحن فى كلمة تخفى على غير حافظى الكتاب الكريم فأشار إليه الخواص قائلاً: قف يا عبد الوهاب فإنك أخطأت، قال الشعرانى: وما أدراك سيدى أننى أخطأت؟ قال الخواص: والله إنى كنت أرى للقرآن نوراً يخرج من فمك فلما انقطع النور أدركت أنك أخطأت ..

وهكذا يتحقق أهل التحقيق والمعرفة بالله بأنهم يرون بالبصائر ما تعجز عن تبينه الأبصار، وذلك قوله تعالى: ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ (الحج - ٤٦). والصالحون العارفون يطلبون المدد من ربهم بحق القرآن وحق محمد ﷺ، فانظر إلى قائلهم وهو يقول:

يا رب بالقـرآن واسـم محمـد	**تغفر ذنوبى. أنت للذنب غافر**
فما سوى أبواب عفوك أرتجى	**يــا أول الأشـيا وأنـت الآخـر**

٢٧ - **ترك أهل الغفلة** - أهل الغفلة هم الذين يبتعدون عن ساحة الرضوان والقبول، كل أحوالهم ظلمة فى قلوبهم وبصائرهم، وعلى أبصارهم غشاوة وهم الذين ينكرون الحق ويعتقدون من غفلتهم أنه باطل، وهؤلاء ومن هم على شاكلتهم لا يصح الاختلاط بهم، فقد قيل: «صحبة الغافل سم قاتل»

ولا يصح للسالك فى الطريق أن يعرض حاله أو شكواه على هؤلاء الغافلين لأنهم عصاة، لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا يؤمنون بالله بل هم أولياء الشيطان، وقد قيل فى ذلك:

« من اشتكى همه لمؤمن فكأنما اشتكى لله، ومن اشتكى همه لفاسق فكأنما اشتكى الله ».

والغافل عن الله، هو جليس السوء، لا يدرك على الله مقاله وإنما ينبئ عنه حاله، وهذا وغيره ينطبق عليهم حديث المصطفى ﷺ حين قال:

« مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل عامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك « يهدى إليك » أو تبتاع منه، أو تشم منه رائحة ذكية، أما نافخ الكير، إما أن يؤذيك، وإما أن تشم منه رائحة كريهة، وإما أن يحرق ثيابك ».

ولذلك يوجه سيدى إبراهيم سلامة أحبابه فى علاقاتهم إلى ما يلى:

« تواثقوا أيها الأحباب على محبة الله وطاعته، وتعاونوا على البر والتقوى فمن غفل فذكروه، ومن ذكر أعينوه، ومن جهل فعلموه، ومن قصر طالبوه، ومن أذنب فإلى التوبة أرشدوه، ومن بدا منه وصف ذميم طهروه ».

٢٨- البشاشة - البشاشة من الصفات المطلوبة فى المؤمن المريد، وذلك لقول الحبيب المصطفى ﷺ: « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ».

فإذا لقى الأخ أخاه بوجه طلق بارك الله لقاءهما وأنزل عليهما رحمته، وصحبتهم الملائكة وبشرتهم بالقرب والوصول تكرماً من الحق سبحانه وتعالى .. فالمؤمن الصادق لا يتجهم فى وجه أحد ..وقد قيل:

« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم ».

والكلمة الطيبة اللازمة للبشاشة والابتسامة تفتح أبواب الخير أمام المحبين

فالكلمة الطيبة صدقة مثلما عدت الابتسامة فى وجه الأخ صدقة، فإن اجتمعت البشاشة وحسن اللقاء والوفادة مع الكلمة الطيبة السمحة تحققت الأخوة وزالت أسباب التنافر، وحل محلها الصفاء.

يقول الله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت - ٣٤).

ويقول الشاعر فى ذلك:

لا خيل عندك ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

٢٩ - الجوع - إن شهوة البطن تفوق فى بعض الأحيان عند بعض الناس شهوة الفرج والبطنة وكثرة الأكل تعوق المريد عن العبادة، فيقول الإمام البوصيري عن النفس:

كم حسنت لذة للمرء قاتلة　　　من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه　　　وإن هى استحلت المرعى فلا تسم

فالشراهة والنهم وحب الطعام من صفات النفس السيئة، وقد أرشدنا الحبيب المصطفى ﷺ إلى مقاومة نزوع النفس إلى حب المأكل والمشرب فقال:

« إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش »

وقد أثر عنه ﷺ أنه كان يشد حجراً على بطنه لمنعها من طلب الطعام ..

وقد قال حينما عرض عليه الطبيب كأحد هدايا المقوقس عظيم القبط فى مصر: « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع »

وقال أيضاً: « يكفى ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه ».

وقال فى هذا المعنى أيضاً: « ما ملأ ابن آدم وعاء قط شر من بطنه »

٣٠- النصيحة - حين يصل المريد السالك إلى درجة معينة ومرتبة التحقق فى الطريق، عليه بأن يسدى النصيحة لجميع إخوانه، عملا بقوله ﷺ: « الدين النصيحة » قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: « لله ولرسوله وللمؤمنين وولاة أمور المسلمين وعامتهم ».

والنصيحة هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو الأمر الذى تميزت أمة الإسلام على غيرها من الأمم، وذلك لقوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران - ١١٠).

وقد قال الإمام سيدى سلامة الراضى: « النصح خير ما يباع ويوهب ».

ولا يتردد أحد عن بذل النصيحة، خوفاً من عدم تجاوب المنصوح، فعليك إذن النصيحة ولا عليك أن تقبل:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب، فإن أثمرت النصيحة كان لك بها أجر، وإن لم تثمر كان لك أجر النصيحة والنية، ولو أنصف الناصح لبدأ ينصح نفسه، حتى إذا فرغ منها نصح غيره:

ألا أيها الرجل المعلم غيره　　　هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى　　　كيما يصح به، وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى	بالقول منك، وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

٣١- حسنُ الظن - من أوجب الصفات العلية عند المريد حسن الظن بالله وبعباد الله، ومن أمثلة حسن الظن بالله، وهو الذى قال فى الحديث القدسى: {أنا عند ظن عبدى بى، إن خيرا فخير، وإن شراً فشر}، ما وقع فى زمن المصطفى ﷺ حينما كان يطوف بالبيت الحرام، فرأى أمامه أعرابياً يطوف بالبيت ولا يتكلم ولا يدعو بشئ أثناء الطواف إلا بترديد كلمة «يا كريم» وكان الأعرابى لا يعرف النبى ﷺ فلم يسبق له أن رآه فاقترب منه ﷺ وسأله: لماذا لا تقول كلاماً غير «يا كريم»؟ فقال الأعرابى: لأنى أطمع فى كرمه، فنزل جبريل عليه السلام، وقال للنبى ﷺ، قُل لصاحبك لا يطمعه فينا كرمنا وسعة فضلنا، فإننا سنحاسبه عن كل شئ، فرد الأعرابى عليه ﷺ حينما أخبره بذلك قائلا:

أو مُحاسبنى ربك، قال: نعم .. قال: وعزته وجلاله لو حاسبنى لأحاسبنه، فقال ﷺ: عرفنا كيف يحاسبك ربك، فقل لى كيف تحاسب أنت ربك؟ قال الأعرابى:

لو حاسبنى على فقرى لحاسبته على غناه، ولو حاسبنى على ضعفى لحاسبته على قوته، ولو حاسبنى على جهلى لحاسبته على علمه ..

فنزل جبريل عليه السلام وقال للمصطفى ﷺ: السلام يقرؤك السلام ويقول لك، قل لصاحبك، لا يحاسبنا ولا نحاسبه، وبشره بأنه سيكون رفيقك فى الجنة بحسن ظنه فى ربه..

وعلى العكس من ذلك يأتى سوء الظن متمثلا فى قصة موسى عليه السلام حينما رأى رجلا مقطوع اليدين والرجلين تحت شجرة رمان فى مكان منقطع من الفلاة فى طريقه إلى ميقات ربه، ورأى غرابا وقف على شجرة الرمان وألقى فحلا من الرمان على الأرض فانكسر عدة أجزاء، وجاء سرب من النمل وتعاون على نقل حبات الرمان إلى فم هذا الرجل، فكان إذا جاءته حبة يحمد الله ويشكره وهو دائم التسبيح والحمد والتكبير والتهليل، فغبطه موسى، وكلم ربه فى الميقات عنه، فنودى: يا موسى صاحبك فى النار، فتعجب موسى من ذلك، فقال له الحق سبحانه وتعالى: لقد أرسلنا لهذا الرجل جنوداً على شكل غراب ألقى فحل الرمان على الأرض، ونملاً تعاون فى إيصال حبات الرمان إلى فمه، وكان الرجل فى نفسه يسئ الظن فى النمل، ويقول: إنه لم يحضر له حبات الرمان إلا بعد الحصول على رحيقها، فسيدخل الرجل النار بسوء ظنه فى النمل ..

ويقول سيدى سلامة الراضى :

« من كان من الشاذلية، وتحقق بحسن النية، فهمته عليه، وحالته مرضية ونفسه قدسية، راقية عن العلل الدنية، ولا ينقل قدمه إلا فى رضى الحضرة الإلهية، ونام على هذه الأوصاف الشريفة السنية، فاز بواجهة التجليات الرحمانية والفيوضات الجمالية الجلالية.

هكذا علمنا أهمية حسن الظن فى حياة المريد، ولابد لنا جميعاً أن نتحلى بقدر كبير من حسن الظن فى الله وفى خلق الله جميعاً.

٣٢- خدمة الإخوان - الأخوة فى الله تقتضى واجبات على المتآخين والمتحابين فى الله، ويتعين على السالك في طريق الله أن يسعى فى خدمة إخوانه، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة - ٢).

وقول الحبيب المصطفى ﷺ:

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ».

وقال أهل الطريق فى ذلك: « من لم يكن لإخوانه راحة، فالراحة منه راحة »

ويذهب الإمام على كرم الله وجهه إلى أبعد ذلك فى تعريف الأخ الحقيقى، فنجده يقول: « أخاك الحق من كان معك، وضر نفسه لينفعك، ومن إذا ريب الزمان صدعك، شتت نفسه ليجمعك ».

فمن فاز بخدمة الإخوان وسعى فى حاجاتهم، كتب له القبول.

٣٣- التحمُّل - التحمل هو الصبر على الأذى، وتقبل المكاره بصدر رحب ويرى المريد كل شئ من الله، ويستتبع هذا التحمل عدم الشكوى مهما كان ما يلاقيه شديداً، وقد قالوا فى ذلك:

يـــا أيهـــا العانـــى بنــــا ... يـــا مــــن يــــنادى باسمــنا
أنـــت القتيـــل بحبنــــا ... تلـــق الحيـــاة بودنــــا
إصبـــر علـــى مـــر الهـــوى ... والـــذل فيـــنا والجـــوى
تلـــق الفـــؤاد بنـــا ارتوى ... وتكـــون مـــن أحبابـــنا
إيـــاك تشكـــو يـــا فتى ... بـــل كـــن لديـــنا صامتـــا
عـــن غيرنـــا كـــن مثتـــا ... تحـــظى بـــنا وبودنـــا
كـــن للحبيـــب مسلمـــا ... والـــق اختـــيارك عنـــدنـا
واحـــرص علـــى وقـــت الصفـــا ... واحـــذر وقـــت مـــن الجفـــا

٣٤- سلامةُ الصَّدْر - من الشروط الهامة المطلوب توافرها فى المريد الذى يسعى إلى معرفة ربه وبالتالى نَيل رضاه، ألا يكون عنده كدر فى صدره وقلبه حتى تكون مرآته ساطعة، وقادرة فى نفس الوقت على تلقى التجليات والنفحات الإلهية، والفيوضات الربانية، فلا يحمل فى صدره حقداً ولا حسداً ولا كراهية، وذلك لقول المصطفى ﷺ لصحابته: «لا تبلغونى عن أحبابى إلا كل ما يسرنى، فإنى أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر».

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ فإنها لا تعْمى الأبْصارُ ولكن تعْمى القُلُوبُ الّتي في الصُّدُور ﴾ (الحج - ٤٦).

ومما يروى أن الحبيب المصطفى ﷺ قال يوماً لأصحابه:

«سيدخل من هذا الباب رجلٌ من أهل الجنة .. فدخل واحد من الصحابة لا يتميز عن القوم بصوم ولا صلاةٍ ولا كثرةِ نوافل ولا نسك، فتعجبت الصحابة من ذلك، ثم تكرر هذا المشهد ثلاث مرات، والداخل من الباب هو نفس الرجل ..

فأراد عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن يتحرى بنفسه أمر الرجل ويتأكد من مؤهلاته التى جعلته مبشراً بالجنة ثلاث مرات، فأقبل على الرجل فى أدب وأخبره أنه حدث بينه وبين أبيه عمر رضي الله عنه ما يدعوه لترك البيت والمبيت خارجه ثلاث ليالٍ، فرحب به الرجل، ورافق عبد الله بن عمر الرجل ثلاث ليالٍ متتالية لم يلمس منه زيادةً عبادة أو نسك..

فقال له أصدقنى القول يا عماه، لقد بشرك رسول الله ﷺ بالجنة فبأى شئ نلت تلك المنزلة؟

فتبسم الرجل وقال: والله يا بنى إنى لأصلى كما يصلى الناس وأصوم وأزكى وأحج كما يفعلون، ولكنى إذا أويت إلى فراشى كل ليلة أنام وليس فى قلبى ذرة حقد لأحد ..

وقد قال ﷺ: «والله ما زاد عنكم أبو بكر بصلاةٍ أو صومٍ أو زكاة وإنما بشئ وقر فى قلبه وصدره».

ولذلك استحق أبو بكر أن يقول عنه المصطفى ﷺ:

«لو وزن إيمان الأمة وإيمان أبى بكر، لرجح إيمان أبى بكر».

يقول الإمام سيدى سلامة الراضى :

«إذا حسنت سريرتكم، حسنت سيرتكم، وإذا أشرق النور فى قلوبكم اتسعت صدوركم، فلا تغضبون ولا تتكدرون».

وسلامة الصدر من علامات الصفاء ومنع الأكدار، وقد قالوا فى تعريف من انتسب إلى الصوفية:

تنــازع النــاس فى الصــوفى واختلفوا فيه وظنّوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسـم غيـر فتى صافى فصوفى. حتـى لقـب الصوفى

٣٥- الوفاء بالأخوة - الوفاء فى الدنيا من الصفات النادرة الوجود بين الناس، ولذا قالوا عن الأشياء بعيدة المنال والتحقيق وحصروها فى ثلاثة أشياء وهى:

«الغول، والعنقاء، والخل الوفى».

وتقضى الأخوة فى الله على المحب بأن يكون وفياً لإخوانه، يصل من قطعه ويعطى من منعه، ويقضى الهوى على المحب بالصبر وعدم الضجر، ويرى الابتلاء فى حبهم ومصاحبتهم نعمة ..

وكــل بــلاء فى رضاهم غنيمة وكل عذاب فى معيتهم عــذب

ويظل المحب على عهده ووفائه مع إخوانه ويظل على أعتابهم وإن طردوه أبدى ذلة ومرغ خده على الثرى.

وإن طردونى كنت عبداً لعبدهـم وإن أبعدونى زدت فى الحب والود
ولي عندهم هجر كما حكم الهوى وهـم أهل فضل لى ومنزلـة عندى

وهو فى كل الأحوال راض بأحكامهم، لا يبرح عن بابهم، يرى الذل عزا، ويرى العذاب نعيماً.

ومــن لــم يذق حلــو الغــرام كمُرّه

فما ذاق من طعم الغرام سوى الدعوى

٣٦- الشفقة على خلق الله - يخاطب الحق سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله: ﴿لقدْ جاءكُمْ رسُولٌ منْ أنفُسكُمْ عزيزٌ عليْه ما عنتُّمْ حريصٌ عليْكُم بالْمُؤْمنين رءُوفٌ رحيمٌ﴾ (التوبة - ١٢٨). ويخاطب نبيه المصطفى ﷺ بقوله: ﴿ولوْ كُنت فظًا غليظ القلْب لانفضُّوا منْ حوْلك﴾ (آل عمران - ١٥٩).

والشفقة على خَلق الله من خُلُق المؤمنين، وخلق الله ليسوا البشر فقط وإنما يشملون كل الخلائق والموجودات، وهى واجبة فى الحيوان وغيره من المخلوقات الأخرى سلباً أو إيجابا ..

ويتضح ذلك من قوله ﷺ:

« عذبت امرأة في هرة، حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها حتى تأكل من خشاش الأرض ».

وقوله ﷺ :

« إن لكم في كل ذات نفس رطب لأجرا »

وقوله ﷺ كذلك :

« بينما رجل في فلاة وقد بلغ به العطش مبلغه حتى كاد يهلك، فوجد بئراً به ماء، فنزل البئر فشرب وأرتوى وحمد الله على نعمته، ثم رأى كلباً قد أقبل يلهث من شدة العطش، فقال في نفسه: لقد نال هذا الكلب من العطش ما نالني، فنزل البئر فملأ خفه بالماء، ثم سقى الكلب حتى ارتوى، فشكر الله له ذلك » ..

وإن من أوجب الواجبات على المريد السالك أن يتحلى بأكبر قدر ممكن من الشفقة على خلق الله، يحمل الضعيف، ويساعد العاجز، ويعين المحتاج الذي يلجأ إليه ..

وقد قال ﷺ:

« من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ».

٣٧- عدم الانتصار للنفس - الانتصار للنفس عيب كبير في المريد الذي يفترض أن أول مراتب سلوكه بيع النفس، ومن النفس لصاحبها فلا يحق له أن يطالب في استردادها، بل يترك أمر الدفاع لمالكها ..

فإن الإنسان الذي يملك نفسه عند الغضب شجاع لا تقوى عليه نفسه ويجب ألا يحول الغضب الإنسان عن الحق، فإن الذي يقول الحق عند الغضب لا يندم عند زوال الغضب، ويكون الخطأ بعيداً عنه، لأن نفسه لا تطغى ويتكلم جزافاً ..

يقول المصطفى ﷺ:

« ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب »

ومن وصايا الإمام سيدي سلامة الراضي رضي الله عنه

« إذا شتمكم أحد فامدحوه تسدوا عليه باب الشتم وتجلبوه لمحبة، فإذا قابلتم الشر بمثله تكونون قد فتحتم له باب الزيادة في الشتم والعداوة، لأنكم نازلتموه في ميدانه ولا يحب أحد أن يكون مغلوباً ».

« وإذا عابكم أحد ونقصكم ونسب لكم عيوباً فلا تتكدروا قبل أن تتفكروا هل فيكم شئ من العيوب التي ذكرها، فإن وجدتم فيها شيئاً من هذه العيوب علمتم أنه

صادق، والعاقل لا يتكدر من الصدق، واجتهدتم فى التخلى عن العيوب، وإن لم تجدوا فى أنفسكم شيئاً منها، فاحمدوا الله على أنه قد عافاكم من هذه العيوب، وكونوا من أهل السماح الذين جعلهم الله رحمة فى الأرض».

ويروى أن الحبيب المصطفى ﷺ كان فى مجلسه، فتطاول أعرابى على أبى بكر الصديق رضي الله عنه وأخذ يسبه، وأبو بكر صامت لا يرد على الرجل، ورسول الله ﷺ يبتسم راضياً، فلما زاد الرجل فى السب ورأى الصديق أن مثل هذا الخلق لا يليق فى وجوده ﷺ رد على الرجل وأشار إليه بالسكوت، فغضب المصطفى ﷺ، وقال للصديق:

«كنت أبتسم راضياً حين كان يسبك الرجل لأن الله سبحانه وتعالى فيض ملكاً كريماً يرد عليه بدلاً منك، وكنت سعيداً جداً بوجود الملك الكريم فى مجلسى وبين أصحابى، فلما رددت على الرجل، انصرف الملك وحضر الشيطان، فغضبت لدخول الشيطان إلى مجلسى، ولوجوده بين أصحابى .. فاعتذر أبو بكر للنبى ﷺ وأبدى ندمه على ما بدر منه وتسبب فى صرف الملك وحضور الشيطان، وعلم من ذلك أنه لا يليق بالمؤمنين الانتصار لنفسه لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج - ٣٨).

٣٨- خرق العادة - مادام السالك قد عرف ربه فإنه أصبح فى مقام الطاعة، وبفعل النوافل صار الله سمعه وبصره ويده، وبالطاعة صار ربانياً يقول للشئ كن فيكون، وهو فى هذه الحالة معرض لظهور الكرامة على يديه أو من أجله.

ومن أراد شيئاً فأعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون هذا العبد وجيهاً عند الله تعالى، سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة، بل قد يكون ذلك إكراماً للعبد، وقد يكون استدراجاً له، وصاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد، وحذره من قهر الله أقوى، فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج، وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذى يظهر عليه، ويظن أنه إنما وجد هذه الكرامة لأنه كان مستحقا لها، وحينئذ يستحقر غيره ويتكبر عليه، ويحصل له أمن من مكر الله وعذابه ولا يخاف سوء العاقبة، وإذا ظهر شئ من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجاً لا كرامة، فمن أحب المولى لم يفرح بغير المولى ولم يستأنس بغير المولى وقد تكون هذه الكرامات:

١- إجابة دعوة.
٢- إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر.
٣- حصول ماء فى زمان عطش.
٤- تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة.
٥- تخلص من عدو.
٦- سماع خطاب من هاتف.

ومن أجل الكرامات أن تكون للأولياء:

١ - دوان التوفيق للطاعات.

٢ - البعد عن فعل المعاصى والمنكرات.

وليس فى قضية العقل ببعيد أن يكرم الله تعالى ولياً من أوليائه بالكرامة ويجريها على يديه، فإن كل كرامة سينالها الولى أو تظهر على يديه فإن شرفها راجع للمصطفى ﷺ، فإنه باتباعه له ووقوفه عند حدوده صح له ذلك الأمر.

٣٩- الإعراض عن الخَلْق - إن السالك الذى حصلت له المعرفة كلما اقترب من الخلق ابتعد عن الحق، ولذلك يلزم له أن يعرض عن الخلق، فيما يؤدونه بما لا يوافق كمال الحضرة الإلهية، فينأى من مجالستهم التى تحتوى على اللهو واللغو والغيبة والنميمة، وليذكر قول الحق سبحانه وتعالى فى حق المنافقين:

﴿ فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (النساء - ١٤٠).

فإذا رأى السالك من يطيع الشيطان ويفعل أفعاله وجب عليه ألا يقرب منه وألا يجالسه لأنه شيطان، فمن تقرب منه صار شيطاناً مثله.

وقد قيل: « صحبة الغافل سمٌ قاتل » ..

والإعراض عن الخلق، يقابله بالضرورة، الإقبال على الحق، والذى يقبل على مولاه لابد أن يكون مؤهلا لذلك لينال شرف الصحبة والمعية، كيف لا، وقد قال الحق سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى: « أنا جليس من ذكرني ».

ولا شك أن من كان مع الله كان الله معه، وجعله يرى كل خير، وبجميل الألحان أسمعه، وفى كرمه الواسع العظيم أطمعه، ووعداً عليه أنه يوم القيامة على الصالحين يجمعه ..

وعلى السالك أن يعرض عن الخلق فيما يغضب الله تعالى: لقول الحبيب المصطفى ﷺ: « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »

٤٠- التواضع - التواضع فى الإنسان زينة، فهو لا يرى نفسه على أحد، أو فوق أحد، وقد قالوا: « من رأى نفسه على الكلب، فالكلب أفضل منه ».

والتواضع لا يكون إلا عن رفعة، فلا يليق بالوضيع أن يتواضع، أما الرفيع فإنه يتنازل عن كبريائه ورفعته، وقد قيل: « من تواضع لله رفعه ».

ومن أقوال العارفين رضى الله عنهم: « إدفن نفسك أرضا أرضا، تعلو سماء سماء ».

ويقول الإمام سيدى سلامة الراضى رضي الله عنه

« تواضعكم لربكم يظهر فى ثيابكم، لأنها صورة ما انطبع فى نفوسكم، فالبسوا

لباس المساكين، فإن النفس تضطر إلى التخلق بالسكنة، لأنها كانت تخاف أن تظهر بمظهر المساكين، فإذا رأت أنها ظهرت به تكرهه، فإذا داومت على ذلك ألفته ورضيت به فصار لها خُلُقاً.

كونوا مساكين يعطف عليكم مولاكم، فإنه جل شأنه يستحى أن يرى مسكيناً ويحرمه، لأن خلقه الكرم والشفقة والحنان».

٤١- العفو - العفو من شيم الكرام ..

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فمنْ عفا وأصْلح فأجْرُهُ على الله ﴾ (الشورى- ٤٠).

فالظالم هو الذى لا يعفو، كم يتضح من الآية الكريمة، والعفو أجره عظيم، لأن الأجر على العفو يأتى من الله مباشرة، وما أجمل الأجر الذى يعطيه الحق سبحانه وتعالى.

ويقول تعالى: ﴿ وأن تعْفُوا أقْربُ للتّقْوىٰ ولا تنسوُا الْفضْل بيْنكُمْ إنّ الله بما تعْملُون بصيرٌ ﴾ (البقرة - ٢٣٧).

فمن كان تقياً فليكن عفوا، والعفو فى أجمل صوره يكون عند المقدرة .. ولقد تجلى هذا العفو من الحبيب المصطفى ﷺ عندما فتح الله له مكة ودخلها منتصراً غالباً: ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟

قالوا: خيراً .. أخ كريم، وابن أخ كريم ..

فقال ﷺ: «أذهبوا فأنتم الطلقاء».

وهكذا كان خلقه ﷺ العفو والرحمة، وذلك قوله تعالى: ﴿ فبما رحْمةٍ من الله لنت لهُمْ ولوْ كُنت فظًا غليظ الْقلْب لانفضُوا منْ حوْلك فاعْفُ عنْهُمْ واسْتغْفرْ لهُمْ وشاورْهُمْ في الأمْر فإذا عزمْت فتوكّلْ على الله إنّ الله يُحبُّ الْمُتوكّلين ﴾ (آل عمران - ١٥٩).

٤٢- الحلم - الحلم زينة الإنسن، يزيده وقاراً، ويجعله عند الله مقبولاً، وعند الناس محبوباً ..

وقد قال ﷺ: «ما دخل الحلم فى شئ إلا زانه، وما تخلى عن شئ إلا شانه».

وقد قيل: «الحلم سيد الأخلاق».

ولابد للسالك إلى الله أن يتحلى بعدد كبير من الحلم.

٤٣- الصفا - نعرف أن الصفاء صفة من كان قلبه متعلقا بالحق سبحانه وتعالى، والصوفية هم أهل الصفاء، فمن سلك طريقهم فعليه بالتحلى بالصفاء حتى يكون أهلاً

للتعرض للنفحات الإلهية.

وأهل الصفا لهم وصف خاص وخلق خاص، وشراب خاص يتضح من قول أحد العارفين:

إشرب بكأس أهل الصفا خمر المسرات ... واسكر وغب فى شهود الوصف والذات

فالخمر نوعان: خمر فاض عن مدد ... من إسم قيومها أصل البدايات

قام الوجود به يا صاح من عدم ... بحكمة الصنع فافهم للإرشادات

وخمرة عتقت من يوم قال لنا ... ألست ربكمو عند الشهادات

لبت بقول: بلى كاساتها طربا ... من عذب منطقها وقت الإجابات

من ذاقها تاه سكرا فى بدايتها ... وبعد يدعى بسلطان الولايات

٤٤- **المواساة** - ما أحوج الإنسان الذى يتعرض لابتلاء أو مصيبة فى أهله أو ماله أو ولده لمن يواسيه ويخفف عنه معصية ويذكره بلطف الله ورحمته بعباده، وأن جزاء الصابرين عظيم..

وذلك قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة - ٢).

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

ومن أمثلة المواساة، ما روى عن النبى ﷺ حين استشهد جعفر بن أبى طالب، فقد قال ﷺ لأهل بيته:

«أعدوا لآل جعفر طعاماً، فقد ألم بهم ما أهمهم وأشغلهم»..

وللمواساة أثر عظيم فى تخفيف المصاب، وهناك أشكال مختلفة للمواساة يذكر منها على سبيل المثال:

١- إذا أصيب إنسان فى ماله، لابد أن يسارع إخوانه وجيرانه وأهله لجمع قدر من المال، يساعده على اجتياز محنته، مما يجعله يحس أنه ليس وحده فى المجتمع، وهذا يدفعه بالتالى لرد الجميل فى أقرب فرصة تحتاج الناس فيها للمواساة.

٢- تقديم الطعام لأهل الميت وضيوفهم مما يسهل على أهل المصاب أحزانهم ويجعلهم يتفرغون لما ألم بهم كما ورد عنه ﷺ..

٣- أذا أصيب أسرة فى فقد عائلها، يقوم الإخوان والجيران برعاية أطفاله فترة الحداد، بل

يتجاوز ذلك إلى ما بعد ذلك برعاية اليتيم وكفالته وهذه مواساة مباشرة ذات أثر فعال.

٤- المواساة بالكلمة الطيبة، فالكلمة الطيبة صدقة ..

وقد قيل: «من اشتكى همه لمؤمن فكأنما اشتكى لله، ومن اشتكى همه لفاسق فكأنما اشتكى الله» .

٤٥- الإيثار - تجلى الإيثار في أجمل مظاهره، بعد هجرته * من مكة إلى المدينة، فلما آخى بين المهاجرين والأنصار، جعل الأنصارى يقسم ماله وأملاكه ومسكنه مع أخيه المهاجر، وكانت هذه الخطوة من أهم دعائم قيام الدولة الإسلامية الفتية. فقد ساهم خلق الإيثار فى تقوية أركان الدولة، وقد وصل الإيثار مداه فى إحدى الغزوات، فقد كان أحد المقاتلين المسلمين يحمل معه شربة ماء تكاد تكفيه وحده، فسمع بجواره أحد الجرحى يئن ويحتضر ويطلب شربة ماء فأعطاها له، وفى نفس الوقت سمع هذا الجريح من يئن جواره ويطلب الماء، فأعطاه إياه، فقد تم تداول شربة الماء بين أكثر من عشرين من جرحى المسلمين فى ذلك الوقت، فلا يشربها أحدهم بل يؤثر أخاه على نفسه، حتى استشهدوا جميعاً وشربة الماء كما هى ..

ومن مظاهر الإيثار، إيثار المصلحة العامة وتقديمها على المصالح الخاصة ، فهذا القائد العظيم خالد بن الوليد، يحارب الروم ويحرز انتصارات تلو الأخرى، ويكاد يفتح بلاد الروم كلها، فيأتيه خطاب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - يأمره فيه بالتنازل عن القيادة لأبى عبيدة عامر الجراح فيسلمها له، إطاعة لولى الأمر، ثم إيثاراً لمصلحة الإسلام والمسلمين على مصلحته الشخصية كقائد، وقال مقولته الشهيرة:

«والله إنى لا أحارب من أجل عمر بن الخطاب أو غيره، ولكنى أحارب من أجل الله ولكى تكون كلمة الله هى العليا، ولا يضيرنى فى شئ أن أكون قائداً أو جندياً، المهم أننى لم أنح عن مهمتى المقدسة وهى شرف قتال الأعداء».

ولا يفوتنا التضحية والإيثار فى المأكل والملبس والذى قال فيه تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾. (الإنسان - ٩).

٤٦- الفتوة - الفتوة هى القوة فى الحق، وذلك قوله *: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير».

ولابد للسالك أن يكون قوياً ذا مروءة وشهامة ..

ومن أمثلة هذه الفتوة:

أ- حينما أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب، طلبا من النبى (: الخروج فى موكب يضم الداخلين فى الإسلام أمام قريش، وخرج المسلمون فى صفين يتقدم الكل الحبيب المصطفى (، وعلى رأس كل صف كل من حمزة، وعمر، ومنذ ذلك اليوم بدأ الكفار يخشون من المسلمين.

ب- الفتى القرشى الشجاع على بن أبى طالب تتجلى فتوته فى النوم فى فراش المصطفى ﷺ ليلة الهجرة غير عابئ بالكفار.

جـ- فى غزواته ﷺ كان يطلب مبارزاً يبارز أحد الكفار، فيخرج العشرات من الشباب المسلمين للمبارزة ..

ء- من أمثلة الفتوة رغبة الفتيان الصغار فى المشاركة فى الغزوات، ويكفى أن النبى ﷺ أسند قيادة أكبر غزوة من الروم لأسامة بن زيد الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، والذى أنفذ جيشه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة المصطفى ﷺ.

٤٧- حفظ العهد - العهد هو التزام قربة دينية، كالتزام الأنصار رضى الله عنهم بحماية النبى ﷺ مما يحمون منه أولادهم ونساءهم.

والعهد قسمان: أ- قسم تبرك، وهذا يجوز تعدده.

ب- قسم سلوك، وهذا لا يصح بعده الأخذ عن شيخ آخر.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ (النحل - ٩١).

وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح - ١٠).

ولابد للسالك فى طريق الله كى يصح سلوكه وسيره فى الطريق أن يحفظ العهد .. وتتضمن صيغة العهد قول الشيخ للمريد:

« أوصيكم وإياى بتقوى الله وطاعته وأحذركم وإياى من عصيانه ومخالفته واعلموا أنكم قد عاهدتم الله ورسوله وعاهدتم شيخكم عهداً صحيحاً شرعياً وجعلتموه نذرا على أنفسكم لا ينفك بعد ذلك أبداً، فعليكم بالوفاء بما عاهدتم وبما نذرتم لله تعالى تفوزوا وتفلحوا ويرضى الله عنكم واعلموا أن هذا عهد الله وميثاقه، هذه أمانة الله فى أعناقكم، يسألكم الله عنها بين يديه ».

٤٨- المحبة - قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (المائدة - ٥٤).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه».

فالمحبة حال شريفة شهد الحق سبحانه وتعالى بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، والمحبة كما عرفها العلماء هى الإرادة.

وقد قيل: «إن المحبة نار فى القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب».

وقيل أيضا: «المحبة بذل المجهود، والمحبوب يفعل ما يشاء».

وقال ﷺ: «المرء مع من أحب».

والمحبة فى الله تفوق كل أنواع المحبة، لأنها خالصة لوجه الله الكريم لا ينازعه فيها أحد، ولرفعة شأن المحبة عند الله تعالى أنه سمى المصطفى ﷺ بالحبيب، وهذا خير دليل على عظم شأن المحبة.

٤٩- الذكر - يأتى الذكر فى مقدمة الأعمال المقربة إلى الحضرة الإلهية ويكفى أن الحق سبحانه وتعالى قال فيه: ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (الرعد - ٢٨).

وقال جل شأنه فى الحديث القدسى: «أنا جليس من ذكرنى، فمن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسي، ومن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير من ملئه».

وعن أنس ﷺ أن رسول ﷺالله قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير من إعطاء الذهب والفضة، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟.. قالوا: بلى يا رسول الله..

قال: «ذكر الله تعالى».

والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر..

والذكر على ضربين: ذكر اللسان، وذكر القلب..

أ- فذكر اللسان يصل به العبد إلى استدامة ذكر القلب..

ب- والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه.

والذكر منشور الولاية، فمن وقف للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

وفى الأخبار أن جبريل ﷺ قال لرسول الله ﷺ «إن الله تعالى يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط من الأمم .. فقال ﷺ: وما ذاك يا جبريل؟ قال: قوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ (البقرة - ١٥٢).

لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة ..

وقد قيل: إن ملك الموت يستأذن الذاكر قبل قبض روحه.

ويقول العارفون عن الذكر:

أذكرها وأنت ماشى ... لا تلهيك أمثالا

واحى قلبك القاسى ... بذكر «الجلالة»

ويقولون أيضاً:

تأنس بذكر الله والليل عاكر ... فما خاب عبد كان لله ذاكر

وكن عاشقاً لله فى الحب جهرة ... فإن الذى تهواه فى القلب حاضر

وجافى منام العين تحظى بقربه ... فما ذاق طعم الوصل إلا المهاجر

وتسلك طريقاً ما طواها سوى ... الذى على الأمن والإيمان لله ذاكر

غذاؤهم التسبيح والزهد والتقى ... مع القوم جد السير إن كنت تحذر

وللذكر حلاوة من ذاقها دخل الحضرة وكان من أهلها، ولكن بعض السالكين يذكرون ومازالت لديهم الغفلة، فإذا لم يذوقوا حلاوة الذكر ينتكسون ويتوقفون عن الذكر، وهؤلاء يقول لهم سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضي الله عنه:

«لا تترك الذكر لغفلتك فيه، فربما انتقلت من ذكر بغفلة إلى ذكر بحضور، ومن ذكر إلى غيبة عما سوى الذكر».

٥٠- الفكر - التفكر فى آلاء الله سبحانه وتعالى وفى مخلوقاته من أكبر العوامل التى تقرب العبد من ربه، فهى سبيله إلى معرفة ربه يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ۝ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران - ١٩٠، ١٩١).

ويقول جل شأنه: ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ۝ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ (الروم - ٨، ٩).

تلك الآيات وغيرها كثير تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر، فمعرفة آثار صنع الخالق تؤدى لمعرفة الخلق.

يقول الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى: {كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرب فخلقت الخلق، فبى عرفونى}.

٥١- محاسبة النفس - إن النفس فى أدنى مراتبها تسمى «نفساً أمارة» فإذا ترقت فإنها تصير «النفس اللوامة» وهى التى تحاسب على كل شئ وتقود صاحبها إلى معرفة عيوبه وأخطائه وتدعوه إلى التوبة.

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».

ويقول جل شأنه:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات - ٤٠).

وهذا هو الإمام البوصيرى رضي الله عنه يضع أساساً لمراقبة النفس ومحاسبتها باستمرار، فيقول: وراعها وهى فى الأعمال سائمة وإن هى استحلت المرعى فلا تسم

وهذا هو الإمام سيدى سلامة الراضى رضي الله عنه يوجه نصيحة لإخوانه فيما يتعلق بالنفس، فيقول:

«كلما رأتكم نفوسكم متمتعين بالمآكل اللذيذة، والثياب الفاخرة، والمنازل المشيدة، ومختلطين بأهل الغفلات، فإنها توهمكم بأنها تسير معكم فى طريق الانكسار حتى تصلوا إلى ربكم، فإذا قنعتم منها بذلك عشتم ولا رأس مال لكم إلا هذه الأمانى، فتعيشون مفلسين إلى الممات..

فإذا أردتم أن تسيروا إلى سيدكم بالفعل، فعليكم أن تخالفوا أنفسكم فى تمتعها بملذاتها ومخالطتها لأهل الغفلة».

ومحاسبة النفس بجعلها تفيق من غفلتها وتعود إلى ربها وتوافق صاحبها على عبادة الله ومعرفته..

٥٢- المجاهدة - قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت - ٦٩).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال:

سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد، فقال:

«كلمة عدل عند سلطان جائر».

وقد قال أحد العارفين رضوان الله عليهم:

« من زين ظاهره بالمجاهدة، حسن الله باطنه بالمشاهدة »

وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه قال:

« لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات:

١- أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

٢- أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل.

٣- أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد.

٤- أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

٥- أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.

٦- أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت.

ومن جملة أقوال العارفين رضى الله عنهم:

- « سجنك نفسك، فإذا خرجت منها وقعت فى راحة أبدية ».

- « النفس ظلمة كلها، وسراجها سرها، ونور سراجها التوفيق، فمن لا يصحبه فى سره توفيق من ربه، كان ظلمة كله ».

- « لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئا، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الأحوال ».

- « ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصى بريد الكفر ».

- « إياكم وجبران الأغنياء، وقراءة الأسواق، وعلماء الأمراء ».

- « إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء:

١- ضعف النية بعمل الآخرة.

٢- صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

٣- غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.

٤- آثروا رضا المخلوقين على رضا الله.

٥- اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ وراء ظهورهم.

٦- جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم.

٥٣- الإكثار من التوبة - قال الله تعالى:

﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (النور - ٣١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبداً لم يضيره ذنب» ثم تلا: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة - ٢٢٢).

قيل: يا رسول الله وما علامة التوبة؟

قال ﷺ «علامة التوبة الندامة».

وعن أنس أيضاً أنه ﷺ قال:

«ما من شئ أحب إلى الله من شاب تائب، والتوبة أول منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين».

ويقول أهل السنة: شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء:

١- الندم على ما عمل من المخالفات.

٢- ترك الزلية في الحال.

٣- العزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي.

والتوبة على ثلاثة أقسام:

١- التوبة. ٢- الإنابة. ٣- الأوبة.

-- فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة.

-- ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة.

-- ومن تاب مراعاة للأمر، لا لرغبة في الثواب، أو لرهبة من العقاب، فهو صاحب أوبة.

والإنابة صفة الأولياء والمقربين، قال تعالى: ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ (ق - ٣٣).

والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين، لقوله تعالى: ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ (ص-٤٤).

وسئل ذو النون المصري عن التوبة فقال:

«توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة».

وقال يحيى بن معاذ:

«زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها»

وبالجملة فإنه يتعين على السالك إلى الله أن يكثر من التوبة ..

٥٤- كثرة النوافل: النوافل هي ما كان زيادة على العبادات المفروضة فالصلوات الخمس فرائض، أما السنن وصلاة القيام، وقيام الليل والصلوات الأخرى كصلاة الضحى وصلاة التسابيح وغيرها فهى نوافل، وكذلك صوم رمضان فريضة أما صوم التطوع والأيام البيض والاثنين والخميس وعاشوراء ويوم عرفات وغيرها كلها نوافل، والعبد يثاب على طاعته فى القيام بالفرائض، ولكن ثوابه يكون أكثر بفعل النوافل، وهذا يتضح من الحديث القدسى فى قوله جل شأنه:

«ما تقرب إلى عبدى بشئ أفضل مما افترضته عليه، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته صرت بصره وسمعه ويده، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه».

فالمريد السالك لابد أن يتأسى بالمصطفى ﷺ الذى كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ويصوم النهار حتى يفطر على ماء أو تمر، ويربط على بطنه حجراً حتى لا يحس ألم الجوع، ويفعل من النوافل ما لا يمكن حصره، ولم يرتكن إلى أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعندما سألته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بقولها:

يا رسول الله، مالى أراك تقوم الليل وتصوم النهار، وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً .. !!

وحينما جاءه بعض الصحابة، وقالوا: يا رسول الله نعرف أنك تقوم الليل وتصوم النهار، ونريد أن تسمح لنا أن نفعل مثلك ..

فقال لهم: «لست كهيئة أحدكم، إنما أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى».

٥٥- الاعتبار - قال جل شأنه: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر - ٢).

وقال:

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (النور - ٤٤).

وهذه الآيات وغيرها كثير يضع على عاتق المؤمن ضرورة الإعتبار لأنه يؤدى إلى تصحيح السلوك إلى الله تعالى، ويؤدى إلى عدم الوقوع فى الأخطاء.

ولقد شاءت حكمة الحق سبحانه وتعالى أن يثبت فؤاد حبيبه ونبيه المصطفى ﷺ بما قصه عليه من قصص الأنبياء والرسل والأمم السابقة، ولكى تعتبر أمته بما حدث لهذه الأمم ..

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود - ١٢٠).

٥٦- القناعة - القناعة هي الرضا بما أعطى الله العبد، وألا ينظر إلى ما في يد غيره من مال أو زوجة أو أولاد أو جاه أو صحة، ولذلك قيل: «القناعة كنز لا يفنى».

لأنه إذا قنع المؤمن، رزقه الله من حيث لا يحتسب، وهو بقناعته يغلق باب الشيطان وباب الحسد، بل يكون راضياً، كما قال الحبيب المصطفى ﷺ:

«إرْض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس».

وقد سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن علامات التقوى والإيمان لدى المؤمن، فقال:

«الرضا بالقليل، والخوف من الجليل، والإيمان بالتنزيل، والإعداد ليوم الرحيل».

فالرضا بالقليل هو القناعة، والحق سبحانه يبارك لصاحب القناعة ويزيده من عطائه ومن كنوزه التي لا تنفذ.

٥٧- الزهد - الزهد الحقيقي هو الإعراض عن زخارف الدنيا، وأن يجعلها المؤمن في يديه وأن يسقطها من قلبه حتى لا يتعلق بها بما يشغله عن الإعداد لآخرته..

وقد قال المصطفى ﷺ: «تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الدينار».

ويكفي لنا أن نعلم خطاب الحق سبحانه للدنيا في الحديث القدسي حيث قال:

«يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه».

وهذا الشاعر يقول:

لا دار لمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها ... وإن بناها بشر خاب بانيها

٥٨- التوكل - قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق-٣).

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة - ٥١). وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة - ٢٣).

فالتوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعد ما تحقق العبد أن التقدير من عند الله سبحانه وتعالى، وإن تعسر شئ فبتقدير نفسه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

جاء رجل على ناقة فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟

فقال ﷺ: «إعقلها وتوكل»

وقد سئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلا؟

قال: إذا رضى بالله تعالى وكيلاً.

وقال ذو النون المصرى:

«التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو».

وقد قال أحدهم:

«التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة ما وقع لخليل الله إبراهيم عليه السلام فى الوقت الذى قال لجبريل عليه السلام: «أما إليك فلا» لأنه غابت نفسه بالله تعالى، فلم ير معه أحد».

وقال أحدهم أيضاً:

«التوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خواص الخواص، والتوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم والتفويض صفة نبينا محمد ﷺ».

وقيل: «التوكل الثقة بما فى يد الله تعالى، واليأس عما فى أيدى الناس».

وقيل: التوكل فراغ السر فى التقاضى فى طلب الرزق».

وقيل: جاع سفيان الثورى فى البادية فهتف به هاتف: «أيهما أحب إليك، سبب أو كفاية؟ فليس فوقهما نهاية» فبقى سبعة عشر يوماً لم يأكل..

٥٩- الرقة فى القلب - قال تعالى مخاطباً حبيبه المصطفى ﷺ:

﴿ فبما رحْمة منَ اللَّه لنتَ لهُمْ ولوْ كُنت فظًا غليظَ الْقلْب لانفضُوا منْ حوْلك فاعْفُ عنْهُم واسْتغْفرْ لهُمْ وشاورْهُمْ في الأمْر فإذا عزمْت فتوكَّلْ على اللَّه إنَّ اللَّه يُحبُّ المُتوكِّلين ﴾ (آل عمران - ١٥٩).

يتضح لنا من هذه الآية أن فضل الله العظيم أدرك نبيه ﷺ فألان قلبه، وما جاء هذا اللين إلا برحمة من الله، فاللين فى قلب المؤمن إنما نفحة من النفحات الإيمانية الرحمانية، من لدن رب العالمين الذى وسعت رحمته كل شئ وكتبها لعباده الصالحين..

فالقلب القاسى كالحجر الأصم، يخلو من المشاعر الإنسانية ومن الرحمة الكبرى التى تجلى بها الحق على عباده، وهو سبحانه وتعالى قد اختص نبيه ﷺ بالرأفة والرحمة بالمؤمنين وذلك فى قوله تعالى: ﴿ لقدْ جاءكُمْ رسُولٌ منْ أنفُسكُمْ عزيزٌ عليْه ما عنتُّمْ حريصٌ عليْكُم بالْمُؤْمنين رءُوفٌ رَّحيمٌ ﴾ (التوبة - ١٢٨).

فعلى السالك أن يتحلى بلين القلب والرحمة والشفقة والرأفة، تأسياً بالحبيب المصطفى ﷺ.

٦٠- **الخوف** - قال الله عز وجل: ﴿ يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ﴾ (السجدة - ١٦).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى عبد أبدا».

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول اله ﷺ قال:

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

وقد فرض الله سبحانه وتعالى على عباده أن يخافوه، فقال جل شأنه: ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (آل عمران - ١٧٥).

وقال: ﴿وإياي فارهبون ﴾ (البقرة - ٤٠).

وقال: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ (النحل - ٥٠).

والخوف على مراتب: ١- الخوف. ٢- الخشية. ٣- الهيبة.

- فالخوف من شرط الإيمان وقضيته، لقوله تعالى: ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (آل عمران - ١٧٥).

- والخشية من شرط العلم، لقوله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر - ٢٨).

- والهيبة من شرط الهيبة، لقوله تعالى: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (آل عمران - ٢٨).

ومن أقوال العارفين عن الخوف:

- قال النورى: «الخائف يهرب من ربه إلى ربه».

- وقال الجنيد: «الخوف توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس».

- وقال سليمان الدارانى: «ما فارق الخوف قلباً إلا خرب».

- وقال إبراهيم بن شيبان: «إذا سكن الخوف أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا».

- وقال آخر: «ينبغى للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب، فسد القلب».

- ومن إنشاد أحدهم:

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

- وسئل الشبلي: لم تصفر الشمسُ عند الغروب؟

قال: لأنها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام، وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لأنه يخاف المقام، فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة، كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق».

٦١- المراقبة - قال الله تعالى: ﴿ وكان اللهُ علىٰ كُل شيء رَقيبا ﴾ (الأحزاب-٥٢)

وعن جرير بن عبد الله البجلي قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، حلوه ومره، قال: صدقت، حتى قال له: ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال جبريل عليه السلام: صدقت..

ومقام الإحسان هو التعبير عن المراقبة، لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير له، لا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة، فإذا حاسب نفسه على ما سلف، وأصلح حاله في الوقت، ولازم طريق الحق، وأحسن بينه وبين الله مراعاة القلب، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس، وراقب الله تعالى في عموم أحواله، فيعلم أنه سبحانه وتعالى رقيب عليه وقريب من قلبه، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله، ومن تغافل عن هذه الجملة فهو في غفلة عن بداية الوصلة، فكيف عن حقائق القربة؟..

ومن أقوال العارفين عن المراقبة:

- قال جعفر بن نصير: «المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه وتعالى مع كل خطوة».

- وقال الجريري: «أمرنا هذا مبنى على فصلين وهو أن تلم نفسك المراقبة لله تعالى، ويكون العلم عن ظاهرك قائماً».

- وقال المرتعش: «المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة».

- وقال إبراهيم الخواص: «المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى.

٦٢- التواجد - التواجد هو استدعاء الوجد، وليس لصاحبه كمال الوجد، وقال قوم بأن التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف وأنه يبعد عن التحقيق.

وقوم قالوا: إنه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني وهؤلاء أصلهم مستمد من قوله ﷺ:

« إبكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا ».

فالتواجد بداية والوجود نهاية، والوجد واسطة بين البداية والنهاية ..

وقد قيل في ذلك:

« التواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد يوجب استغراق العبد، والوجود يوجب استهلاك العبد، فهو كمن شهد البحر، ثم ركب البحر، ثم غرق في البحر، وترتيب هذا الأمر: ١- قصود. ٢- ورود. ٣- شهود. ٤- خمود.

فبمقدار الوجود يحصل الخمود، وصاحب الوجود له صحو ومحو، فحال صحوه، بقاؤه بالحق، وحال محوه فناؤه بالحق، وهاتان الحالتان أبداً متعاقبتان عليه. فإذا غلب عليه الصحو بالحق، فبه يصول وبه يقول .. وهذا قول الرسول ﷺ عن قول الحق سبحانه: {فبي يبصر وبي يسمع}.

٦٣- الاستغراق - إذا تواجد السالك، وجد، أي دخل في صفة الوجد، وصفة الوجد تؤدي إلى الاستغراق، فلا يشهد سوى الله ويغيب تماماً دنيا الخلق ولا يحس بهم ولا يراهم ولا يسمع لهم ..

فقد قيل لأبي بكر الدقي: إن « جهما الدقي » أخذ شجرة في يده في حال السماع في ثوراته فعلتها من أصلها، فاجتمعا في دعوة وكان أبو بكر كف بصره، فقام جهم يدور في هيجانه، فقال أبو بكر لمن حوله إذا اقترب مني عرفوني عليه فلما عرفوه به فأخذ ساق جهم ووقفه فلم يمكنه أن يتحرك، فقال جهم: أيها الشيخ .. التوبة التوبة، فخلاه .. فكان حال أبي بكر فوق حال جهم.

ومن أقوال القوم في الاستغراق وأحوال المريدين:

محب الله في الدنيا عليل ... تطاول سقمه فدواؤه داه
كذا من كان للبري حبا ... يهيم بذكره حتى يراه
ويزهد في قصور مع نعيم ... وفي الدنيا ويغني عن هواه
إذا ذكر الحبيب ونحن جمع ... ترى كلاله رصف عراه
فمنا من تمايل باهتزاز ... ومنا من تساقط من علاه
ومنا من يذوب كذوب شمع ... لأن جوى المحبة قد صلاه.
ومنا من يحن حنين ثكلى ... ترق له الحجارة لو تراه
ومنا من يصيح بملء فيه ... ينادي: يا إلهي يا هو يا هو
وإن متنا فما في الموت عار ... ولا عار على العشاق يا هو

فسلم للرجال ولا تكابر | فقد وضح الطريق لمن رآه

٦٤ - **التهتك** - التهتك أثر من آثار الوجد والشوق، وهو شكل من أشكال الاستغراق فى المحبوب، يقع فيه المحب رغماً عنه وليس فى حال صحوه وإنما فى حال محوه.

وهذه الأحوال يصفها القوم فى أحد قصائدهم:

إذا غلب الوجد والافتضاح | لأهل الهوى والجوى لا جناح

فكم فى المحبة من هائم | يطيل النحيب ويبدى النواح

وكم فى المحبة من كاتم | ينم عليه نسيم الصباح

فمن باح بالوجد فى حبه | فذاك الذى فى هواه استراح

٦٥ - **الوجدُ** - والوجد هو الحالة الأصلية التى كان من أجلها التواجد، والعبد فى حال الوجد يكون وجوده بدون إحساس بنفسه فضلاً عن علمه واستدلاله عليه.

ويقول فى ذلك ابن المعتز:

وأمطر الكأس ماء من أبارقها | فأنبت الدّر فى أرض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبا | نورا من الماء فى نار من العنب

سلافة ورثتها عاد عن إرم | كانت ذخيرة كسرى عن أب فأب

٦٦ - **حفظ الحدود** - هذه مرتبة ضرورية بعد المقامات الأخيرة السابقة فلابد للسالك أن يحفظ الحدود الشرعية، فلا تمنعه أحواله من المحافظة على الحدود المطلوبة.

فإن من فضل الله على السالك الذى تعرض للمحو فى حالات التواجد والوجد والوجود والتهتك أن يهبه شيئا يسمى «الفرق الثانى» وهو أن يرد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض، ليجرى عليه الفرائض فى أوقاتها فيكون ذلك رجوعاً لله بالله تعالى، لا للعبد، فالعبد يطالع نفسه فى هذه الحالة فى تصريف الحق سبحانه وتعالى.

٦٧ - **اليقين** - اليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف، ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوفيق فعلم اليقين هو اليقين .. وكذلك عين اليقين نفس اليقين، وحق اليقين نفس اليقين، وحق اليقين نفس اليقين ..

- فعلم اليقين ما كان بشرط البرهان.
- وعين اليقين مان بحكم البيان.
- وحق اليقين ما كان بنعت العيان.

فعلم اليقين لأرباب العقول.

وعين اليقين لأرباب العلوم.

وحق اليقين لأصحاب المعارف.

٦٨- التقوى - قال تعالى: ﴿ إنَّ أكرمكُم عند الله أتْقاكُم ﴾ (الحجرات - ١٣) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بنى الله أوصينى، فقال ﷺ: «عليك بتقوى الله، فإنها جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم، وعليك بذكر الله فإنه نور لك».

وقال ذو النون المصرى:

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم … تحن إلى التقوى وترتاح للذكر

سكون إلى روح اليقين وطيبه … كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وقد قيل: يستدل على تقوى الرجل بثلاث:

١- حُسن التوكل فيما لم ينل.

٢- حسن الرضا فيما قد نال.

٣- وحسن الصبر على ما قد فات.

والتقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله ..

٦٩- التخلق - وهذه مرحلة من أواخر مراحل الوصول.

قال الله تعالى مخاطباً نبيه وحبيبه المصطفى ﷺ: ﴿ وإنَك لعلىَ خُلُقٍ عظيم ﴾ (القلم- ٤) .

وقد قال ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الرحمن».

وقال القوم:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم … إن التشبه بالكرام فلاح

وهذا يؤيده قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ لقدْ كانَ لكُم في رسُول الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يرْجُو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (الأحزاب - ٢١) .

٧٠- الخلافة - قال تعالى:

﴿ وأن لو استقامُوا على الطَّريقة لأسْقيْناهُم مَاءً غدَقًا ﴾ (الجن - ١٦) .

فمن تحقق بمقامات الطريق السابق ذكرها أو معظمها فقد استحق الخلافة والخلافة سبقت من الحق سبحانه لبنى آدم، حيث قال تعالى:

﴿ وإذْ قال ربُّكَ للملائكة إنِي جاعلٌ في الأرْض خليفةً قالُوا أتجْعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحنُ نُسبحُ بحمدكَ ونقدسُ لكَ قالَ إني أعلمُ ما لا تعلمُون ﴾ .

(البقرة - ٣٠)

أحكام المريدين

فى ظلال قانون السادة الحامدية الشاذلية

للإمام العارف بالله

سيدى سلامة بن حسن الرامى رضي الله عنه

(١) **مقصد أهل الطريق** .. الوصول الى معرفة الله .. ونيل رضاه والقيام بحقوق العبودية، وتأدية حقوق الربوبية.

أهل الطريق هم أوليـاء الله وخاصته من خلقه، والُوه بالعبادة فوالاهم بالنصر والتأييد، لم يقصدوا سواه، ولم يعبدوا إلاه، فقد جعلوا مقصدهم من الله وبالله، وفى الله.. فى أربع:

أ- الوصول الى معرفة الله - المعرفة الحقة، منه سبيل ذلك بذلوا الغالى والنفيس، وأدركوا أن «من عرف نفسه، فقد عرف ربه». فبدأوا بجهاد أنفسهم، بإذلالها، ومحاربة شهواتها، وصرف مطلوبها وجعلوها مع الشيطان عدوين، يجب القضاء عليهما لبلوغ غاية الجهاد الأكبر، الذى أخبر عنه المصطفى ﷺ عند عودته من جهاد العدو، فى قوله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس».

وكان شعارهم فى ذلك قول البوصيرى رضي الله عنه:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

أدانوا أنفسهم لله تعالى، وأخضعوها وطوعوها على حسن عبادته والتوجه الى وجهه الكريم، فلما عرفوا أنفسهم، ملأ الله قلوبهم وبصائرهم بمعرفته. فأصبحوا عارفين له حقاً، ولعزته وجبروته وسلطانه مسلمين وخاضعين وهم خلال هذه المرحلة يسعون جاهدين دائماً إلى نقل هذه المعرفة إلى مريديهم ومحبيهم وعارفى فضلهم.

ب- نيلُ رضا الله - لقد أدركوا بعد المعرفة أنهم ماداموا قد عرفوا فقد ذاقوا طعم المحبة، ولا يصح للمحب العارف إلا أن يقف على أعتاب حبيبه بالخدمة والالتزام، مطيعاً لأوامره، متجنباً لنواهيه حيث قيل: "إن المحب لمن يحب مطيع".

وقد جعل الحق سبحانه وتعالى محبته لعباده فى اتباعهم لحبيبه المصطفى ﷺ،

لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران - ٣١)، ولقوله سبحانه فى الحديث القدسى: (عبدي أطعنى أجعلك ربانياً تقول للشئ كن فيكون).

وقول الحبيب المصطفى ﷺ: «إذا أحب الله عبداً نادى: يا ملائكتى .. إنى أحب فلانا، فأحبوه، فتحبه الملائكة، فتقع محبتهم له فى قلوب أهل الأرض جميعا، ويكتب له القبول فى الأرض، فيحبه كل من يراه».

وفى هذا يقول العارفون - على لسان الحق سبحانه -:

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا	فإنا منحنا بالرضا من أحبنا
ولذ بحمانا واحتمى بجنابنا	لنحميك مما فيه أشرار خلقنا
وعش فى رضانا خاضعاً متذللا	وأخلص لنا تلق المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر فى كل حالة	فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
ولا تعترضنا فى الأمور فكل من	أردناه أحببناه، حتى أحبنا
ينادى له فى الكون، أنا نحبه	فيسمع من فى الكون أمر محبتنا
فيكسى جلابيب الوقار لأنه أقام	بإذلال على باب عزنا
رفعنا له حجبا أبحناه نظرة	إلينا، وأودعناه من سر سرنا

جـ- القيام بحقوق العبودية - العبد فى تعريفهم هو الذى يعرف الحقوق التى يجب عليه الإلتزام بها تجاه سيده، وبعد أن أصبح العبد من العارفين، أصبح من أهل الخصوص، وقد قيل: «أهل الخصوص لهم خلق مخصوص» وهم يضعون نصب أعينهم أنهم بهذه المعرفة تمتعوا بالخصوصية، وأصبحوا من المقربين، وأيقنوا بأن المقربين على خطير عظيم، وأدركوا أيضا معنى قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر-٩).

وكذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر - ٢٨).

وقد ألقى ذلك كله، القرب والعبودية، والمعرفة، والخشية، ألقى ذلك عليهم تبعات أمام سيدهم، فالعبد عندهم عبد على كل حال، وهم يرون أنهم ليست لهم ملكية مع الله، فهم يقولون: «العبد وما ملكت يداه ملك لمولاه».

وهم يرون أنهم لا يصح أن يطلبوا من الله شيئا، ومن باب أولى فإنهم لا يطلبون شيئا من الخلق تأدبا مع الحق سبحانه، ويقينهم:

«بأنه سبحانه وتعالى، علمه بأحوالنا يغنى عن سؤالنا».

وهم فى حضور دائم مع الحق سبحانه وتعالى، لا يغفلون ولا يصح لهم السهو فى حضرته بأى حال من الأحوال، ويقولون:

« من سها فى حضرة مولاه حل قتله، فلا يستحق الحياة ».

وهم أرباب أحوال، همتهم علية، وأرواحهم شفافة، يتمثلون فى ذلك بالقدوة والأسوة حبيبهم المصطفى ﷺ، الذى كان يقول:

« لست كهيئة أحدكم إنما أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى ».

والذى قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً ».

ء- تأدية حقوق الربوبية: إنهم يؤمنون بأن الله سبحانه ربهم، وأنه سبحانه وتعالى قد أقام العباد فيما أراد، وأنه حاشا أن يجرى فى ملكه جل شأنه إلا ما كان فى علمه ... فهم يقولون دائما:

« كل ما يأتى من المحبوب فهو محبوب ».

فهم إذا ابتلوا صبروا واحتسبوا.

وإذا نزل بهم القضاء رضوا واسترجعوا ولا يقولون إلا ما يرضى ربهم سبحانه وتعالى فيقولون « قضى الله وما شاء فعل، إنا لله وإنا إليه راجعون ».

وهم يتخلقون بخلق الرحمن، من صفات الجمال والكمال ولا يجرؤ واحد منهم أن يتمثل بأخلاق وأسماء وصفات القهر والجلال فهى له وحده سبحانه وهى رداءه لا ينازعه إياه إلا كافر لا يراعى أصول وحقوق الربوبية.

وهم الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلن قالوا: سلاماً وهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، وهم الذين يرجون العفو والغفران من الله سبحانه وتعالى..

هم الذين يعبدون الله لذاته، لا يخافون من النار، ولا يطمعون فى الجنة وقد اشتهر عنهم قولهم:

الزم الباب إن عشقت الجمالا	واهجر النوم إن أردت الوصالا
واجعل الروح منك أول نقد	لحبيب. أنواره تتلالا
جلهم يعبدوك من خوف نار	ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان ويحظوا	بقصور. ويشربوا سلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ	أنا لا أبتغى بحبى بديلا
قد تخللت مسلك الروح منى	ولذا سمى الخليل خيليلا

(٢) طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة، بريئة من البدع المحرمة شرعاً:

وضع أهل الطريق قواعد دعوتهم إلى الله على هدى من الكتاب والسنة وذلك عملا بقول الحبيب المصطفى ﷺ:

« تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتي » .

وقال أيضا : « من رغب عن سنتى فليس منى » .

وكيف لا ، وهم يعلنون أنهم متبعون له ﷺ ويسيرون على نهجه القديم عملاً بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (الأحزاب - ٢١) .

وقوله عز وجل:

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (الحشر - ٧) .

لذلك انصرف اهتمام أهل الطريق وهمتهم إلى بناء أصول طريقتهم على الكتاب والسنة ولم يحيدوا عنها لحظة، وإنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا :

« من تحقق ولم يتشرع، فقد تزندق » .

وقالوا أيضاً: ولا تأخذ عمن زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

وقد أبرءوا ساحتهم من البدع المحرمة شرعاً، وتنصلوا منها ، ودعوا مريديهم إلى عدم اتباع الهوى، وقد أكدوا بذلك قول المصطفى *: « كل محدثة فى الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار » .

(٣) من أصول طريقتنا مجاهدة النفوس:

يقول المصطفى ﷺ: « ضعيفان يغلبان قويا ، النفس والشيطان » .

لذلك جعل أهل الطريق مجاهدة النفوس من أصول الدعوة إلى الله، ولما كانت أولى مراتب النفس « النفس الآمارة » فقد حرفوا اهتمامهم لتخليص مريديهم من هذه النفس الامارة، ومحاولة رفع درجتها لتصير « نفسا لوامة » . وقد سجلوا هذا المعنى فى أحد قصائدهم المشهورة بالعامية:

أهل الطريق أهل انكسار	فاتوا التباهى والافتخار
قالوا الطريق مثل العروس	ومهرها بذل النفوس
واللى تكون نفسه معاه	يتعب طبيبه فى دواه
وإن شفته يذكر ع الدوام	والنفس حبة يزيد ظلام
ذل النفوس باب الوصول	واللى يهينها يزيد قبول

(٤) من أصول طريقتنا، التواضع، فإنه رأس مال الفقير:

يتخذ أهل الطريق فى تربية مريديهم شعاراً .. هو:

« من تواضع لله رفعه » وهم يقولون فى توجيه المريد للتواضع:

« أدفن نفسك أرضاً أرضاً، تعلو سماءً سماءً ».

وهذا هو الأستاذ الجليل، والمربى العظيم، شيخ الحامدية الشاذلية سيدى إبراهيم سلامة الراضى ، يوجه نصيحة لأحبابه ومريديه، فيقول: قال تعالى: ﴿ وما أبرئ نفسي إنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوء ﴾ (يوسف - ٥٣).

إخواني.. جميل أن تأخذوا فى أسباب التواضع الظاهرى، فإنه يجركم حتماً إلى التواضع الباطنى، وذلك بأن يراعوا الآداب فى الجلسة، بمعنى ألا يكون الأخ مداً رجليه أو متكئا أمام إخوانه، ثم: الإطراق الخفيف والنظرة الوديعة، بمعنى أنه لا ينظر فى وجه أخيه محملقاً، بل يلتفت إليه التفاتاً خفيفاً كالتفات المسلم فى الصلاة، وكذلك خفض الصوت، وعدم الإجابة بسرعة، وقلة الكلام، والاجتهاد فى تصحيح الألفاظ بأن يترفه عن الألفاظ النابية غير اللائقة، وراقبوا الله فى أفعالكم وأقوالكم، ولا تغتروا إن مدحكم أحد، فأنتم تعلمون حقيقة حالكم، ولا تسيئوا الظن بمن يحدثكم فمن علامات النفاق أن تظهروا فى علانيتكم خلاف ما فى سريرتكم، وإياكم والخروج عن الآداب فى مجالس الأحباب، وكن مع أحبائك على ما هم عليه فى كل حال، تبلغ كل مقام وحال، وتكن من أهل الكمال، وتبلغ مبلغ الرجال.

(٥) التسليم شعار طريقتنا - يقول أهل الطريق:

« التسليم عندنا ركنٌ أول »... وقالوا أيضا: « من سلم السلاح فقد استراح ».

والمفروض فيمن ينتسب للطريق ويسلك مسلكها ويصبح من المريدين أنه ما فعل ذلك إلا بعد اقتناع تام بأنه سلك خلف شيخ عارف بالله، ولذلك لابد له أن يسلم له قلبه، ولذلك قالوا: « كن فى يد شيخك كالميت فى يد المغسل ».

والتسليم فى الأصل لله حقيقة وظاهراً للشيخ، وهم يقولون على لسان الحضرة الإلهية:

وسلم إلينا الأمر فى كل ما	يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
ولا تعترضنا فى الأمور فكل من	أردناه أجبناه حتى أحبنا
ينادى له فى الكون أنا نحبه	فيسمع من فى الكون أمر محبنا
فيكسى جلابيب الوقار لأنه	أقام بإذلال على باب عزنا

٦ - تحمل الأذى، يظهر جوهر الفقير، ويصفى معدنه:

تحمل الأذى من صفات الأنبياء والمرسلين، فما من نبى أو رسول إلا آذاه قومه،

وتحمل فى سبيل رسالته الكثير من الأذى فى سبيل الله، ولقد كانت حياة الحبيب المصطفى ﷺ سلسلة من المكابدة والعناء منذ أن صدع بأمر الرسالة ومن أكبر الأمثلة على ذلك مصار قريش له ولأصحابه فى شعب أبى طالب لمدة ثلاث سنوات، ثم ما حدث له عند ثقيف بالطائف حيث وصل إيذاؤهم له إلى مداه، وقد تحمل وتجمل ولجأ إلى ربه لجوءاً كريما ويتضح ذلك من صيغة شكواه لربه: {رب أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى إلى عدو ملكته أمرى، أم إلى غريب يتجهمنى، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى.... الخ».

وكذلك ابن الطريق إذا تحمل الأذى واحتسب ذلك عند الله ظهر جوهره الحقيق أمام الناس فأكبروه وأبلوه واقتفوا أثره، وساروا سيره، وفى نفس الوقت تصبح نفسه صافية شفافة لا تشوبها شائبة..

وقد قال أهل الطريق فى هذا المعنى:

حمل الأذى من أوصافنا فيه الكمال والتربية

واللى يعادينا نسامحه نتحمله بحسن النية

٧- ذكر الله فى غالب الأحيان غذاء للقلوب:

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب - ٤١).

فالذكر ركن قوى فى طريق الله، ولا يتم الوصول إلى الله تعالى إلا عن طريق الذكر..

وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها». فقيل له: وما رياض الجنة؟ فقال ﷺ: «مجالس الذكر».

والذكر له خصائص من أهمها أنه دائم غير مؤقت، لأنه لا يخلو وقت من الأوقات من ذكر الله، والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران- ١٩١).

ولابد للسالك فى طريق الله أن يكون لسانه رطباً دائما بذكر الله، لأن القلوب لا تتغذى إلا على الذكر، ولابد للقلوب أن تتغذى لتحيا فى حضرة القدوس.

٨- قراءة القرآن، قرب إلى الله تعالى، ونور ورحمة:

القرآن الكريم، كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو نور القلوب، وهداية السالكين، وتلاوته آناء الله وأطراف النهار، واجب على كل مسلم، فهو من أعظم القربات التى يتقرب بها الإنسان إلى ربه لقوله تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (المزمل - ٢٠).

ثم يبين الله تعالى أن القرآن نزل بالحق وأنه يستتبع من المؤمنين بالله الخشوع والسجود، وذلك فى قوله جل شأنه: ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ۝ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ۝ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ﴾ (الإسراء - ١٠٥).

ولابد أن يكون للمريد السالك ورد يومى من القرآن الكريم..

وهذا رسول الله ﷺ يرغب فى قراءة القرآن، فيقول: «الماهر بالقرآن مع الكرام السفرة البررة، والمتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران، أجر القراءة، وأجر المشقة».

٩- تعلم العلم الضرورى الظاهر فرض على كل فقير:

كل مسلم يجب عليه أن يتعرض للعلم الظاهرى الذى ينفعه، ويعد ذلك فرضاً عليه، ليتمكن من قراءة القرآن وتفهم وتدبر معانيه، ومن باب أولى فإن المريد لابد أن يتسلح بقدر ضرورى من العلم حتى يتمكن من الدعوة إلى الله على بصيرة، وأن يرد على السائلين أو المعترضين..

وعلى المريد أن يحفظ على الأقل جزءاً من القرآن الكريم، وأن يحفظ عدد لا بأس به من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، وأقوال السلف، وأقوال وحكم ومأثورات أهل الطريق، وأن يقرأ ويلم بقدر من السيرة النبوية، وأن يكون على علم بالأحكام الشرعية الضرورية..

١٠- احترام المسلمين، والتماس بركتهم، دليل على رضى الله تعالى:

المفروض أن المريد قد تربى فى مدرسة الطريق، وهو أمام الناس هدفاً لمعرفة أخلاق أهل التصوف والسالكين إلى الله.

وقد قال أهل الطريق لكل مريد:

إن كنت تعرف لك مقام بين مزية على العوام

ولما كان المريد واجهة إخوانه وشيخه وطريقته فإنه لابد عليه حتى ينال رضا الله وحب أشياخه وتقدير الناس له، أن يسلك فى تعامله مع الناس، مع المسلمين بالذات طريقين متوازيين:

أ- احترام المسلمين: وهذا خُلقٌ من أخلاق المصطفى ﷺ الذى قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». والذى قال أيضا: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

فالمريد يجب أن يحترم عامة المسلمين، يوقر كبيرهم، ويوجه صغيرهم، ويرحم ويساعد فقيرهم ويأخذ بيد ضعيفهم، ويعينهم على نوائب الدهر، ويعودهم ويحسن إليهم..

ب- التماس بركة المسلمين: فقد قال ﷺ: «لكل مؤمن شفاعة» فعلى المريد أن يفعل الخير دائما ليكون مستحقا لبركة الناس المتمثلة فى الثناء عليه والدعاء له.

١١ - مجالسة الأغنياء تقسى القلوب:

مما يؤثر عن الإمام أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه أنه كان يلبس أحسن اللباس فلما سئل عن ذلك قال: «إنى لألبس لباس الأمراء والسلاطين حتى إذا جالستهم، لم يجلسونى دونهم، فلا أشعر بالذل والمهانة إلا لله الواحد القهار».

فالفقير الذى يجالس الأغنياء المتكبرين لابد أنه سينشغل بما هم عليه من رفاهية العيش ورغد الحياة، فيفسد ذلك عليه تقربه وتذلله لله تعالى، وينصرف فكره إلى نوع من المقارنة بين حاله المتواضع، وحالتهم الميسورة، فيقسو قلبه وقد يتسلل إليه الحسد.. ولذلك يمتنع على المريد الذى يخاف على نفسه الفتنة أن يبتعد قدر المستطاع عن مجالسة الأغنياء.

١٢ - من أصول طريقنا ترك التكلف:

التكلف هو تكليف النفس ما لا تطيق من مال أو أعمال.

وقد قال ﷺ: «شركم من يتكلف له». وقال أيضا: «الكلفة تمنع الألفة».

وقد ذكر الإمام سيدى سلامة الراضى رضي الله عنه فى كتابه «مواعظ حامدية» مثالا للتكلف كما يلى:

«ومن هؤلاء القوم - المتصوفة المدعون - من يدخل على الناس فى منازلهم فيكلفهم ما لا يطيقون، ويتكلف لهم صاحب المنزل لهم الطعام بالاستدانة ساخطاً كارهاً، ولا ينتقلون عنه حتى يأخذ الشيخ منه ديناراً أو دينارين فى يده، ثم يغرم لهم أجرة المنشدين وعلف دوابهم، فضلاً عما يذبحه لهم. وقد أخبرنى بعضهم أنه ذبح لشيخ قدم عليهم «جاموسة وعشرة رءوس من الغنم» ومع ذلك كاد يفتضح..

وتراهم إذا قدموا على بلدة استقبلهم بعض أهلها وحصلت ضجة عظيمة ويدخل الشيخ القرية فى زهاء مائتى مريد أو مرافق وربما هرب بعض أهل القرية لما يخافه من الغرامة.

١٣ - من أصول طريقنا التواد والتزاور والمحبة:

يقول الله جل شأنه: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (الحجرات - ١٣).

وقال ﷺ: « مثل المؤمنين في توادهم وتزاورهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

إن المنتسبين للطريق إنما اجتمعوا لله وعلى الله، لم تجمعهم رابطة نسب، ولم تجمعهم تجارة ولا أي غرض دنيوى زائل، ولما كان المؤمن بطبعه آلف مألوف فلابد من زيادة الألفة والرابطة بين الأحباب والإخوان، بزيادة الود والتزاور، وقد قيل:

« من هجر أخاه فوق الثلاث، فعزُّوهُ فى محبته فى الله ».

أما المحبة فهو الرباط الأساسى الذى اجتمع عليه وبه أحباب الطريق، ولابد من تنمية هذه المحبة، لأن علاقتهم تسمى "الحب فى الله".

يقول المصطفى ﷺ: «امش ميلاً وعد مريضا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاث أميال وزر أخا فى الله».

ومن شعار أهل الطريق قولهم:

أحب لقا الأحباب فى كل ساعة ... لأنى أرى الأقمار وهى طوالع
لقاهم منى قلبى وغاية مقصدى ... لأن لقا الأحباب فيه المنافع
لقد ثبتت فى القلب منكم محبة ... به امتزجت والقلب بالنور ساطع
وإنباتها فى القلب من أصل نشأتى ... كما نبتت فى الراحتين الأصابع

١٤ - من أصول طريقنا، سلامة الصدر وحسن الظن بالله وبعباد الله:

سلامة الصدر من أهم مقومات المريد في سلوكه إلى الله، فهى وسيلته للصفاء الذى هو مقصد التربية والمنشأة فى الطريق، ويسير مع سلامة الصدر وبنفس الاتجاه حسن الظن بالله وبعباد الله، فحسن الظن بالله هو حجر الزاوية فى السلوك ولابد أن يتحلى المريد به حتى يصح سلوكه ولا توجد أمامه الموانع والعراقيل، وحسن الظن بعباد الله يملأ الإنسان بالرضا والقبول.

١٥ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. مع التلطف واللين:

يقول الله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران - ١١٠).

ويقول جل شأنه: ﴿ ولْتكن منكم أمةٌ يدْعون إلى الْخيْر ويأْمرون بالمعْروف وينهوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران - ١٠٤).

ويقول المصطفى ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان».

ويرى العارفون أن المتصدى للتغيير باليد لابد أن يكون من أهل السلطان والتغيير باللسان لأهل البيان، والتغيير بالقلب لعامة المسلمين.

ولابد للمتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يتحلى بقدر كبير من الآناة واللين حتى لا تأتى النتائج بعكس المراد، وليضع نصب عينيه أن الأسوة والقدوة حبيبنا المصطفى ﷺ كان مثالا لهذا الخلق، حتى ان ربه سبحانه وتعالى أثنى عليه بقوله: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلْب لانفضوا من حولك ﴾ (آل عمران - ١٥٩).

١٦ - إعانة الفقراء والعطف عليهم مادياً ومعنوياً بقدر الإمكان:

يقول الحق سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى: (الفقراء عيالى، وخير عيالى أبرهم لعيالى).

ويقول جل شأنه: ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ﴾ (الإسراء-٢٦).

ولابد للمؤمن السالك أن يرعى الفقراء ويعطف عليهم بأحد طريقين:

١- مادياً - بأن يساعدهم بالمال والطعام والشراب قدر الإمكان.. وذلك لقوله ﷺ: «لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جائع».

٢- معنويا - بأن يرفع من روحه المعنوية ويقربه منه، ويجعله يحس بوجوده وبأنه ليس أقل منه فى شئ، ويشاركه أفراحه وأحزانه.

١٧ - رؤية الإنسان فى نفسه التقصير:

إذا رأى المريد تقصيراً فى أحد إخوانه، فعليه ألا يزهو بنفسه، بل يعتقد أن نفسه هى المقصرة، لقولهم:

ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا ... عيبا بدا ظاهرا لكنه استترا
وحط رأسك واستغفر بلا سبب ... وقم على قدم الإنصاف معتذرا
وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم ... وجه اعتذارك عما فيك منك جرى

فالشعور بالتقصير فى حق المريد هو عين الكمال..

وليس الغرور، وهو خلق إبليس، من خلق المومن.

١٨- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

يقول جل شأنه: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ ﴾ (لقمان - ١٥).

هذا ما يقرره الله سبحانه وتعالى بشأن الوالدين اللذين جعل طاعتهما تابعة لطاعته سبحانه، ولكنه ينبهنا أن لهذه الطاعة حدود، فإن أشرك الوالدان أو خرجا على مقتضى الإيمان، فإن على الابن إذا وجها إليه الدعوة للإشراك أو مخالفة أمر الله ألا يطيعهما، ولكن ليس معنى ذلك الإساءة إليهما في حالة شركهما، بل يوجهنا سبحانه وتعالى أن نعاشرهما بالمعروف وأن نحسن إليهما وكذلك المؤمن لا يجب أن يطيع العاصي حتى ولو كان ولي أمر، ومهما كان موقعه.

وهذا الصديق أبو بكر الصديق، حينما ولي الخلافة يقول:

« أيها الناس إني وقد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن وجدتموني على حق فأعينوني وإن وجدتموني على باطل فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ».

١٩ ينبغي أن يكون الإنسان على أخيه رحمة:

أ- **فلا يجادله:** لأن الجدل يسد باب العمل، فإذا اشتغل الأخوان بالجدل فإن ذلك سيؤثر على عملهما، وخير لهما أن يشتغلا بالذكر والتسبيح عن أن يتجادلا في موضوع لا منفعة من طرحه.

ب- **ولا يخاصمه:** وقد وضع المصطفى ﷺ قاعدة لنا في المعاملة بين الأخوين بما يمنع الخصام بينهما، بل ويحرمه، فيقول: « من هجر أخاه فوق الثلاث فعزوه في محبته في الله ».

جـ- **ولا يسبه:** لأن السب منقصة، والنقائص ليس لها سبيل إلى طريق الله أو المتحابين في الله، يقول المصطفى ﷺ: « يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه ».

ء- **ولا يغتابه:** أي لا يذكره في غيبته بما يكره، وليتذكر قول الله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ (الحجرات - ١٢).

هـ- **ولا يحسده:** لأنه لا يصح للمؤمن أن يحسد أخاه إلا أن يغبطه ويتمنى له المزيد من الخير، ولا بأس أن يطلب لنفسه أن يجعله الله تعالى مثله، دون أن يتمنى زوال نعمة أخيه، لأن الحسد بل نار تأكل ما حولها إذا اشتعلت، فلا تبقى ولا تذر بل المحب يتمنى لأخيه فوق ما يتمنى لنفسه.

و- **ولا يكذبه:** إن من آداب الشاذلية، أن المريد إذا أراد أن يعقب على رأى أخيه وهو عكس رأيه تماماً، يقول: « تصديقاً لرأى فلان » لأن التكذيب افتراء.

ز- **ولا يؤذيه:** كيف يؤذى المريد أخاه وهو مرآة له، وهما كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ولابد للمريد أن يتذكر قول الإمام على كرم الله وجهه فى الأخوة حيث قال: « أخاك الحق من كان معك، وضر نفسه لينفعك، ومن إذا ريب الزمان صدعك، شتت نفسه فيك ليجمعك ».

ح- **وليرأف به-** فالرأفة والرحمة بالمؤمنين من أوصاف المصطفي ﷺ التى أضفاها عليه الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ لقدْ جاءكُم رسُولٌ منْ أنفُسكُم عزيزٌ عليه ما عنتُم حريصٌ عليْكُم بالْمُؤْمنين رءُوفٌ رَحيمٌ ﴾ (التوبة - ١٢٨).

ط- **ويتواضع له:** إن التواضع يرفع صاحبه لقوله ﷺ: « من تواضع لله رفعه ». والمريد فى سلوكه مطالب بأن يتواضع لجميع الناس، فما بالك بأخيه وقد قالوا: « إدفن نفسك أرضا أرضا تعلو سماء سماء ».

ى- **وليلن له الكلام:** فلين الكلام يرقق القلوب ويأسرها، والقسوة والفظاظه لا تولدان إلا العداوة والبغضاء والشحناء، يقول تعالى: ﴿ ادفعْ بالَتي هي أحْسنُ ﴾ (فصلت - ٣٤).

ك- **وينصحه برفق من غير تحقير:** من نصحك بينك وبينه فقد أحسن إليك، ومن نصحك أمام الناس فقد فضحك، ولما كان « الدين النصيحة » فإنه يجب على الأخ أن ينصح أخاه بالحسنى دون تجريح أو تحقير، وقد كان المصطفى ﷺ مثالا فى هذا الخلق، فكان إذا رأى عيباً على واحد من أصحابه، لا يوجه له الكلام مباشرة، بل كان يقول: « ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا ».

ل- **أن يكون عوناً له على نفسه وشيطانه، ولا يعينهما عليه:** وهذا من أهم شروط السلوك والأخوة، فقد قال ﷺ: « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ». قالوا يا رسول الله، نصرناه مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: بأن تحولوا بينه وبين الظلم.

٢٠- التمسك بالقناعة والتعفف عما بأيد الناس، وإن بذل لهم شيئا لا يطلب عليه عوضاً إلا ما أتاه بطريق الهداية عن رضى وطيب نفس من غير طلب:

القناعة كنز لا يفنى، والنفس المطمئنة الراضية المرضية تأبى إلا أن تتحلى بالقناعة والتعفف عما بأيدى الناس، فهم لا يسألون إلا الله ولا يطلبون إلا من الله..

وإن قدم أحد لهم شيئا نظير خدمة قدموها له لا يقبلوها، حتى لو أساء إليه من قدم إليه الخدمة فلا يتكدر ولا يغضب..

فمن أقوال الإمام سيدى سلامة الراضى رضي الله عنه:

«إذا عملت عملاً وكان قصدك فيه لله، ونالك منه أذى، وتكدرت كان هذا دليلا على أن عملك لم يكن لله».

وما أخذ بسيف الحياء فهو حرام وباطل، وقد يكون صاحب الأمر الذى أديت له الخدمة متضرراً من مكافأته لك، فلا تطلب أجراً على معروف، أما ما يبذله لك على سبيل الهدية والهبة عن رضا نفس فاقبله، لأن الهدايا يتم تبادلها ويمكنك أن ترد له الهدية فى مناسبة تخصه.

٢١ - يجب على كل من انتسب إلى الطريق:

أ- **أن يكون أميناً على دينه:** وليتذكر المريد أنه فى صيغة التلقين، سمع من شيخه عبارة «هذه أمانة الله فى أعناقكم» وليتذكر قول الحق سبحانه وتعالى:
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (الأحزاب -٧٢).

ب- **فلا يتكلم بما لا يعلم-** من قال لا أدرى فقد أفتى، وعلى المريد أن يكون حذراً لأنه يتكلم باسم الطريق فأهله، فإن كان لا يعلم شيئا فى قضية مطروحة، فليؤثر الصمت ولا يتكلم، وليعلم أن ذلك من آداب المريد، لقولهم:

ولازم الصمت إلا أن سئلت فقل:

لا علم عندى. وكن بالجهل مستترا

جـ- **ولا ينقل حديثاً محرفاً - أو ما يشبه ذلك -** فلابد لمريد أن يتحرى الدقة فيما يتعلق بالنصوص، وخاصة آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال التابعين والسلف، فإن لم يكن متأكداً من صحة النص، وصحة نطقه، فالأسلم له أن يسكت ويستفيد من الحاضرين، وليؤثر السلامة، وليعمل بالقاعدة المشهورة: «سكن تسلم»، وهذا كله تحاشياً للوقوع فى الحرام، ثم اتهام الناس له بالجهل وعدم المعرفة.

٢٢ - يجب على الفقير:

أ- **أن يتحمل بالخشوع والوقار:** وهاتان سمتان من سمات الصالحين، وليكن متشبها بكرام القوم، لينطبق عليه نص الآية الكريمة: سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ (الفتح - ٢٩).

ب- **وأن يتجنب كثرة الضحك والمزاح:** فإن كثرة الضحك تميت القلب، ولابد للمريد أن يعمل على إحياء قلبه وليس إماتته، وقد قيل فى المثل: «كثرة الضحك قلة أدب»، والمريد لابد أن يتحلى بمكارم الأخلاق ويكون أدبه محمديا، فرسول الله ﷺ لم يؤثر عنه أبداً الضحك، وإنما كان يبتسم تبسما خفيفاً. أما المزاح، فهو يجر إلى عواقب وخيمة دائماً، ولذلك وجب على المريد تجنب المزاح لأنه يخرج الإنسان عن مقتضى الوقار ولا بأس بالملاحظة واختيار الألفاظ المؤدبة غير الجارحة. ولا شك أن المريد الذى يسلك المسلك القويم فى تجنب الضحك والمزاح تميل إليه القلوب وتتهافت إلى مجالسته والسماع منه، وذلك لاشك سيؤدى إلى إقبال الناس على الطريق واحترامها واحترام أهلها، ولذا قالوا: «ليس المريد من يفتخر بشيخه، وإنما المريد من يفتخر به شيخه».

٢٣ - اتهام النفس:

فمهما ألقت إليك فاتهمها حتى يظهر له الحق. يقول الإمام البوصيرى رضي الله عنه:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

فاتهام النفس بالتقصير دايما يجعلها تسعى إلى تحسين صورتها وتقديم الشئ الذى يرد لها اعتبارها عند صاحبها..

والنفس وصاحبها كالراكب والدابة، فإذا تملكت النفس كانت راكباً وكان صاحبها دابة، والعكس حين يملك صاحبها زمامها تكون هى المطيعة أو الدابة ويكون هو الراكب الذى يسيرها حيث يريد..

وفى ذلك قول الإمام البوصيرى رضي الله عنه:

وراعها وهى فى الأعمال سائمة فإن هى استحلت المرعى فلا تسم

٢٤ - كل من تكلم بالحقائق من أهل طريقنا، فعليه أن يكون مؤيداً بالكتاب والسنة فى مشربه:

الكلام فى الحقائق من أوعر المسالك، ولابد أن يتجنبها المريد السالك الذى هو فى أول الطريق، ويتجنب العويص من المسائل، وإذا اضطر المريد للكلام فى تلك المسائل فعليه أن يكون مؤيداً بالكتاب والسنة وأن ينأى بنفسه عن الشطط، وهذا الإمام سيدى سلامة الراضى رضي الله عنه يوجهنا فيما يتعلق بالكلام فى الحقائق والتوحيد، فيقول:

«إن الله يغار أن تبدو أسراره المصونة إلى قلوبٍ بشهود الغير مفتونة. فلذلك سترها بحجب وأشياءٍ وأشكالٍ وأوحال وأحوال..

إن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصل إليها إلا الشجاع القارع الذى علت همته وتسلمت مطيته عن الخلق، وعرج إلى مضرة الحق. ولا يفهم سرى إلا من كان مثلى».

٢٥- لا يجوز لأحد من أهل طريقنا القول:

أ- بالحلول. ب- الاتحاد. جـ- الجهة. ء- الحق عين الخلق.

هـ- مقالة الحلاج.

كل هذه مسائل فلسفية فى علم التوحيد وأداء لبعض الجماعات، أما التوحيد الخالص الذى يطلبه الشيخ من المريد هو أن يعلم بأن التوحيد عبارة عن الإيمان بقوله تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ (البقرة - ١٦٣).

وكمال التوحيد أن يشتغل العبد بالله شغلا ينسيه غير الله تعالى.

٢٦- لا يجوز لأحد أن يكون من أهل الإباحة:

أ- **بأن يدعى إسقاط التكاليف** - إن التكاليف لا تسقط إلا عن سفيه أو مجنون أو فاقد الأهلية، ، أما المسلم العاقل فلا تسقط عنه التكاليف بأى حال، وحتى لو سقطت لعذر من مرض أو سفر أو غيره من الأعذار، فإنه بعد زوال العذر أو السبب يعود التكليف مرة أخرى، أما أن المريد أو المتصدى للدعوة يدعى أنه أسقطت عنه التكاليف فهذا هو الشئ الذى لا يقبل على الإطلاق.

ب- **أو يدعى إباحة المحرمات:** وهذا شئ لا يقبل من المسلم على الإطلاق فإن الله الذى أمر الإنسان بالاستقامة وأكدها رسوله المصطفى * لا يقبل من عبده إلا كل عمل طيب لا تدخل فيه المحرمات، فهذا أحد الصحابة يسأل النبى ﷺ: أن يدعو الله أن يكون مستجاب الدعوة، فيقول له: «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**». وهذا هو أحد أئمة الصوفية والعارفين بالله سيدى عبد القادر جيلانى، بينما كان جالساً مع أحبابه سمع وسمعوا معه صوتاً من أعلى يقول: يا عبد القادر: لقد أبحنا لك المحرمات، فقال فوراً: إخسأ يا لعين، فإن ربى لا يأمر بإباحة المحرمات، وسلط عليه حذاءه، فتبعه حتى ولى منهزماً.

٢٧- لا يجوز لأحد أن يستعمل السحر أو ما يشبهه فإنه قطيعة عن الله تعالى:

نفى القرآن الكريم فى أكثر من موضع عن النبى ﷺ أن يكون ساحراً، فلو كان السحر مباحاً لأباحه الحق سبحانه وتعالى لنبيه الحبيب المصطفى ﷺ.

وفى قصة سحرة فرعون، يقول تعالى:

﴿ قالَ أَلْقُوا فلمّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وجاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف - ١١٦)، ومن هذه الآية يتضح أن السحر لم يكن من السحرة وإنما كان بما وقع فى أنفس المشاهدين لهذا السحر فانفعلت له أعينهم وخيل إليهم ما رأوا، ووقعت رهبة السحرة فى قلوبهم ولو سبقتها رهبة إلى قلوبهم ما تجاوبوا مع السحر وما كان له أدنى تأثير عليهم.

وقوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشَّياطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمانَ وما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلَٰكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ وما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ ﴾ (البقرة - ١٠٢).

ومن هذه الآية يتضح لنا أن السحر لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله.

وعلى المريد أن ينأى بنفسه عن هذه الأعمال السحرية الضارة التى لا يرضاها الله سبحانه وتعالى ولا يرضاها رسوله ﷺ، ولا يرضاها مشايخه الكرام.

وإن هذا السحر يؤدى بصاحبه إلى القطيعة عن الحق سبحانه وتعالى، لأن السحر حجاب على قلب الساحر يحول بينه وبين نفحات ربه ويبعده عن حضرة القرب ويكون من المغضوب عليهم والعياذ بالله.

٢٨ - لا ينبغى للشيخ أن يتحكم فى مال التلميذ تحكما يصل إلى درجة أن يأمره ببيع أملاكه ثم يأخذ من ثمنها، أو بأن يتنازل له عن أملاكه، كما يفعل بعض من لا أخلاق لهم:

يخطئ بعض المريدين فى تفسير معنى التسليم الذى يقصد به فى الدرجة الأولى التسليم بالقلب يتبعه اللسان وكافة الجوارح، ولا يصل الأمر بالمريد أن يترك شيخه يتحكم فى ماله بحيث يسيره فى كل الأمور المالية فى صور مختلفة:

أ- كأن يأمره مثلا ببيع ممتلكاته، وهى أصلاً ليست ملكا له خالصاً لأن له أولاد وورثة، ستؤول ملكية ثروته إليهم بعد موته، ولا يكتفى هذا الشيخ ببيع أملاك المريد بل يحصل لنفسه على جزء منها يسميها باطلاً «ضريبة المحبة» وهذا أمر لا يقرده الدين ولا التصوف.

ب- قد يأمر الشيخ المريد - كشئ من إثبات حسن الاتباع وتنفيذ الأوامر أن يتنازل له عن أملاكه تحت شعار: «العبد وما ملكت يمينه ملك لمولاه». وهذا الأمر يتعلق فقط بعلاقة المريد بربه.. ولا يجوز للشيخ أن يتصرف هذا التصرف المشين.. بل يجب على المريد أن يقاوم هذه الرغبة لديه متحصناً بقول المصطفى ﷺ: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق».

٢٩- لا ينبغي للشيخ أن يأمر مريده بما يضره:

أ- **كالبيات فوق سطح في الشتاء بثوب واحد:** فصحة المريد لازمة له كي تعينه على السلوك وتنفيذ الطاعات، وفي بياته بثوب واحد فوق سطح منزل في الشتاء يعرضه لنزلات البرد التي تنهك قواه الجسمية وتؤثر على مناعة الجسم ضد الأمراض، فهذا أمر غير مقبول من الشيخ أن يتوجه به للمريد.

ب- **أو الوقوف في الماء طول الليل:** والمعروف أن الوقوف في الماء فترة كبيرة يؤثر على الجسم تأثيرات مباشرة ويجعل الإنسان معرضا للإصابة ببعض الأمراض التي تؤثر على الخلايا والأعصاب والعظام وقد تؤدي به إلى الإصابة بروماتيزم المفاصل أو ذلك المرض الفتاك المسمى بالروماتويد.. وهذا أيضا أمر غير جائز من الشيخ أن يأمر به المريد.

جـ- **الوقوف على جدار لأجل الذكر:** الذكر حقيقة يصح قياماً وقعوداً وعلى الجنوب في حالة عدم الاستطاعة، أما المغالاة في أمر المريد بالذكر وهو واقف على جدار، فلا يخلو من أحد أمرين:

١- الأول - خوف الذاكر الدائم من الوقوع من فوق الجدار.

٢- إنصراف فكر وقلب الذاكر وهمته عن الذكر إلى الحذر من الوقوع.

فلابد للذاكر أن يفرغ قلبه وعقله وجسمه من أي شاغل، ولا يكون شغله إلا لذكر الله وحده.

٣٠- يمنع تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال:

يقول المصطفى ﷺ: «لعن الله المتشبهين بالنساء، والمتشبهات بالرجال».

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم ٢١).

ومن هذه الآية نفهم أن كلا ميسر لما خلق له» فالرجل مؤهل بالفطرة للعمل والجد، والمرأة مؤهلة بالفطرة للحمل والولادة والإرضاع ورعاية الأبناء، والكل يساهم في بناء مجتمعه.

فلا يجوز للمؤمن أن يتشبه بالنساء لا في المأكل ولا الملبس ولا طريقة الكلام. والمرأة المؤمنة أيضا عليها أن تمتنع عن التشبه بالرجال في كل المظاهر حتى يكن التمييز بين الجنسين، وحتى لا يتخلف عن ذلك وجود جنس ثالث لا يعتبر في الرجال ولا يُعد في النساء.

٣١- يمنع الإجتماع بالمجاذيب أو مخالطتهم أو السير معهم أو التشبه بهم:

يقول العارفون:

ولا تأخذ عما زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

والمجذوب، هو من ذهب عقله وأصبح لا يعى ما يقول، وقد أعده أهل الله ممن سقط عنهم الحساب ورفع عنهم القلم.

وقالوا فى ذلك: «إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب». ولما كان هؤلاء المجاذيب خطراً فى تعالمهم فعلي المريد السالك أن يتجنبهم فلا يخالطهم ولا يعترض عليهم ولا يسير معهم ولا يتشبه بهم.

٣٢- تمنع السياحات الطويلة للتلميذ بغير إذن شيخ الطريق:

يجب على المريد إذا أراد الخروج فى سياحة روحية طويلة أن يستأذن شيخه فى ذلك، فإن سمح له قام بها، وإن لم يسمح أطاع ولزم. وهو فى طاعته فى الحالتين الفائز، لأنه ينال رضا الله برضاء شيخه عنه، والأهم من ذلك أنه بسر الأمر والطاعة يكون فى سياحته فى حفظ من الشيطان ومن الأخطار ويظل محفوظاً إلى أن يعود إلى أهله.

٣٣- ممنوع على المنتسب أن يتجرد من الأسباب:

التجرد من الأسباب ليس من خلق ديننا القويم لقوله ﷺ: «لو توكلتم على الله خير توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تروح جياعا وتغدو بطاناً». وقوله ﷺ: «إعقلها وتوكل».

فالله سبحانه وتعالى يحب العاملين ويباركهم، وذلك لقوله جل شأنه: ﴿إنَا لا نُضيعُ أجْرَ منْ أحْسنَ عملاً﴾ (الكهف - ٣٠).

فلابد للمنتسب للطريق أن يأخذ بالأسباب فيسعى فى الأرض طلبا للرزق وصدق القائل: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: رب ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

٣٤- لا يجوز لأحد من طريقنا مطلقا أن يؤلف دعوة أو ورداً أو وظيفة تقرأ فى الحضرات لتلامذته أو غيرهم:

توحيد الوجهة أكبر مطلب للمنتسبين للطريق مهما كانت مراكزهم أو كان سبقهم فى الطريق، فهم كما يقولون: «ليس الطريق لمن سبق وإنما الطريق لمن صدق» وأوراد الطريق كثيرة وهى التى أتى بها المشايخ الكرام رضى الله عنهم، ولا يجوز لأحد أن يبتدع أوراداً أو دعوات أو وظيفة، وبالتالى لا يجوز فى الحضرات وفى إجتماعات الأحباب قراءة شئ غير أوراد الطريق.

٣٥- لا يجوز ذكر الحديث المشهور عند الشاذليين «بحديث السوق» بأعلى الصوت إلا بإذن شيخ الطريق:

حديث السوق:

عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

« من دخل السوق وقال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت أبداً بيده الخير وهو على كل شئ قدير"، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً في الجنة ».

٣٦- كل خليفة أو أعلى منه يأذن أو يلقن تلميذه أسماء بغير العربية أو يدخله الخلوة أو يأمره بدعوات مثل الجلجلوتية والبرهتية، أو يأمره بعشرة آلاف اسم مثاً في كل يوم أو ليلة، أو يأمره برياضة يمتنع فيها عن أكل ما فيه الروح، أو بصيام الشهور الكثيرة، أو باستخدام الجن أو بما يشبه ذلك فهو مسئول عن عمله، والتبعة في ذلك واقعة عليه، إذ إن الطريق برئ من ذلك.

٣٧- لا يجوز ضرب الدف والصنج وذوات الأوتار وما يشبهها والطبل والدربكة ولا يجوز استعمال الزمارة أو الناي المشهور بالصفارة مطلقا، لا في حضرة ولا في موكب.

٣٨- ممنوع دوس الناس بالخيل وغريها، وهو المشهود«بالدروسة».

٣٩- عدم الانتصار للنفس، فمن انتصر لها تخلفت عنه عناية الحق:

الانتصار للنفس شهوة، والمفروض أن السالك في طريق الله يترك كل أموره لله فلا ينتصر لنفسه ولا يحاول ذلك حتى تظل عناية الحق مع ولا تتخلفه عنه ولابد أن يلتزم بقول الحق جل شأنه: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (آل عمران - ١٧٣، ١٧٤).

٤٠- عدم الوقوف مع ذم الناس ومدحهم:

لأن الناس إذا مدحوا يكونون في مقام الرياء، وإذا دنوا يكونون في مقام الغيبة وقد قيل: إن رضا الناس غاية لا تدرك، حتى مع ولى الأمر العادل، حيث يقول الشاعر:

إن نصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام.هذا إن عدل

وقد قال الشاعر أيضا:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

٤١ - ممنوع أكل الحشرات والصبار والزجاج، والضرب بالسيف، والدوس، وأكل النار وما أشبه ذلك، فإنه شعوذة، وأهل الطريق يتنزهون عنه.

٤٢ - تجوز زيارة أضرحة الأولياء المنقولين غير المشايخ الأحياء، فلا يزورهم إلا من يؤمن عليه من الشك في شيخه أو طريقه.

٤٣ - كل من انتسب لطريقنا لا ينبغي له أن يجعلها مهنة يرتزق منها، بل عليه أن يلزم صنعة أو حرفة للارتزاق غير الطريق.

٤٤ - يجب على التلميذ ألا ينازع شيخه، ولا أن يطلب منه دليلاً على ما أمر به أو فعله، فإن الأشياخ أمناء الله.

٤٥ - من اعترض على شيخه فقد نقض عهده وانقطع عن الشيخ ولو كان ملازماً للشيخ، وانسد عليه باب المدد.

٤٦ - كل تلميذ يشاهد شيخه بقدره.

٤٧ - من أراد الظهور فهو عبد الظهور، ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن أراد الله فهو عبد الله، إن شاء أظهره وإن شاء أخفاه.

وتتوالى مواد هذا القانون من المادة (٤٨) إلى المادة (٣٢٩) حول - رجال الطريق (النقباء والمنشدون.. الخليفة.. خليفة الخلفاء فى بين السجادة وفى غير بيت السجادة) وغيرها من الوظائف الطريقية، انتهاء بوكيل السجادة ثم الحضرات ونظامها.

ثم الأوراد.. ثم المواكب.. ثم شعار الطريق.. ثم الأحكام التى تصدر عن الطريق.. ثم الأحكام العامة.. ثم العهد والتلقين وصيغته..

وقد صدر هذا القانون بتوقيع سيدى أبو حامد سلامة بن حسن الراضى فى ٤ رجب ١٢٤٥هـ.

الأوراد

يقول العارفون بالله:

« من كان ذا ورد ، فهذا قد ورد ، تاركه يحرم إيصال المدد ».

ويقول سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ: « كل شيخ قد جعل الله مدده وسره وسر طريقته في أوراده التي يأمر بها المريد ، فمن ترك ورده فقد نكث عهد شيخه ».

وقد أجمعوا على أنه ما قطع مريد ورده ، إلا انقطعت عنه الإمداد فى ذلك اليوم..

وإيضاح ذلك:

أن طريق القوم طريق تصديق ، وتحقيق ، وجهد ، وعمل ، وغض بصر وطهارة يد وقلب وفرج ولسان..

ومن خالف شيئا من أفعالها رفضته الطريقة كرها عليه.

ولكل طريقة صوفية أوراد خاصة بها ، ألهمها الله لأقطابها ، لتكون نوراً علي الطريق للمريدين ، ووسيلة تمكنهم من التعرف على حقائق إيمانية يلزم المريد أن يتعرف عليها.

وهى تمكن المريد أن يتحلى بأوصاف المفتوح عليه ، وأن يصطنع تواجدها فيه أثناء عبادته..

فمثلا.. حينما يقرأ أوراده فعليه أن ينفعل عند قراءته ، كأن كل ذرات جسمه تتشرب بهذه المعانى.. وأن يعى ما يقرأ..

فالأوراد دروس إيمانية تدخل فى قلب المريد ، وتبصر بحقيقة العقيدة ، والورد اتصال مباشر بالشيخ ويسرى منه الاتصال إلى حضرة المصطفى ﷺ فتنفتح آفاق السماء والأرض لتلقى هذا الاتصال ، فيتلقاها الملائكة الكرام ويتجلى الحق سبحانه وتعالى على الجميع بالفتح والإمداد ، والرضا والقبول فهو سبحانه القائل: {أنا جليس من ذكرنى}.

وأوراد الطريقة مستمدة من الكتاب والسنة..

وهي: أوراد الصباح وأوراد المساء..

يفتح المريد ورده بقراءة الفاتحة لحضرة المصطفى ﷺ وآل بيته الكرام ولصحابته والتابعين ولأهل السلسلة المباركة من المشايخ ولسيدى علي أبى الحسن الشاذلى وسيدى سلامة الراضى وسيدى إبراهيم سلامة الراضى ، ثم يبدأ فى قراءة الورد.

مع ملاحظة أنه لا يجوز الكلام أثناء قراءة الورد إلا للضرورة القصوى كرد السلام، أو إزالة الأذى أو غير ذلك.

وصيغة الورد كما يلي:

- "أستغفر الله العظيم" ١٠٠ مرة.

- "اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم" "بكسر اللام" ١٠٠ مرة.

- " لا إله إلا الله" ٩٩ مرة.

وختام المائة «لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم" "بفتح اللام"

ولا يجوز الزيادة فى «أستغفر الله العظيم»، أو صيغة الصلاة على النبى عن ١٠٠ مرة ويجوز الزيادة فى «لا إله إلا الله» بين المائة والألف.

هذا الورد يقرأ مرة صباحاً من صلاة الفجر إلي أذان الظهر، ويجوز البدء به بعد منتصف الليل.

وإذا تأخر المريد بعد أذان الظهر فعليه إعادته مرتين، ويقرأ مساء من بعد صلاة المغرب إلى فجر اليوم التالى ويجوز البدء به بعد صلاة العصر، ومن تأخر غن قراءته بعد الفجر، فعليه إعادته مرتين.

أما المريد الذى يفوته الورد أكثر من ثلاثة أيام، فعليه: أن يعرض نفسه على شيخه أو على الأحباب في مجلسهم، أو فى الحضرة العامة وما يراه الشيخ، وما يراه الأحباب على المريد المبادرة فوراً بتنفيذه دون إبطاء.. أما إذا رأى الشيخ أو الأحباب مسامحته فى الأوراد التي تخلف عن قراءتها، فعليه أن يحافظ بعد ذلك على أوراده، كما يحافظ على صلواته الخمس تماماً.

ويلزم للمريد أن يقرأ فى يوم الوظيفة الشاذلية، أو ما تيسر منها وأن يقرأ فى اليوم التالى الجوهرة الحامدية أو ما تيسر منها.

وما يقرأ منهما فى الحضرة يغنى عن قراءة إحداهما فى هذا اليوم.

وإذا لم يتيسر للمريد قراءة الوظيفة الشاذلية كاملة، فعليه أن يقرأ الجزء الأخير منها.. وهكذا.

- «بسم الله الرحمن الرحيم.. الله لا إله إلا هو الحى القيوم.. آية الكرسى إلى آخرها».

- شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام. قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء. بيدك الخير إنك على كل شئ قدير. تولج الليل في النهار، وتولج النهار فى الليل، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى، وترزق من تشاء بغير حساب، لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. (فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ٣ مرات).

- سبح اسم ربك الأعلى.. إلى أخرها.
- ألم نشرح لك صدرك..
- إنا أنزلناه في ليلة القدر..
- إذا زلزلت الأرض زلزالها..
- لإيلاف قريش .. إلى آخرها - مع ملاحظة تكرت «وآمنهم من خوف ٣ مرات.
- قل هو الله أحد ... إلى آخرها.. ٣ مرات.
- قل أعوذ برب الفلق... إلى آخرها
- قل أعوذ برب الناس .. إلى آخرها.
- الفاتحة إلى آخرها.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أما الجزء الأخير من «الجوهرة الحامدية» فهو:

«اللهم إنا نعوذ بك وبنبيك من القطيعة والهجران، ومن الإبعاد بعد التقريب فإنه من أعظم الحرمان، وأجرنا من الخواطر النفسانية، واحفظنا من الشهوات الشيطانية، وطهرنا من قاذورات البشرية، وصفنا بصفاء المحبة الصديقية من صدأ الغفلة والجهل حتى تضمحل رسومنا بفناء الأنانية فى حضرة الجمع والنخلية والتحلى بالحقائق الصمدانية فى شهود الوحدانية، حيث لا حيث ولا أين ولا كيفية، منصورين بسيف الله، مخصوصين بكرمه، ملحوظين بعناية الله ورعايته، محفوظين بعصمته من كل ما يشغلنا عن مراقبته، ومن كل خاطر يخطر فى غيرك يا رباه فيبعدنا عن حضرتك، وهب لنا هبة لا مدخل فيها لسواك ولا سعة فيها لغيرك، واسعة بالعلوم الإلهية والصفات الربانية ظاهرة بمحاسن

الأخلاق المحمدية وآدابها العلية، وقوِّ عقائدنا بحسن الظن الجميل وحقيقة التمكين، وسدد أحوالنا بالتوفيق والسعادة وحسن اليقين وشد قواعدنا على صراط الصدق والإستقامة، وشيد مقاصدنا في المجد الأثيل على ذروة الكرامة، وأغثنا من ضلال البعد بألطاف رحمتك، واشملنا فى مصارع الحب بنفحات عنايتك، وأسعفنا فى حضائر القرب بأنوار هدايتك وأيدنا بنصرك العزيز واجعلنا من خدام حضرتك.

اللهم بجاهه تقبل دعاءنا، وفرج كروبنا، واشف أمراضنا، وانصرنا على من ظلمنا، وأبحنا النظر إلى وجهك الكريم فى حضرات الشهود، واجعل خير أعمالنا خواتيمها يا رحيم يا ودود، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وهب لنا العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين..

خاتمــة

حمداً لله على توفيقه..

حمداً لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله..

وقد قيل: «من اجتهد ولم يصب، فله فضل الاجتهاد.. ومن اجتهد وأصاب فله فضل الاجتهاد والصواب..

وقد قيل: «من فضله عليك أن خلق ونسب إليك»

وأؤكد أنه لولا توفيقه تعالى لما تمكنت من إخراج هذا الكتاب، وكنت تحت تأثير الدافع والنتيجة..

أما الدافع.. فأقر بأنه كان قوياً جداً، وقد ألح على كثيرا وبشدة لإخراج مثل هذا الكتاب كمساهمة متواضعة فى إجلاء الأمور وإزالة اللبس عن بعض العقول..

ثم كان وراء هذا العمل مكابدة شخصية بين الشفقة والرثاء، الشفقة على شبابنا والأجيال الصاعدة من خوض هذه الصراعات التى لا طائل من ورائها إلا تشويه صورة الإسلام وصورة المسلمين حتى اتهمنا فى النهاية «بالإرهاب الفكرى» أعاذنا الله جميعاً من ذلك.. والرثاء على حالة المتنافرين بين المسلمين.

مع إيمانى العميق وإيمان الألوف غيرى بأن الإسلام والتصوف أبرياء مما يلصق من تهم، ولكن صوت الإصلاح قد خفت أو كاد ينمحى نهائيا.. فبدلاً من أن نزرع المحبة والألفة والمودة فى أجيالنا نرضعهم منذ الصغر لبن الكراهية والحقد والتنافر، معانٍ لم تكن موجودة، ولم يكن لها مكان بين أجدادنا فى الزمن القريب جداً، ولكن البعض لا يزالون يقدسون الفرقة ولا يستطيعون العيش إلا فى الماء العكر، فبين الفترة والأخرى يخرج بعض هؤلاء المتفيقهين بآراء ما أنزل الله بها من سلطان، ثم يرون المنكر وما يحدث باسم الاسلام والتصوف فلا يتحرك لهم ساكن، ولا ينهضون بمهمتهم الأساسية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر..

هالنى ما يحدث بين المسلمين أنفسهم، وما يحدث بين الطوائف والفرق الإسلامية الأخرى، والتى تدعى كلها أنها وحدها على الصواب..

ولم يتذكر هؤلاء قول الحبيب المصطفى ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به من بعدى لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتى». وقوله ﷺ «من رغب عن سنتى فليس منى».

ولقد قرأوا جميعاً وحفظوا الآية: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (الأحزاب - ٢١).

ولكنهم للأسف يمرون عليها مر الكرام..

ولم يعوا أيضا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (الحشر - ٧).

والجميع يعلمون أن الأسوة لا تتحقق إلا بالتشبه: وقد قالوا:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

والتشبه بالمصطفى ﷺ لابد أن يراعى فيه ترسم خطاه وتقليد أخلاقه الكريمة، فهو الذى خاطبه ربه قائلاً: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (القلم - ٤).

وسجل ﷺ اعترافه بهذا الفضل من الحق جل شأنه.. فقال: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»، وقال أيضا: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فلو أنصف هؤلاء لتنحوا عن صفات السب والشتم واستخدام الألفاظ النابية، بل الألفاظ التى توجب غضب الجبار وكراهية الخلق مثل كلمات: الملاحدة، والكفار.... الخ...

والدافع هنا - هو الغيرة على الإسلام والمسلمين والرغبة فى إصلاح شأنهم ليكونوا يداً واحدة ضد ما يحاك بهم..

أما النتيجة - فآمل وكلى عشم ورجاء أن يظهر أثرها على الجميع لندعو جميعاً إلى المحبة والود ونبذ الخلافات..

وليعلم الجميع: أن الجدل يسد باب العمل.. وأن صحبة الغافل سم قاتل..

فليتقوا الله.. سواء هؤلاء المعارضين للتصوف، أو المدعين بأنهم من أهل التصوف وليعودوا إلى صوابهم وليعلموا:

«أنه طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس». وليعلموا أن الناقد بصير، وأن الحساب قريب..

النتيجة- سيعلنها الجميع بإذن الله بعد مطالعة هذه الكلمات المتواضعة الصادرة من قلب مخلص محب.

وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه الحق والصواب..

وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل

أحمد مصطفى الخولى

المراجــع

١ - كتاب قضية التصوف «المدرسة الشاذلية»، الدكتور عبد الحليم محمود.

٢ - غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود د. ابن الشريف.

٣ - مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب.، تحقيق: هـ. ريتر.

٤ - صحيح البخارى وصحيح مسلم.

٥ - الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلى.

٦ - صفوة الصفوة، لابن الجوزى.

٧ - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم.، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسينى.

٨ - الكواب النيرات فى المنجيات والمهلكات، عبد الله الجاد الله

٩ - الحب الإلهى، د. محمد مصطفى حلمى

١٠ - كشف المحجوب، للهويجرى.

١٢ - كتاب الإنسانية، للشيخ سلامة الراضى.

١٣ - طبقات الشعرانى.، للشعرانى.

١٤ - الرسالة القشيرية..، للقشيرى

١٥ - مرشد المريد، للشيخ إبراهيم سلامة الراضى

١٦ - الصوفية فى ميزان الكتاب والسنة، محمد بن جميل زينو

١٧ - الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة.، عبد الرحمن عبد الخالق.

١٨ - أبو حامد الغزالى والتصوف.، عبد الرحمن دمشقية.

١٩ - نظرية الاتصال عند الصوفية فى ضوء الإسلام، سارة بنت جلوى آل سعود

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحة
ء- هذه هى الصوفية	١٤٥
٣- الرأى المعتدل:	١٥١
- كتاب نظرية الاتصال عند الصوفية	١٥٣
٤- نماذج من الكتابات الصوفية المعاصرة:	١٥٩
أ- كتاب الإنسانية	١٦١
ب- كتاب مرشد المريد	١٦٩
جـ- الطريق إلى الله ومقاماته	١٧٩
ء- أحكام المريدين	٢١٥
٩- خاتمة	٢٣٩
١٠- المراجع	٢٤١
١١- فهرس الموضوعات	٢٤٣

رقم الإيـــداع : ٢٠٠٥/١٨٠٩
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 327 - 1

مطـابـع آمـــون

٤ الفيروز من ش إسماعيل اباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦